الجامعة الإســـلامية – غزة

عمـــادة الدراســـات العليـــا

كليـــــة أصـــول الـــــدين

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



الولاية عند غلاة الصوفية

(عرض ونقض)

إعداد الطالب

عبد الحميد محمد عرادة

إشراف الدكتور

أحمد جابر العمصي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة

السنة الدراسية (١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م)

شــــكــــر

انطلاقاً من قوله تعالى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧] ، والحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " (١) .

فإني أحمد الله ﷻ أن وفقني لإتمام هذا البحث بحوله، وقوته ، وأبدأ بالشكر الجزيل إلى مشرفي على هذه الرسالة **الدكتور/ أحمد جابر العمصي** ، حفظه الله ، الذي تعلمت منه الحلم والصبر في طريق البحث والدراسة لطالما كان حليماً رغم تقصيري وضعفي، وسنداً وعوناً لي خطوة بخطوة ، منذ البداية، وأشكر شيخي الأخ الفاضل/ **عادل محمد شيخ العيد (الزاملي)** حفظه الله على ما غرسه في قلبي من حب العلم ، وأهله، ودراسة أصول الدين ، فجزاه الله عنا، وعن المسلمين كل خير ، وجعله مفتاحاً للخير ، مغلاقاً للشر أينما كان ، وأخص بالشكر أيضاً أساتذتي بالجامعة الإسلامية الذين فتحوا قلوبهم ، وأبواب بيوتهم عوناً لي في هذا البحث المتواضع ، وأخص بالذكر **الدكتور/ صالح الرقب** الذي دفعني حبي له ، ولتدريسه دخول قسم العقيدة ، و**الدكتور/ سعد عبد الله عاشور** الذي تعلمت منه أسلوب الحوار والمناقشة ، **والأستاذ الدكتور/ جابر السميري** ، الذي تعلمت منه الحكمة والسكينة ، ولا أنسى جميع من كان له فضل علي من الأساتذة الذين لم يبخلوا طرفة عين أثناء دراستي حفظهم الله جميعاً ، وأشكر الأستاذين الفاضلين ، **الأستاذ الدكتور/ محمود يوسف الشوبكي، والدكتور/ سعد عبد الله عاشور** حفظهما الله ، لقبولهما مناقشتي ، وتسجيل ملاحظاتهم السديدة ، فجزاهم الله كل خير ، وأطال الله عمرهم لما يحب ، ويرضى في الخير ، والصلاح .

وأشكر كذلك عمي **الأستاذ الفاضل/ عبد الكريم الغرابلي** حفظه الله، على مراجعته، وتنقيحه للرسالة لغوياً ، فالله أسأل أن يمد في عمره ، ويكتب له أجر ما قدم ، ويجعله من أوليائه الصالحين .

وأشكر كل من ساعدني بإعارة كتابٍ ، أو بدعوة بظهر الغيب ، فجزاهم الله خير الجزاء، وأخص بالذكر **الشيخ / أبا بكر محمد أبو صوصين ، والشيخ أحمد أبو سمهدانة ،**

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه ، الجامع الكبير، تأليف: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الجبل – بيروت، الطبعة الثانية (١٩٩٨م)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ٣/ ٥٠٥ح (١٩٥٤)، والحديث صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ،٤٥٥/٤.

والشيخ إياد النجار ، حفظهم الله جميعاً ، ولا أنسى مدير مدرستي **الأستاذ الفاضل/ سليم أبو الروس** ، الذي كان معيناً لي في رحلتي للانتهاء من رسالتي ، وتجهيز الرسالة ، فجزاه الله خير الجزاء ، وجعله ذخراً للإسلام ، والمسلمين .

ولا أنسى أن أقدم شكري إلى الجامعة الإسلامية الغراء ، ذاك الصرح التعليمي الأغر التي خرجت أجيالاً عظماء ، ومربي أجيال ، ولا تزال تخرج ، رغم كيد اليهود ، ومكرهم بها ، وبمبانيها الشامخة ، جعلها الله نبراساً للحق يضيء الطريق لكل من طلب الهدى والنور ، والشكر إلى عمادة الدراسات العليا ، وكلية أصول الدين خصوصاً ، قسم العقيدة الإسلامية .

الإهـــداء

أهدي هذا البحث إلى ،،،،

* إلى التي فجعني الموت بها قبل أن ترى قطاف ثمرها، فقد كان دعاؤها لي بالتوفيق والنجاح في دراستي هو آخر ما سمعت من صوتها، فالله أسأل أن يكون ثواب عملي هذا في ميزان حسناتها ، وأن يحشرها مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، أهدي هذا البحث إلى (**روح أمي الطاهرة رحمها الله**) .

* إلى ينبوع الأمل، من كد وعمل ، إلى من لا أزال أحس بدفء حضنه لي طفلاً صغيراً ، وبذراعيه على كتفي كبيراً ؛ ليرفع بي رأسه عالياً اعتزازاً ، إلى (**والدي العزيز**) .

* إلى من حملت معي هم دراستي منذ اللحظة الأولى، غرست فيّ التفاؤل بكلماتها المخلصة ، ودعائها لي بالتوفيق في دراستي، الله أسأل أن يكتب لها أجر الصابرين، إلى(**زوجتي الغالية**) .

* إلى أحبائي ، وقرة عيني الذين تحملوا ألم الفراق ، وانشغالي عنهم أبنائي : **عبد الله ، وحبيبة، وزيد** .

* إلى من ساندوني قلباً، وقالباً، وحملوا عبئاً كبيراً من حياتي، ومشاكلها ، **إخواني وأخواتي** ، وأخص بالذكر **أخي أبو عدي** حفظه الله، الذي منحني وقته، وراحته؛ معاونةً لي في البحث، والدراسة .

* إلى كل مسلمٍ، ومسلمة يبحث عن الحق، ويسعى للوصول إليه، ونشره .

أهدي هذا البحث راجياً من الله القبول ، وأن يكون في ميزان حسناتنا يوم القيامة .

مقدمة ،،،

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ، ورسوله، وصفيه من خلقه ، وخليله، ونصلي ، ونسلم عليه ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين ، أما بعد: -

إن شرف النسبة إلى الله ﷻ بالولاية شرف عظيم، سبيله الإيمان والتقوى، وطريقه الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وهي منزلةٌ ظفر بها من قام بحقها من صالح الأعمال .

إن غلاة الصوفية، لم يفهموا حقيقة الولاية؛ بل اعتبروا الخلوة، وترك المباحات من أكبر القربات، وقياساً على هذا وضعوا أصحاب هذه الأحوال المهينة في القمة، وسموهم الأولياء، وفضلوهم علي الأنبياء، والشهداء، وكانت غاية رسالة الرسل هي إخراج أقوامهم من الظلمات إلى النور، وهذا لا يكون إلا بالاستقامة علي شريعة الله ﷻ ، والوقوف عند حدوده، دونما إفراط ، أو تفريط ليس كما يزعمون ، يقول تبارك وتعالى:﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [يونس:٦٢- ٦٣] ، فقد جعل الله ﷻ من شروط الولاية الإيمان والتقوى ، وبهما يتحصل المؤمن على ثمرات الولاية في الدنيا والآخرة ، فالإيمان هو أن توقن بكل ما جاء عن الله ﷻ وكتابه، وما جاء به الحبيب ﷺ ، والاستقامة هي أن تخضع جوارحك لله ﷻ ، وتسير علي شريعته كاملة، دون مغالاة لجانب على آخر ، قال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [فصّلت:٣٠]، وأعظم الكرامة لزوم الاستقامة .

وفي هذا البحث إن شاء الله تعالى ستكون الدراسة لمبحث الولاية نظرا لأهميتها، فقد فتح التصوف المنحرف باباً واسعاً دخلت منه كثير من الشرور على المسلمين مثل التواكل ، والسلبية، وإلغاء شخصية الإنسان، وتعظيم شيوخ غلاة الصوفية فضلا عن كثيرٍ من الضلالات، والبدع التي تخرج صاحبها من الإسلام.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

نظراً لانتشار البدع ، والضلالات بين كثير من العوام ، وافتتانهم بمن يزعمون أنهم أولياء الله ، وتأثر الناس بمعتقداتهم ، وشعاراتهم ، فأصبح لهم أتباع ومناصرين بين أفراد المسلمين ، فقد قمت بإعداد هذه الدراسة حول الولاية عند غلاة الصوفية .

وقد اخترت الكتابة في هذا البحث للأسباب التالية :-

١. التعرف على معتقدات غلاة الصوفية في الولاية ، وأدلتهم في إثباتها .
٢. بيان مكانة الولاية ، وأهميتها في عقيدة أهل السنة والجماعة ..
٣. تحذير المسلمين من أخطار ، وبدع غلاة الصوفية في فكرة الولاية ، وتعظيم الأولياء.
٤. مقارنة آراء ، وأفكار هذا المعتقد بعرضها على الكتاب ، والسنة .
٥. وجود أناس في الأمة الإسلامية في الوقت الحالي يدافعون عن هذه الأفكار؛ بل ويدعون إليها بحماسة.
٦. بيان الأسباب التي دفعت غلاة الصوفية إلى تعظيم الأولياء .
٧. جمع مبحث الولاية في رسالة خاصة له قيمته العلمية .
٨. الذود عن الدين الحق ، والدفاع عن السنة النبوية المطهرة من الشركيات ، والبدع .

الدراسات السابقة :

حسب علمي لم أعثر على بحث تحت هذا العنوان (الولاية عند غلاة الصوفية عرض ونقض) ، وقد تناول الصوفية كثير من المؤلفين والدارسين ، ومن الأبحاث التي دلت على هذا المبحث رسالة ماجستير بعنوان (تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض وتحليل)، تأليف: محمد أحمد لَوْح ، ولكن على وجه الإجمال دون تخصيص دراسة معينة لهذا المبحث ، وهذا البحث – إن شاء الله – سيتناول الولاية عند غلاة الصوفية عرض ونقض [(١)] .

منهج البحث :

سيكون البحث إن شاء الله معروضاً بطريقة المنهج الوصفي التحليلي [(٢)] .

طريقة البحث :

١. عزو الآيات القرآنية إلى سورها بذكر اسم السورة ، ورقم الآية في المتن دون الحاشية.
٢. عند تخريج الأحاديث التي تكون في البحث إن كانت في الصحيحين أكتفي بتخريجه منهما، أما إن كانت في غيرهما فأقوم بتخريجها من مظانها ، ونقل حكم العلماء عليها .

---

(١) الغلاة: من الغلو وهو مجاوزة الحد ، انظر: التوقيف على مهمات التعاريف ، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د . محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر– بيروت – دمشق، الطبعة الأولى(١٤١٠هـ)، ص ٥٤٠ .

(٢) المنهج الوصفي: هو وصف منظم للحقائق ، ولميزان مجموعة معينة ، أو ميدان من ميادين المعرفة المهمة بطريقة موضوعية وصحيحة . انظر: دليل البحث والتقويم التربوي ، تأليف: أحمد الخطيب وآخرون ، ص ٦٢ طبعة (١٩٨٥ م) .

٣. توثيق الحديث في الهامش بذكر اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة ، والكتاب والباب إن وجد ثم رقم الحديث .

٤. أخذ النصوص من مظانها – الكتب التي كتبها أصحابها – المنتسبين لتلك الفرق والمدافعين عن معتقداتها فإن لم أجد كلامهم في مسالة ما نقلت عمن كتب عنهم وأسند كلامهم لهم .

٥. عرض آراء وأفكار الفرقة على شكل مباحث ، ومناقشتها إن شاء الله .

٦. عند ذكر المرجع لأول مرة في البحث أكتب في الهامش اسم الكتاب ، ومؤلفه ، والجزء ، والصفحة ، والطبعة ، ودار النشر ، وأما إذا تكرر نفس المرجع مرة أخرى أكتفى بذكر اسم الكتاب ، والجزء ، والصفحة .

٧. التوثيق من شبكة المعلومات الالكترونية (الإنترنت) إن لزم الأمر.

٨. وضع فهارس للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، ومصطلحات التصوف التي تناولتها الرسالة، والمراجع ، والمصادر ، والموضوعات .

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة ، وفصلين ، وكل فصل مقسم إلى مباحث ، وخاتمة تشمل أهم النتائج ، والتوصيات ، والمقترحات .

الفصل الأول / التعريف بالولاية ، ومكانتها

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول / تعريف الولاية .

المطلب الأول / تعريف الولاية لغةً ، واصطلاحاً .

المطلب الثاني / تعريف الولاية عند غلاة الصوفية ، والرد عليهم .

المبحث الثاني / الفرق بين النبوة والولاية .

المطلب الأول / الفرق بين النبوة والولاية عند غلاة الصوفية ، والرد عليهم .

المطلب الثاني / الفرق بين النبوة والولاية عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثالث / تحصيل الولاية .

المطلب الأول / تحصيل الولاية عند غلاة الصوفية ، والرد عليهم .

المطلب الثاني / تحصيل الولاية عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الرابع / مكانة الولاية .

المطلب الأول / مكانة الولاية عند غلاة الصوفية ، والرد عليهم .

المطلب الثاني / مكانة الولاية عند أهل السنة والجماعة .

الفصل الثاني / مراتب الأولياء ، وخصائصهم ، وكراماتهم .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول / مراتب الأولياء .

المطلب الأول / مراتب الأولياء عند غلاة الصوفية ، والرد عليهم .

المطلب الثاني / مراتب الأولياء عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني / خصائص الأولياء .

المطلب الأول / خصائص الأولياء عند غلاة الصوفية .

المطلب الثاني / الرد على خصائص الأولياء عند غلاة الصوفية .

المبحث الثالث / كرامات الأولياء .

المطلب الأول / كرامات الأولياء عند غلاة الصوفية ، والرد عليهم .

المطلب الثاني / كرامات الأولياء عند أهل السنة والجماعة .

الخاتمة / وتشتمل على أهم النتائج ، والتوصيات ، والمقترحات .

الفصل الأول

تعريف الولاية ، ومكانتها

المبحث الأول: تعريف الولاية .

المبحث الثاني: الفرق بين النبوة والولاية .

المبحث الثالث: تحصيل الولاية .

المبحث الرابع: مكانة الولاية .

المبحث الأول

تعريف الولاية

المطلب الأول: تعريف الولاية.

المطلب الثاني: تعريف الولاية عند غلاة الصوفية.

المطلب الأول

تعريف الولاية

تمهيد :

إن التصوف الإسلامي المعتدل يقوم على الكتاب ، والسنة ، ومجاهدة النفس ، والشهوات ، وغرس الفضائل ، والبعد عن الرذائل ، والشهوات ، والصبر على الابتلاءات ، ومن الجدير بالذكر بيان المنهج الوسط في قضية الصوفية ، فهناك من غالى من المتصوفة ، وهناك من كان منهجه قائم على البدع ، والخرافات ، والعقائد المنحرفة ، والباطلة ، كعقيدة الحلول ، وعقيدة وحدة الوجود، وعليه فإن هناك تصوف محمود ، وتصوف مذموم ، أو تصوف سني ، وتصوف بدعي(١) .

أولاً : التصوف السني :

هو ما كان قرين الزهد ، والتقلل من متاع الدنيا ، وملذاتها ، وهو امتداد لما كان عليه النبي ﷺ ، وأصحابه ﷺ، وإن كان هذا الزهد لم يعرف باسم التصوف إلا في أواخر القرن الثاني الهجري ، فإن أصله ، ومعناه ، وحقيقته كان معروفاً في زمن النبي ﷺ ، والقرآن الكريم هو الأساس الذي يستمد منه كل علم شرعي شرعيته ، وعليه يعتمد أهل الحق في التمسك بحقهم ، كما أن القرآن الكريم هو الكتاب الخاتم ، وهو الكامل الشامل ، قال تعالى:﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [المائدة:٣] ، لذلك لم يهمل القرآن الكريم الدعوة إلى الزهد ، والتقلل من متاع الحياة الدنيا ، وقد حث على ذلك في كثير من آياته ، قال تعالى:﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [الأنعام:٣٢]، وكذلك السنة المطهرة ، فهي المصدر الثاني من مصادر هذا الدين ، لذا فإن الناظر في كتب السنن وفى شمائل النبي ﷺ يجدها مليئة بالدعوة إلى الزهد ، ودنوها لطالبيها ، وأنها مزرعة الآخرة ، ولا تغنى عن الآخرة شيئا ، عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ:" **إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُون ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاء ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ**

---

(١) هذا التمهيد منقول بتصرف من بحث بعنوان : " مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ، تـأليف : الدكتور : محمود يوسف الشوبكي ، أستاذ مشارك بقسم العقيدة والمذاهب الفكرية ، كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية – غزة .

بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِى النِّسَاءِ " [(١)] ، وقال مبيناً تعاسة من تمسك بها ، وشغل نفسه بها ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " **تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَار ، وَالدِّرْهَم ، وَالْقَطِيفَة ، وَالْخَمِيصَة ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ** " [(٢)] ، ولا نتعجب من زهد النبي ﷺ ، وصحابته الكرام ﷺ في هذه الدنيا ، وهذا كله كان مبني على القرآن ، والسنة؛ لأنهما الأساس ، وعند الرجوع إلى حياة السلف الصالح في زمن النبي ﷺ ، وصحابته الكرام ، والتابعين نرى فيهم التأسي برسول الله ﷺ بترك متاع الدنيا ، وزخرفها ، فالنبي ﷺ كان يقلل من شأن الدنيا ، وهو سيد الخلق كان أزهد الناس ، فهذا عمر بن الخطاب يوضح لنا منهج النبي ، والصحابة ﷺ من بعده في الزهد ، ويرسم لنا المنهج القويم في فهم حقيقته ، أخرج ابن عساكر عن الحسن البصري في زهد عمر ، يحدث عن الصحابة ﷺ : " عندما رأوا زهده ، فقالوا: ما ترون يا معشر المهاجرين ، والأنصار إلى زهد هذا الرجل وإلى حليته ، لقد تقاصرت إلينا أنفسنا مذ فتح الله ﷻ على يديه ديار كسرى وقيصر ، وطرفي المشرق والمغرب ، ووفود العرب ، والعجم يأتونه فيرون عليه هذه الجبة قد رقعها اثنتي عشرة رقعة ، فلو سألتم معاشر أصحاب محمد ﷺ ، وأنتم الكبراء من أهل المواقف ، والمشاهد مع رسول الله ﷺ ، والسابقين من المهاجرين ، والأنصار يغيّر هذه الجبة بثوب لين يهاب فيه منظره ، ويغذى عليه بجفنة من الطعام ، ويراح عليه بجفنة يأكله ، ومن حضره من المهاجرين والأنصار ، فقال القوم بأجمعهم: ليس لهذا القول إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه أجرأ الناس عليه وصهره على ابنته ، أو ابنته حفصة – فإنها زوجة رسول الله ﷺ ، وهو موجب لها لموضعها من رسول الله ﷺ ، فكلموا علياً فقال علي: لست بفاعل ، ولكن عليكم بأزواج النبي ﷺ، فإنهن أمهات المؤمنين يجترئن عليه ، فقال الأحنف بن قيس ﷺ : فسألوا عائشة ، وحفصة رضي الله عنهما ، وكانتا مجتمعتين ، فقالت عائشة رضي الله عنها: إني سائلة أمير المؤمنين ذلك ، وقالت حفصة رضي الله عنها: ما أراه يفعل ، وسيبين لك ذلك ، فدخلتا على أمير المؤمنين فقربهما ، وأدناهما ، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا أمير المؤمنين أتأذن أكلمك ؟ ، قال: تكلمي يا أم المؤمنين ، قالت: إن رسول الله ﷺ مضى لسبيله إلى جنته ، ورضوانه لم يرد الدنيا ولم ترده ، وكذلك مضى أبو بكر ﷺ على إثره لسبيله بعد إحياء سنن رسول الله ﷺ ، وقتل المكذبين ، وأدحض حجة المبطلين ، بعد عدله في الرعية،

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء ، وبيان الفتنة بالنساء ، ٨ / ٩٨ ح (٧١٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب ما يتقى من فتنة المال ، وقول الله تعالى:" إنما أموالكم وأولادكم فتنة"، ٨/ ٩٢ ح(٦٤٣٥)، القطيفة: كساء أسود مربع ، الخميصة : يعني الثياب، انظر: القاموس المحيط، ص ٧٩٧.

وقسمه بالسوية ، وإرضاء رب البرية ، فقبضه الله ﷻ إلى رحمته ، ورضوانه ، وألحقه بنبيه ﷺ بالرفيق الأعلى ، لم يرد الدنيا ، ولم ترده ، وقد فتح الله ﷻ على يديك كنوز كسرى ، وقيصر وديارهما ، وحمل إليك أموالهما ، ودانت لك أطراف المشرق والمغرب ، ونرجو من الله ﷻ المزيد ، وفي الإسلام التأييد ، ورسل العجم يأتونك ، ووفود العرب يردون عليك ، وعليك هذه الجبة ، وقد رقعتها اثنتي عشرة رقعة، فلو غيرتها بثوب لين يهاب فيه منظرك، ويغذى عليك بجفنة من الطعام ، ويراح عليك بجفنة تأكل أنت ، ومن حضرك من المهاجرين والأنصار ، فبكى عمر عند ذلك بكاءً شديدا ، ثم قال: سألتك بالله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ شبع من خبز برٍ عشرة أيام ، أو خمسة ، أو ثلاثة ، وجمع بين عشاء وغداء حتى لحق بالله ؟!. فقالت: لا ، فأقبل على عائشة فقال: هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قرب إليه طعام على مائدة في ارتفاع شبر من الأرض ، كأن يأمر بالطعام فيوضع على الأرض ويأمر بالمائدة فترفع ؟ قالتا: اللهم نعم ، قال لهما: أنتما زوجتا رسول الله ﷺ ، وأمهات المؤمنين ، ولكما على المؤمنين حق، وعليّ خاصة ، ولكن أتيتما ترغباني في الدنيا ، وإني لأعلم أن رسول الله ﷺ لبس جبة من الصوف فربما حك جلده من خشونتها ، أتعلمان ذلك ؟ قالتا: اللهم نعم ، فقال: هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان يرقد على عباءة على طاقة واحدة ، وكان مسحاً في بيتك يا عائشة تكون بالنهار بساطا ، وبالليل فراشاً فندخل عليه فنرى أثر الحصير على جنبه ، ألا يا حفصة أنت حدثتيني أنك ثنيت له ذات ليلة فوجد لينها فرقد فلم يستيقظ إلا بأذان بلال ، فقال لك: يا حفصة ماذا صنعت ؟ أثنيت المهاد ليلتي حتى ذهب بي النوم إلى الصباح ؟ مالي وللدنيا ، ومالي شغلتموني بلين الفراش ، يا حفصة ، أما تعلمين أن رسول الله ﷺ كان مغفوراً له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر ، أمسى جائعاً ، ورقد ساجداً ، ولم يزل راكعاً ، وساجداً، وباكياً ، ومتضرعاً في آناء الليل ، والنهار إلى أن قبضه الله ﷻ برحمته ورضوانه ، لا أكل عمر طيباً ، ولا لبس ليناً ، فله أُسوة بصاحبيه ، ولا جمع بين أدمتين إلا الملح والزيت ، ولا أكل لحماً إلا في كل شهر ينفض ما انفض من القوم ، فخرجتا فخبرتا بذلك أصحاب رسول الله ﷺ فلم يزل كذلك حتى لحق بالله ﷻ " [1] ، والمتتبع لقصص الصحابة ﷺ في كتاب حلية الأولياء ، والبداية والنهاية ، وكتب السنن ، يجد الكثير من قصصهم ، ومناقبهم ، وكذلك التابعين من بعدهم.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل ، تأليف: ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، دار الفكر- بيروت ، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، الطبعة (١٩٩٥م) ، ٤٤ / ٢٩٥ .

ومن أعلام التصوف السني :

إبراهيم بن أدهم :

ولد سنة ١٩٩ هـ ، كان يكنى بأبي إسحاق ، خرج إلى العراق ، وإلى الشام طلباً للعمل وللرزق الحلال ، وكان يأكل من عمل يده ، تعلم على يد علماء العراق ، والحجاز ، ورغم أن أباه ترك له مالاً كثيراً إلا أنه تركه ، ولم يعبأ له ، توفي رحمه الله سنة ١٦١ هـ – ٧٧٨ م ، وهو مرابط مجاهد في إحدى جزر البحر المتوسط ، ولما شعر بدنو أجله قال لأصحابه: أوتروا لي قوسي ، فأوتروه ، فقبض على القوس ، ومات وهو قابض عليها يريد الرمي بها ، وقيل: إنه مات في حملة بحرية على البيزنطيين ، ودفن في مدينة جبلة على الساحل السوري (١) .

عبد الله بن المبارك :

هو عبد الله بن المبارك المروزي ، كان يكنى بأبي عبد الرحمن ، ولد سنة ١١٨ ه ، كان سخياً، عالماً ربانياً ، موصوفاً بالزهد ، والحديث ، والفقه ، سمع الثوري ، والليث بن سعد ، وأول من صنف في الجهاد كتاباً خاصاً به هو عبد الله بن المبارك ، أفنى عمره في الأسفار تاجراً ، مجاهداً، مات عائداً من غزو الروم سنة ١٨١هـ (٢) .

معروف الكرخي :

هو معروف بن فيروز الكرخي ، ولد في كرخ ببغداد ، كان مشهوراً بالصلاح ، حريصاً على الحق، ومن أقواله المأثورة التي تبين صدق منهجهم في التصوف ، قال: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل (٣) .

ثانياً : التصوف البدعي :

أما التصوف الذي ذمه الإسلام ، ونهى عنه ، وحذر منه ، فهو التصوف البدعي الذي كان خليطاً من التصوف الإسلامي ، والتصوف الجاهلي الفلسفي ، وقد كان رجاله أهل علم ، ونواياهم حسنة ، ولكن أثرت فيهم العادات السائدة في عصرهم ، وخاصة ما فيها من بدع ، وفلسفات ، بعضهم حاول إصلاح الطرق فلم يستطع ، فاضطروا إلى تأويل أعمالهم التي هي في الظاهر مخالفة لكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ليوهموا الناس بأنها لا تعارض النصوص

---

(١) الأعلام للزركلي ، ١ / ٣١ .

(٢) المصدر السابق ، ٤ / ١١٥ .

(٣) المصدر السابق ، ٧ / ٢٦٩ .

الشرعية ، وليسلموا من الطعون ، والانتقادات الموجهة إليهم ، وهؤلاء القوم ليس لهم تطلع لإقامة دين الله تعالى في الأرض بل هم يشغلون أنفسهم بأمور أهمها:

١- الاشتغال بأذكار ، وأوراد غالباً ما تكون طريقتهم في الذكر غير مطابقة للسنة بل تشتمل على بعض البدع ، والتوسل بالأنبياء ، والصالحين ، وتم بيان ذلك ، والرد عليه خلال الرسالة .

٢- تعظيم المريدين لشيخ الطريقة التي يتبعونها ، والطاعة المطلقة له حتى لو رآه على منكر فلا يجوز له ذلك ، وهذا مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة .

٣- الخلوات ، والعزلة ، وما يتبعها من هواجس ، وخواطر تجعل الإنسان المسلم يجول في بحر الأفكار ، والأوهام الشيطانية غالباً.

ومن أعلام التصوف البدعي :

البوصيري :

هو محمد بن سعيد البوصيري ، نسبة إلى أبي صير في بني سويف بمصر ، و توفي بالإسكندرية، عاش ما بين (٦٠٨ – ٦٩٦ هـ ، ١٢١٢ – ١٢٩٦ م)، له ديوان شعر ، وأشهر أشعاره البردة ، وفيها ما فيها من المخالفات الشرعية ، والعقائدية [١] .

الحلاج :

هو الحسين بن منصور الحلاج ، ولد بفاس سنة ٢٤٤ ه ، صوفي متكلم ، وله اتصال بالقرامطة، له شطحات كثيرة ، من أصحاب عقيدة الحلو والاتحاد ، واتهم بالزندقة ، فرفع أمره إلى القضاء، وتم محاكمته أمام الناس والفقهاء ، فلقي مصرعه مصلوباً بباب خراسان المطل على دجلة على يدي الوزير حامد بن العباس ، تنفيذاً لأمر الخليفة المقتدر سنة ٣٠٩ هـ [٢] .

ابن عربي :

هو محيي الدين بن محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي ، الحاتمي ، صوفي ومتكلم ، وفقيه ، وأديب ، ومفسر ، ولد بالأندلس سنة ٥٦٠هـ – ١١٦٤م ، كان يلقب بالشيخ الأكبر ، والكبريت الأحمر ، له أراء سقيمة أنكرها عليه كثيرٌ من أهل عصره ، واتهموه

---

(١) الأعلام ، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت، طبعة(١٩٥٦ م)، ٦ / ١٣٩ .

(٢) تاريخ بغداد ، تأليف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٨ /١١٢، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، إشراف الدكتور: مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية ، ١ / ٣٤٣.

بالزندقـــة ، وعمل بعضهم على قتله خاصة في مصر ، وحرم الشيخ جلال الدين السيوطي النظر في كتبه ، له مؤلفات كثيرة منها: الفتوحات المكية ، وفصوص الحِكَم ، توفي في دمشق عام ٦٣٨هـــ -١٢٤٠م (١) .

ابن سبعين :

هو عبد الحق بن محمد بن نصر الإشبيلي المرسى القرمطي ، ولد سنة ٦١٤ هـــ ، وتوفى سنـــة ٦٦٩ هـــ ، وتوفـــى منتحرا ، قيل: أنه فصد الدم من يديه ، وتركه ينزف حتى تصفى فمات ، وهو صوفي ، وحكيم ، من أقواله السقيمة: " لقد كذب ابن أبي كبشة حين قال لا نبي بعدي"، ومن مؤلفاته أسرار الحكمة ، وكتاب جواهر السر المنير ، ولا تخلو مؤلفاته من الأقوال الباطلة، كان يكثر من القول بوحدة الوجود في مؤلفاته ومواعظه (٢) .

السهروردي :

شهاب الدين عمر السهروردي فيلسوف إشراقي ، ولد في سهرورد الواقعة شمال غربي إيران ، ولد سنة٥٤٩هـــ ، وقرأ كتب الدين ، والحكمة ، سافر إلى حلب وبغداد، حيث كان مقتله بأمر صلاح الدين بعد أن نسب البعض إليه فساد معتقده ، وكان مقتله بقلعة حلب سنة ٦٦٥ هـــ ، مع أنه كان من كبار المتصوفة في زمانه ، ويعد مؤسساً للفكر الفلسفي الإشراقي ، الذي يدعو إلى الوصول للمعرفة عن طريق الذوق ، والكشف الروحاني ، جمع بين عدة توجهات فلسفية من اليونان ، ومصر ، وغيرها كنماذج فلسفية لتوضيح الفلسفة الإشراقية ، أكبر من دعى إلى التأمل الروحاني من بين الفلاسفة المسلمين كما عرف عنه بعدم الاقتناع بالمصادر بل بأسلوب التفكير الذاتي والنفسي، ومات سنة ٥٨٦ هـــ- ١١٩٠م " ، وله كثير من المؤلفات بعضها مطبوع مثل: هياكل النور ، رسالة في اعتقاد الحكماء ، حكمة الإشراق (٣) .

وبعد هذا التمهيد لبيان حقيقة غلاة الصوفية ، سيكون الحديث عن الولاية عندهم ، وبيان منهج أهل السنة والجماعة في الرد عليهم .

---

(١) سير النبلاء للذهبي ، ١٣ / ٢٣١ .

(٢) الأعلام للزركلي ، ٣ / ٢٨٠ .

(٣) المصدر السابق ، ٨ / ١٤٠ .

تعريف الولي لغةً :

الوَلْي بفتح فسكون ، الواو ، واللام ، والياء: أصل صحيح يدل على: القُرْب والدُّنُو ، وأَوْلَيْتُ أن أفعل كذا: أي دَنَوت أن أفعله ، والولاية تستعمل في عدّة معان ، ومنها: الولاء ، والمُلك، والقُرب ، والقَرابة ، والنصرة ، والمحبة ، والخطة ، والإمارة ، والسلطان ، والبلاد التي يتسلط عليها الوالي ، وقيل: وكل مما يَلِيكَ: أي مما يقاربك ، والولي كغني: الاسم منه على مثال الرمي والنعي ، وجمعها أولياء ، وولي العهد: وارث الملك ، وولي المرأة: من يلي عقد النكاح عليها، ولا يدعها تستبد بعقد النكاح من دونه ، وولي اليتيم الذي يلي أمره ويقوم بكفايته . قال ابن الأَثير: "وكأَن الوِلاية تُشعر بالتَّدْبير والقُدرة والفِعل ، وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي" [(١)] ، وقال ابن الأثير: " وقد تختلف مصادر هذه الأَسماء فالولاية بالفتح في النسب والنُّصرة والعِتْق يقال: هم عَلَي وَلاية أَي مجتمعون في النصرة ، والوِلايةُ بالكسر في الإِمارة والسلطان والخطة " [(٢)] ، و(الوِلاية) بكسر الواو يعني: السلطان والأمر ، والوَلاية بفتح الواو ، من الموالاة كقوله:﴿ **اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا** ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقوله:﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ** ﴾ [محمد:١١] [(٣)] .

مما سبق يتضح أن الولاية بفتح الواو هي موضع دراسة الرسالة: حيث الولاية بالكسر تعني الإمارة والسلطان ، بينما الولاية بالفتح تعني النصرة والمحبة والقرب والدنو ، وجميعها تدلل على ولاية الله للعبد المؤمن ، وموالاته له– والله أعلم – .

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، تأليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية للنشر ، ٤٠ / ٢٤١ . مختار الصحاح ، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، الطبعة (١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م) ، تحقيق: محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ص ٧٤٠ . معجم مقاييس اللغة ، تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للنشر، الطبعة (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) ، ٦ / ١٤١ . المعجم الوسيط ، تأليف: مجموعة من العلماء: إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، تحقيق: مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة للنشر ، ٢ / ١٠٥٨.

(٢) لسان العرب ، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر – بيروت للطباعة ، ١٥ / ٤٠٥ .

(٣) انظر: الكشف والبيان ، تأليف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الطبعة الأولى(١٤٢٢ هـ– ٢٠٠٢ م)، ٦ / ١٧٢ .

تعريف الولي اصطلاحاً :

تعدد تعريف العلماء للولي والأولياء وولاية الله ، وجميعها متقاربة من حيث الأساس وهو تحصيل الإيمان والتقوى بطاعة الله ﷻ ، واجتناب معصيته ، والاختلاف يسير لا يعدو عن تكامل للتعريف من حيث جمع صفات للأولياء ، وتحصيلها وهي كالتالي:

١. عرفه **الطبري** بقوله: " هو كل مؤمن تقي ، حيث عرّف الأولياء بأنهم ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [يونس:٦٣] ، المؤمن المتقي هو الولي ، قال الطبري رحمه الله عند ذكر الآية: " والصواب من القول في ذلك أن يقال: ولي الله هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها ، وهو الذي آمن واتقى كما قال الله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ** ﴾ " (١).

٢. **قال الحافظ ابن حجر** في تعريف الولي : " المراد بولي الله المواظب على طاعته المخلص في عبادته " (٢) .

٣. وعرفه **الطحاوي** بقوله: " والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن ، وأكرمهم عند الله أطوعهم ، وأتبعهم للقرآن " (٣) .

٤. **وقيل:** أولياء الله: هم المتحابون في الله: ونقل الطبري ، وصاحب تفسير الخازن تعريف الأولياء فقال: " هم المتحابون في الله " (٤) ، ويدل على ذلك ما روي **أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ** ﷺ **قَال: قَالَ** ﷺ : " **إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاء ، وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ الأَنْبِيَاء ، وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّه ، عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُم ، وَلا أَمْوَالٍ**

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) ، ١١ / ٩٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة مدينة النشر: بيروت ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، ١١ /٣٤٢ .

(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، تأليف: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) ، ص ٢٣٤ .

(٤) تفسير الطبري ، ١٥ / ١٢٠ ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، تأليف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، دار الفكر – بيروت – لبنان ، طبعة (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ، ٣ / ١٩٦.

يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُور ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُور ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاس ، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاس ، وقرأ:﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢] (١) .

٥. قال **المتكلمون:** " ولي الله من يكون آتياً بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ، ويكون آتياً بالأعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة " (٢) .

٦. **وقيل:** هم قوم يُذْكَرُ الله لرؤيتهم: ورؤيتهم تذكرنا بالله؛ لما عليهم من سمات الخير والصلاح (٣) ، ويدل على هذا التعريف حديث النبي ﷺ الذي رواه سعيد بن جبير قال: سئل رسول الله ﷺ من أولياء الله ؟ قال: " **الذين إذا رؤوا ذكر الله عز و جل** " (٤) ، ويؤكد الرازي رحمه الله فيقول: " قال أهل التحقيق: السبب فيه – يُذكر الله لرؤيتهم– أن مشاهدتهم تذكر أمر الآخرة لما يشاهد فيهم من آيات الخشوع والخضوع ، ولما ذكر الله تعالى في قوله:﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ** ﴾ [الفتح:٢٩] ، وأما الأثر ، فقال

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، بحاشيته عون المعبود ، تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ، دار الكتاب العربي ، كتاب الإجارة ، باب في الرهن ، ٣ / ٣١١ ح (٣٥٢٩) ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود ، ٨ / ٢٧ .

(٢) مفاتيح الغيب ، المسمى تفسير الرازي ، تأليف: الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م) ، ١٧ / ١٠١ .

(٣) انظر: تفسير الطبري ، ١٥ / ١١٩ ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله ، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي عوض ، مكتبة العبيكان – الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٨ه ، ١٩٩٨م) ، ٣ / ١٥٣ ، الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م) ، ٨ / ٣٥٧ .

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ، ١ / ٦ ، قال الألباني : " الحديث حسن ، لاسيما و له شواهد من حديث عمرو بن الجموح وسعد بن أبي وقاص ، وأسماء بنت يزيد رضي الله عنهم ، عند أبي نعيم في " الحلية "، وأخرجه في السلسلة الصحيحة ، ٢ / ٣٩٠ .

أبو بكر الأصم [١] : أولياء الله هم الذين تولى الله تعالى هدايتهم بالبرهان ، وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة إليه " [٢] .

٧. وعرف **الواحدي** [٣] الأولياء ، فقال: " هم الذين تولى الله سبحانه هداهم " [٤].

٨. **وقيل:** أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة [٥] .

٩. وذكر **الشوكاني** رحمه الله [٦] أن أولياء الله هم: " خلص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته " [٧] .

من خلال ما سبق يتضح أن التعريفات جمعت: تعريف الولاية ، والولي ، وذكر صفات الأولياء ، ومعظمها يدور على صفات الأولياء ألا وهي الإيمان والتقوى ، وكذلك حفظ الحدود والطاعات ، واجتناب المعاصي ، وكثرة الذكر ، وبما أن الإيمان يزداد وينقص فإن الولاية تزداد وتنقص تبعاً لها؛ لأن الإيمان طريق الولاية وعليه: فكل مؤمن له وَلاية بحسب إيمانه ، فكل من فيه إيمان وتقوى فهو ولي الله ، ولكن الولاية تتفاضل بحسب الأعمال ، فمنهم من

---

(١) هو عبد الرحمن بن كيسان ، أبو بكر الأصم ، توفي حوالي سنة ٢٢٥هـ - ٨٤٠ م) ، فقيه معتزلي مفسر، قال ابن المرتضى: كان من أفصح الناس وأفقههم ، وأورعهم ، (انظر: الأعلام للزركلي ، ٣ / ٣٢٣) .

(٢) تفسير الرازي ، ١٧ / ١٠٠-١٠١ .

(٣) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية ، أبو الحسن الواحدي: مفسر ، عالم بالأدب ، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل ، مولده ووفاته بنيسابور ، الواحدي نسبة إلى الواحد بن الديل ابن مهرة ، له كتاب البسيط ، وكتاب الوسيط ، وكتاب الوجيز " كلها في التفسير ، وتوفي سنة (٤٦٨ هـ - ١٠٧٦ م)، (انظر: الأعلام للزركلي ، ٤ / ٢٥٥) .

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، المسمى تفسير النسفي ، تأليف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار ، دار النفائس- بيروت ، الطبعة (٢٠٠٥ م) ، ٢ / ١٤٥ .

(٥) أنوار التنزيل و أسرار التأويل للإمام البيضاوي ، دار الفكر - بيروت ، ١ / ٢٠٦ . البحر المحيط ، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) ، ٥ / ١٧٣ ، الكشاف ، ٣ / ١٥٣ .

(٦) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن ، ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان ، باليمن)، وولي قضاء صنعاء ، ومات حاكماً بها،(١١٧٣- ١٢٥٠ هـ ١٧٦٠ - ١٨٣٤ م)، له ١١٤ مؤلفاً ، منها : كتاب نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ، وكتاب إرشاد الفحول ، وكتاب تحفة الذاكرين ، وكتاب التحف في مذهب السلف ، (انظر : الأعلام للزركلي ، ٦ / ٢٩٨) .

(٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تأليف: محمد بن علي الشوكاني ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى(١٤١٥ ه - ١٩٩٤ م) ، ٢ / ٦٦٠ .

ولايته كاملة ، ومنهم من ولايته تنقص بنقص إيمانه وهذا ما فُهم من كلام الطحاوي رحمه الله بقوله: " والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن ، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن "[(١)] .

مما سبق يكون ولي الله تعريفه: هو كل مؤمن تقي ، طائعاً لله ﷻ مجتنباً نواهيه ، حافظاً لحدوده ، محافظاً على النوافل ، ذكراً أو أنثى ، ومات على ذلك ، ومن خلال التعريف لا يخرج المؤمن من ولاية الله ﷻ، ولكن تتفاوت رتبته بحسب إيمانه وتقواه ، فكلما ازداد العبد طاعة لمولاه كلما زاده المولى قرباً وولاه ، وكلما قصّر العبد في طاعة مولاه ، وبعد عن تقواه فإنه تنقص ولايته عند الله .

---

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، تأليف: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، ص ٢٣٤ .

المطلب الثاني

تعريف الولاية عند غلاة الصوفية

تقاربت تعريفات الولاية عند غلاة الصوفية ، بمعنى الحفظ ، والعناية مع تحصيل الكرامات، وكان للكرامة النصيب الأكبر ، وعدها بعضهم أنها شرط من شروط صحة الولاية ، وسأتناول أقوال بعضهم في تعريف الولاية والرد عليهم .

تعريف الولاية عند غلاة الصوفية :

١- تعريف أبي يزيد (١) :

قال أبو يزيد: " حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء ، وقيام كل فريق منهم باسم، وهو: الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، فمتى فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام ، فمن كان حظه من اسمه تعالى الظاهر لاحظ عجائب قدرته ، ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره ، ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق ، ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطاً بما يستقبله ، وكلُ كُوشِفَ علي قدر طاقته إلا من تولاه الحق سبحانه ببره ، وقام عنه بنفسه " (٢) .

الرد على تعريف أبي يزيد :

في تعريف أبي يزيد تخصيص الولي بأنه من نال حظه من الأسماء الأربعة فقط السابق ذكرها فهذا أيضاً تخصيص نصيب الولي بأسماء الله الأربعة دون غيرها ، ولكنّ المؤمن مأمور بالدعاء بأسماء الله تعالى جميعها ، وإذا طلب فإنه يطلب من الله بها ، قال تعالى:﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف:١٨٠] ، وأسماء الله تعالى ليست محصورة في هذه الأسماء الأربعة فقط ، ولا محصورة في التسعة وتسعين التي ورد ذكر العدد في بعض الأحاديث التي تذكر تسعة وتسعين اسماً؛ بل أسماء الله تعالى كثيرة لا يعلمها إلا هو ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" **مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَم ، وَلاَ حُزْنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُك ، ابْنُ عَبْدِك ، ابْنُ أَمَتِك ، فِي قَبْضَتِكَ نَاصِيَتِي**

---

(١) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البِسطامي ، ولد سنة (١٨٨هـ) (٨٠٤ م)، من الأعلام الزهاد كان جده زردشتيًا وأسلم ، اسمه الفارسي بايزيد كما عرف كذلك باسم طيفور ، وله أخوان هما آدم وعلي ، وكلهم زهاد عباد ، وأبو يزيد أجلهم حالاً ومقاما ، وهو من أهل بسطام ، مات سنة (٢٦١هـ) (٨٧٥ م)، (انظر: الأعلام ، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي ، ٣ / ٢٣٥) .

(٢) الرسالة القشيرية ، ص ١١٧ .

بيدِك ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُك ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُك ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَك ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَك ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ عَلَى أَحَدٍ فِي كِتَابِك ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِك ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَك ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجَلاءَ حُزْنِي ، وَنُورَ بَصَرِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ ﷻ هَمَّه ، وَحُزْنَه ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا ، قَالَ:فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلاَ نَتَعَلَّمُهَا؟ قَالَ: بَلَى ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا " (١) ، والشاهد قوله: **أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ...، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَك**، وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحدٌ حصره ، ولا الإحاطة به ، قال الجزري رحمه الله في تعليقه على الحديث : " الاستئثار بالشيء التخصص به والانفراد ، أي: انفردت بعلمه عندك لا يعلمه إلا أنت ، وفيه دليل على أن لله ﷻ أسماء غير التسعة والتسعين الاسم المتقدم ذكرها ، وفيه التوسل بأسماء الله تعالى التي سمَّى بها نفسه ، ما علم العباد منها ، وما لم يعلموا ، ومنها ما استأثر به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً " (٢) ، ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله معلقا على الحديث: " وقوله: أو استأثرت به في علم الغيب عندك دليل على أن أسمائه أكثر من تسعة وتسعين ، وأن له أسماء ، وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره ، وعلى هذا فقوله: أن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة لا ينفي أن يكون له غيرها ، والكلام جملة واحدة أي: له أسماء موصوفة بهذه الصفة ، كما يقال: لفلان مائة عبدٍ أعدهم للتجارة ، وله مائة فرسٍ أعدها للجهاد ، وهذا قول الجمهور " (٣) ، ثم لو كان الاقتصار على الأسماء فقط التي ذكرها في التعريف ، فلماذا النبي ﷺ عندما سئل أنتعلمهن؟ فقال: أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن، لماذا أمر بنشرهن ؟! ، أم فقط الأسماء الأربعة التي حث عليها أبو يزيد فقط هي حظ الولي – فلا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) أخرجه نور الدين الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة ، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة ، الطبعة الأولى (١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م)، ٢ / ٧٥٩ ح (١٠٥٧) ، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة ، ١ / ٣٣٧ .

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، تأليف: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند ، الطبعة الثالثة (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م) ، ٨ / ٢٠٥ .

(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، المشهور بابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي ، دار الفكر– بيروت، الطبعة (١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م) ، ص ٢٧٧ .

وفي التعريف السابق لغلاة الصوفية للولي تخصيص الأربعة أسماء لم تشمل اسم الحي، ولا اسم القيوم ، رغم أنه ورد أحاديث تبين فضل هذين الاسمين على وجه الخصوص ، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ** " [١] ، فاسم الله الأعظم أطلقه النبي ﷺ على اسمين مقترنين هما الحي القيوم ، والرحمن الرحيم .

مما سبق يتضح أن حظ الولي لا يقتصر على الأسماء الأربعة بل يجب أن يدعو المؤمن بكل اسم لله تعالى كما في قوله تعالى:﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

٢- تعريف لسان الدين بن الخطيب [٢] :

الولاية: " أن يتولى الله الواصل على حضر قدسه، بكثير مما تولى به النبي عليه السلام، من حفظ، وتوفيق، وتمكين ، واستخلاف ، وتصريف " [٣] .

الرد على تعريف ابن الخطيب:

في تعريف الولاية لابن الخطيب الكلام يوحي بالمساواة بين النبي عليه السلام ، والولي في الحفظ والتصريف ، فكلامه يوحي بأن الولي يحدث له من الآيات ، والمعجزات ما يحدث للنبي، وهذا لا يستوي في عقيدة أهل السنة والجماعة -كما سيأتي إن شاء الله في التفريق بين النبي والولي- [٤] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ، تأليف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، دار الجيل – بيروت ، تحقيق: بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى (١٤١٨ه ، ١٩٩٨م) ، باب اسم الله الأعظم ، ٥ / ٣٧١ ح (٣٨٥٥) ، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه ، ٨ / ٣٥٥ .

(٢) هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب ، ولد في رجب ٧١٣ ه – ١٣١٣م في قرية لوشة بالقرب من غرناطة ، وتوفي في قرية فاس ، ٧٧٦ هـ – ١٣٧٤م ، درس الأدب الطب والفلسفة في جامعة القرويين بفاس. قضّى معظم حياته في غرناطة في خدمة بلاط بني نصر وعرف بذي الوزارتين: الأدب والسيف ، من مؤلفاته المعروفة: اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ولقب لسان الدين بن الخطيب وكان يلقب بذي الوزارتين: القلم والسيف ، ويقال له:ذو العمرين؛ لاشتغاله بالتصنيف في ليله، وبتدبير المملكة في نهاره ، ومؤلفاته تقع في نحو ستين كتابا ، (انظر: الأعلام للزركلي ، ٦ / ٢٣٥) .

(٣) التصوف المنشأ و المصادر ، تأليف: الشيخ إحسان إلهي ظهير ، ص ١٨٣ .

(٤) ذكر الفرق في الرسالة ، ص ٥٠ .

٣- تعريف الخراز [١] :

يقول أبو سعيد الخراز: " إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ، ثم أجلسه على كرسي التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية ، وكشف له عن الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو فحينئذ صار العبد زمناً فانيا ، فوقع في حفظه سبحانه ، وبريء من دعاوى نفسه " [٢] .

الرد على تعريف الخراز :

في هذا التعريف من قول الخراز حَصَر التولي ، والقرب من الله للعبد بالذكر ، وهذا تضييقٌ لواسع ألا وهو باب النوافل ، إذ النوافل لا تقتصر على الذكر فحسب ، فباب القرب ليس فقط الذكر ؛ بل النوافل كلها بجميع أنواعها ، كما في حديث الولاية القدسي المشهور ، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قال: " مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْه ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّه ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ به ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّه ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّه ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "** [٣] ، فهل النوافل محصورة على الذكر فحسب ؟! فأين صلاة النوافل من قيام الليل والضحى ، وصيام التطوع ، والصدقات ، وغيرها من النوافل ، فتخصيص الذكر دون غيره من النوافل يوحي بتعظيم الذكر دون غيره من النوافل عند غلاة الصوفية ، وتضييق لبابٍ واسعٍ ألا وهو باب النوافل ، فالنوافل: هي كل ما يتقرب به العبد لله تعالى زيادة على الفرائض، وعليه فالتقرب يكون ليس فقط بالذكر.

---

(١) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز البغدادي ، وهو من أهل بغداد ، صحب ذا النون المصري ، وأبا عبيد البسري ، وصحب أيضا سرياً السقطي ، وبشر بن الحارث ، وغيرهم ، وهو من أئمة الصوفية ،وجلة مشايخهم، قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء ، ، من كبار شيوخ الصوفية ، مشهوراً بالورع والمجاهدة، ومات سنة ٢٨٦هـ ، (انظر: تاريخ بغداد ، تأليف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٤ / ٢٧٦ ، وانظر: طبقات الصوفية ، للسلمي ، ٧٣) .

(٢) الرسالة القشيرية ، تأليف: أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، وضع حواشيه: خليل منصور ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م)، ص ١١٨ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ)، كتاب الرقائق ، باب التواضع ، ٥ / ٢٣٨٤ ح (٦١٣٧) .

وأمر آخر وهو رفع الحجب بقوله: ثم رفع عنه الحجب ، فهل الولي يرفع لـه الحجب فيرى الغيب ، ويعلم ما سيكون ؟! الجواب: قطعاً لا ، فالنبي ﷺ وهو نبي لم يكن يعلم الغيب ، – وسيأتي الرد على ادعاء الأولياء علم الغيب فيما بعد إن شاء الله – (١).

٤- تعريف الجرجاني نقلاً عن غلاة الصوفية :

نقل الجرجاني في كتابه التعريفات عن الصوفية بأن الولي: " هو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان ، وهو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن ، المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي ، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات " (٢) .

الرد على ما نقله الجرجاني عن غلاة الصوفية :

في التعريف السابق يثبتون للولي العصمة عن الوقوع في المعاصي ، بقولهم: توالت طاعته من غير أن يتخلله عصيان ، وهذا أيضاً مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة ، حيث كل ابن آدم خطاء ، والمعصوم من عصم الله ، وهم الأنبياء عليهم السلام ، والملائكة ، وأما قولهم: العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن ، فمعرفة الله أمر فطري فطر الله الناس عليها ، كما قال تعالى:﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الرُّوم:٣٠] ، وفي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَة ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه ، أَوْ يُنَصِّرَانِه ، أَوْ يُمَجِّسَانِه، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ** ثُمَّ قرأ:﴿ **فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾ [الرُّوم:٣٠] " (٣) ، وقال تعالى:﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾ [الأعراف:١٧٢] ، يقول ابن كثير رحمه الله: " يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم ، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ، ومليكهم ،

---

(١) تم الرد عليهم في هذه الرسالة ، ص ١٦٦ .

(٢) التعريفات ، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني ، دار الكتاب العربي – بيروت ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، الطبعة الأولى (٤٠٥) ، ص ٣٢٩ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات ، ١ / ٤٥٦ ح (١٢٩٢) .

وأنه لا إله إلا هو ، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك ، وجبلهم عليه " [١] ، ثم معرفة الله ليست بحسب ما يمكن كما يعرفونها؛ بل لابد من العلم المصاحب لها بدون شك ولا تزعزع ، قال تعالى:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد:١٩] ، ويقرر الشيخ السعدي رحمه الله عظمة العلم بالله فيقول: " العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته ، بمعنى ما طلب منه علمه ، وتمامه أن يعمل بمقتضاه ، وهذا العلم الذي أمر الله به – وهو العلم بتوحيد الله– فرض عين على كل إنسان ، لا يسقط عن أحد ، كائنا من كان ؛ بل كلٌ مضطر إلى ذلك " [٢]، فالسعدي رحمه الله يقرر مبدأ الباب الأعظم ، وهو التوحيد ، ومعرفة الله ، وأنه فرض عين ، وليس ما أمكن كما زعم الغلاة بقولهم معرفة الله ما أمكن؛ بل كانت دعوة الأنبياء جميعاً هي التعظيم لله، ومعرفته ، والإيمان به على التأبيد؛ لقوله تعالى:﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] : بمعنى الدوام على العبادة حتى يأتي الأجل ، والموت للإنسان .

٥– تعريف القشيري[٣] للولي :

الولي: له معنيان: أحدهما: فعيل بمعنى مفعول ، وهو من يتولى الله سبحانه أمره ، قال تعالى:﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦] ، فلا يكله إلى نفسه لحظة؛ بل يتولى الحق سبحانه رعايته ، والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل ، وهو الذي يتوالى عبادة الله وطاعته ، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان ، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليًّا: يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ، ودوام

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، المسمى تفسير ابن كثير ، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م)، ٣ / ٥٠٠ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م) ، ١ /٧٨٧ .

(٣) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري ، (٣٧٦ – ٤٦٥ هـ ، ٩٨٦ – ١٠٧٢ م) ، من بني قشير ابن كعب ، أبو القاسم، زين الإسلام ، شيخ خراسان في عصره ، زهداً وعلماً بالدين، كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها ، وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه ، من كتبه " التيسير في التفسير (انظر: الأعلام للزركلي ، ٤ / ٥٧) .

حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء ، ومن شرط الولي: أن يكون محفوظا ، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً " (١) .

الرد على تعريف القشيري للولي :

في هذا التعريف للولي يوحي بالعصمة ، وإن صرح بلفظ الحفظ بقوله ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً ، ولكن ورد في مواضع أخرى للقشيري ما يدل على المقصود بالحفظ هو العصمة صراحة من هذه المواضع: قوله أيضا: " وهو الذي يتولى الحق ، سبحانه ، حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي ، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان ، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة " (٢) ، فبدون أن يتخللها عصيان يعني عصمته من المعاصي ، ولا يخلق له الخذلان يعني دوام الطاعة دون معاصي ، وقوله أيضاً ما يؤكد مقصود الحفظ هو العصمة: " ولا يكون ولياً إلا إذا كان موفقاً لجميع ما يلزمه من الطاعات ، معصوماً بكل وجهٍ عن جميع الزلات " (٣) ، فهل هناك من البشر معصوم من جميع الزلات إلا من عصم الله سبحانه غير الأنبياء عليهم السلام ؟ ، ولكن الشرط التوبة والاستغفار من هذه الذنوب ، فمن تاب واستغفر فإن الله غفور رحيم، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" **كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**" (٤) ، فالحديث يقرر مبدأ الخطأ من الإنسان وليس العصمة ، ويبين التوبة وهل التوبة إلا من التقصير والذنوب! ، ومما يدل أيضاً على معناها بالعصمة سير أتباع غلاة الصوفية على تقرير مبدأ العصمة للأولياء، وتخصيصهم بها ، وجعلها من الصفات الأساسية للولي ، ونيل الولاية ، فولاية العبد لله تكون على قدر إيمانه وتقواه ، فالصحابة رضي الله عنهم الذين ارتكبوا كبائر ، كماعز والغامدية رضي الله عنهما ، **فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِى ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْه ، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيد ، ثُمَّ جَاء، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَتُبْ إِلَيْه ، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيد ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِى ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِك ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فِيمَ أُطَهِّرُك ، فَقَالَ مِنَ الزِّنَى. فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَبِهِ جُنُون ، فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ ، فَقَالَ: أَشَرِبَ**

---

(١) الرسالة القشيرية ، ص ١١٧ .

(٢) لطائف الإشارات للقشيري ، ١ / ١٥٩ .

(٣) المصدر السابق ، ٣ / ٢٤٨ .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الرقائق والقيامة والورع ، باب منه ، ٤ / ٦٥٩ ح (٢٤٩٩) ، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ٥ / ٤٩٩ .

خَمْرًا ، فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَزَنَيْتَ ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِم ، فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُه ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِه ، ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَة ، قَال: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْن ، أَوْ ثَلاَثَة ، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوس، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالك ، قَالَ فَقَالُوا: غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالك،- قَالَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُم ، قَالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الأَزْد ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي ، فَقَالَ: وَيْحَكِ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْه ، فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالك ،قَالَ: وَمَا ذَاكِ؟ قَالَتْ: إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزِّنَا ، فَقَالَ: آنْت ، قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهَا: حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِك ، قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَت ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّة ، فَقَالَ: إِذًا لاَ نَرْجُمَهَا وَنَدَعَ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُه ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَار ، فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّه ، قَالَ فَرَجَمَهَا " [١] ، رغم أنهم ارتكبوا كبيرة عظيمة ، وتم تطبيق الحد عليهما في الدنيا ، وصلى النبي ﷺ عليهما؛ ولكن بتوبتهم ، ورجوعهم إلى الله ﷻ كان لهم الجزاء الأوفى من الله ، قال تعالى عن وصف المتقين من أهل الجنة:﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ ...﴾ [آل عمران:١٣٤-١٣٥] .

٦- تعريف محمد مهدي الصيادي الرفاعي[٢] للولاية بمعنى الاختصاص:

" الاختصاص رحمة من الله تعالى للعبد لا بسعي ، ولا بعمل ولا برأي ، ولا بِجَعْل ، يختص الله برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، هو عطاء رباني ، ومنح صمداني ،

---

(١) أخرج القصة مسلم في صحيحه ، تأليف: مسلم بن الحجاج الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار التراث العربي – بيروت ، كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنا ، ٥ / ١١٩ ح (٤٥٢٧) .

(٢) هو أبو الهدى الصيادي (١٢٦٦ – ١٣٢٨ هـ ، ١٨٤٩ – ١٩٠٩ م) محمد بن حسن وادي بن الرفاعي الحسيني ، سكن الأستانة ، واتصل بالسلطان عبد الحميد الثاني العثماني ، فقلده مشيخة المشايخ، وصنف كتباً منها قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، (انظر: الأعلام للزركلي ، ٦ / ٩٤) .

وفضل أسبغ في القدم ، قبل أن تتعين النسم ، والعناية قسم ، فأهل الاختصاص جذبتهم يد المشيئة الربانية ، بمحض الفضل والعناية الصمدانية ، إلى أقصى المراتب العلية ... " (١).

الرد على تعريف الصيادي:

في التعريف السابق يختص الولي برحمة الله دون سعي ولا جهد فكيف يعقل هذا الكلام!، ثم إن الرحمة نوعان:

* **رحمة عامة:** وهي في قوله تعالى:﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف:١٥٦] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَة ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَام ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُون ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُون ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا ، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** " (٢) ، فهذه رحمة عامة في الدنيا توزع بين الخلق يشترك فيها الأولياء من المؤمنين مع الكفار مع جميع المخلوقات بأن رزقهم ، وأعطاهم في الدنيا فهي رحمة عامة لجميع الخلق .

* **رحمة خاصة:** وهي النوع الثاني ، وتكون للمؤمنين الصادقين أولياء الله تعالى ، قال تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة:٧١] ، يقول الإمام الطبري رحمه الله: " هؤلاء الذين هذه صفتهم ، الذين سيرحمهم الله ، فينقذهم من عذابه ، ويدخلهم جنته ، لا أهل النفاق والتكذيب بالله ورسوله الناهون عن المعروف ، الآمرون بالمنكر ، القابضون أيديهم عن أداء حقّ الله من أموالهم " (٣) ، فالذين يُنقذون من العذاب ويدخلون الجنة الذين يرحمهم الله من المؤمنين ، وليس الكفار ، أو المنافقين ، فإن كان يقصد بأهل الاختصاص هم أولياء الله؛ لأنه اختصهم برحمته دون سبب ، ولا عمل في التعريف السابق فإن الكافر والمنافق يكونا من أولياء الله ، وكذلك البهائم وهذا مرفوض عقلاً وشرعاً كما سبق ، فولي الله عندهم من اختاره الله وجذبه إليه ، وليس من شرط ذلك أن يكون عند هذا الولي أية مواصفات

---

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، تأليف: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف ، الطبعة الخامسة (١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م) ، ص ١٢٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، ٨ / ٩٦ ح (٧١٥٠) .

(٣) تفسير الطبري ، ١٤ / ٣٤٧ .

للصلاح والتقوى إذ الولاية عندهم نوع من الوهب الإلهي دون سبب [(١)] ، وقد يستدل بعض الغلاة من الصوفية بقوله تعالى:﴿ **يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾ [آل عمران:٧٤]، ولكن هذه الآية ليس المقصود منها اختصاص الرحمة ببعض المؤمنين فضلاً أن يكونوا أولياء غلاة الصوفية؛ بل المقصود بها رحمة النبوة ، والله يصطفي من خلقه من يشاء لحمل الرسالة والنبوة ، يقول الطبري رحمه الله : " يعني بقوله جل ثناؤه:﴿ **يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾: والله يختص من يشاء بنبوته ورسالته ، فيرسله إلى من يشاء من خلقه ، فيتفضل بالإيمان على من أحب فيهديه له ، و اختصاصه إياهم بها ، إفرادهم بها دون غيرهم من خلقه ، وإنما جعل الله رسالته إلى من أرسل إليه من خلقه ، وهدايته من هدى من عباده ، رحمة منه له ليصيره بها إلى رضاه، ومحبته، وفوزه بها بالجنة ، واستحقاقه بها ثناءه ، وكل ذلك رحمة من الله له " [(٢)] .

وقوله فأهل الاختصاص جذبتهم يد المشيئة الربانية ، بمحض الفضل والعناية الصمدانية، إلى أقصى المراتب العلية ... : فبكلامه هذا يفتح لنفسه ولاية الله كي يختصها دون غيره ، فقد ذكر الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق تكملة كلام الصيادي لتعريف الولي قوله: " وهذا المنح الباهر، والفضل الوافر ، هو اليوم حصتي ، ومنصته منصتي ، أقامني الله في هذه المنزلة إمامًا، واختارني لرتبة هذه الخصوصية ختامًا ، وكشف لي مخبآت الغيب باطلاع من كرمه ، وجليل نعمه، ففهمت أسرار الرموز الفرقانية وسبرت خفايا دقائق البطون القرآنية... " [(٣)] ، ولا تعليق على هذا الرجل في كلامه الذي يحمل في طياته من مخالفات عقائدية .

---

(١) المراد بالعلوم الوهبية:هي العلوم التي يحصلها الإنسان بلا جهد ، وذلك بتحصيلها من الله تعالى مباشرة، وبعضهم يسميها العلوم اللدنية، مستدلين بقوله تعالى:"وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا"(الكهف:٦٥)، والمراد بالعلوم الكسبية: هي التي يحصلها الإنسان عن طريق التعلم ، والقراءة ، والكتابة ، وعن طريق التلقي من المشايخ والعلماء .

(٢) تفسير الطبري ، ٢ / ٤٧١ .

(٣) الفكر الصوفي ، ص ١٢٣ ، نقلاً عن كتاب المجموعة النادرة ، ص٣٧ .

٧- تعريف الحكيم الترمذي[(١)] للأولياء :

يعرف الأولياء فيقول: " فهؤلاء كلهم أولياء حقوق الله ، وهم أولياء الله يصيرون إلى الله تعالى في مراتبهم ، فيحلون بها ويتنسمون روح القرب ، ويعيشون في فسحة التوحيد والخروج عن رقّ النفس ، قد لزموا المراتب ، فلا يشتغلون بشيء إلا بما أذن لهم فيه من الأعمال ، فإذا صرفهم الله من المرتبة إلى عمل أبدانهم حرسهم ، فيمضون مع الحرس في تلك الأعمال ، ثم ينقلبون إلى مراتبهم ، هذا دأبهم " [(٢)] .

الرد على تعريف الحكيم الترمذي :

أيضاً في تعريفه يقر الحكيم الترمذي مبدأ العصمة بقوله: فلا يشتغلون بشيء إلا بما أذن لهم فيه من الأعمال؛ بل جعل الملائكة تحرس هؤلاء الأولياء ، فلا يتحركون إلا والحرس معهم، بينما الملائكة لا تتحرك إلا بأمر الله سبحانه لهم ، قال تعالى:﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ [مريم:٦٤] .

٨- تعريف ابن عجيبة [(٣)] :

عرف الأولياء بقوله هم: " الذين يتولونه بالطاعة ، وهو يتولاهم بالكرامة ، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو ولي ـــ أعني الولاية العامة " [(٤)] ، وأضاف أيضا: " الولاية على قسمين: ولاية عامة ، وولاية عرفية خاصة ، فالولاية العامة ، هي التي ذكرها الحق تعالى: " الذين آمنوا وكانوا يتقون " ، فكل من حقق الإيمان والتقوى فله من الولاية على قدر ما حصّل

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، أبو عبد الله ، الحكيم الترمذي ، ولد سنة (٣٢٠ هـــ- ٩٣٢ م): باحث ، صوفي ، عالم بالحديث وأصول الدين ، قال السلمي: نفوه من ترمذ بسبب تأليفه كتاب ختم الولاية ، وله كتاب نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول ﷺ ، (انظر: تذكرة الحفاظ ، تأليف: الإمام الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٩هـــ- ١٩٩٨م) ، ٢ / ٦٤٥، الأعلام للزركلي ، ٦ / ٢٧٢) .

(٢) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ٢٠٧ ، نقلاً عن كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي ، ص ١٣٩ .

(٣) هو أحمد بن محمد بن المهدي ، ابن عجيبة ، الحسني ، مفسر صوفي شاذلي ، من أهل المغرب ، (١١٦٠ – ١٢٢٤ هـ ، ١٧٤٧ – ١٨٠٩ م)، دفن ببلدة أنجرة له كتب كثيرة ، منها: كتاب: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، (انظر: الأعلام للزركلي ، ١ / ٢٤٥) .

(٤) البحر المديد ، تأليف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م) ، ٣ / ٢٣٥ .

منهما ، والولاية الخاصة خاصة بأهل الفناء والبقاء [(١)] ، الجامعين بين الحقيقة والشريعة [(٢)]، بين الجذب والسلوك [(٣)] مع الزهد التام والمحبة الكاملة ، وصحبة من تحققت ولايته ، فقد سئل ﷺ عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ، فقال: " **الذينَ نَظَرُوا إلى بَاطِنِ الدنْيَا ، حينَ نَظَرَ النّاسُ إلى ظَاهِرِهَا ، واهْتَمُّوا بآجِلِ الدُّنيا حِين اهتَمَّ النّاسُ بعَاجِلِها ، فأمَاتُوا منها ما خَشوا أن يُمِيتهم ، وتركوا منها ما علموا أن سيتركُهُم ، فما عارضهم من نائلها عارض إلا رفضوه ، ولا خادعهم من رفعتها خادعٍ إلا وضعوه ، خلقتِ الدنيا في قلوبهم فما يجددونها ، وخربت بينهم فما يعمرونها ، وماتت في صدروهم فما يُحْيونها؛ بل يهدمُونها ، فيبنون بها آخرتهم ، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، نظروا إلى أهلها صرْعى قد حلّت بهم المَثُلات، فما يرون أماناً دون ما يرجون ، ولا خوفاً دون ما يجدون** " [(٤)] ، وقال عن الأولياء أيضاً الولي: " من منّ الله عليه بملاقاة شيخ التربية ، حتى دخل مقام الفناء والبقاء ،

---

(١) مصطلحي : الفناء والبقاء : الفناء هو سقوط الصفات الذميمة ، والبقاء بروز الأوصاف المحمودة ، والفناء والبقاء متلازمان، فمن فني عن شهوته بقى بإخلاصه وعبوديته ، ومن فني عن الدنيا بزهده فيها بقي بصدق إنابته، وفناء الجهل ببقاء العلم ، وفناء المعصية ببقاء الطاعة ، وفناء الغفلة ببقاء الذكر ، والفناء مقرون بالبقاء، وهو أن تثبت إلهية الحق تعالى في قلبك ، وتنفي إلهية ما سواه ، وبمحبته عن محبة ما سواه ، و بخشيته عن خشية ما سواه فالنفي هو الفناء، والإثبات هو البقاء ومن بقي بطاعته عن طاعة ما سواه هو البقاء وحقيقته أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه ، (انظر : مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ، ص ٣٧) .

(٢) الشريعة والحقيقة : الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبولة ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصولة ، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إنباء عن تعريف الحق، فالشريعة أن تعبده ،والحقيقة أن تشهده ، فالشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر، وأخفى وأظهر ، يقول أبو على الدقاق : " إياك نعبد " حفظ للشريعة ، " وإياك نستعين" إقرار بالحقيقة ، ويذهب البعض إلى أن الشريعة علوم الظاهر المستمدة من الكتاب والسنة ، وعلم الحقيقة هو علم الباطن وهو العلم اللدنى المستمد من الله تعالى كعلم الخضر عليه السلام إذ قال تعالى : (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) ، لذا نجد الصوفية عن طريق علم الحقيقة نسخوا الشريعة بغير حق " ، (انظر : مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ، ص ٣٨) .

(٣) الجذبة: هي تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيِّئة له كل ما يحتاج إليه من طي المنازل إلى الحق بلا كلفة ، أوسعى منه ، (انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، تأليف : د. رفيق العجم ، مكتبة لبنان ناشرون ، الطبعة (١٩٩٩ م) ، ص ٢٤٦) ، والمجذوب: من اصطنعه الحق لنفسه ، واصطفاه لحضرة أنسه فحاز من المنح ، والمواهب ما فاز به بجميع المقامات ، والمراتب ، بلا كلفة المكاسب ، والمتاعب ، انظر: (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ٨٣١) .

(٤) البحر المديد ، ٣ / ٢٣٧ .

زاح عنه حجاب الكائنات ، وأفضى إلى شهود المكون ، فهؤلاء هم المقربون الصديقون " [(١)] ، وعرف الولاية أيضاً بقوله: " الولاية سر من أسرار الله ، أودعها قلوب أصفيائه ، لا تظهر على جوارحهم ، ولا تكون في الغالب إلا في أهل التجريد [(٢)] ، وأهل الخمول [(٣)] ، أخفاها الله في عابده، فمن ادعاها من غير تجريد، ولا تخريب، فهو مدع " [(٤)] ؛ بل إن تفسير آية سورة يونس التي عليها مدار تعريف الولي يفسرها تفسيراً غريبا ، فيقول فيها: " وقوله تعالى: " **الذين آمنوا** " أي: إيمان الخصوص ، " **وكانوا يتقون** " : ما سوى الله ، فلا يطمئنون إلى شيء سواه ، " **لهم البشرى في الحياة الدنيا** " : حلاوة الذوق ، والوجدان ، مع مقام الشهود والعيان " [(٥)] .

الرد على تعريف ابن عجيبة :

من خلال تعريف ابن عجيبة للولاية والأولياء ، وأنواع الولاية يتبين أن الولاية عنده تنقسم إلى **ولاية عامة ، وولاية خاصة** .

فالعامة: هي التي يتحصل عليها عامة المؤمنين ممن يوالون الله بالطاعات فيكرمهم بالكرامات ، فإن كان مقصوده بالكرامات خوارق العادات فقط فهذا تضييقٌ لواسع ، فليس شرطاً حدوث خارقٍ للعادة للولي ، أما إن كان يقصد بالكرامات هي كل ما يكرم الله به الأولياء فبها ونعمت ، فالكرامة هبة من الله ﷻ للولي ، وليس شرطاً أن يعطيه كرامة . فالمؤمن قد يبتلى ويمتحن ،

---

(١) البحر المديد ، ٧ / ٥١٩ .

(٢) التجريد : ما تجرد للقلوب من شواهد الألوهية إذا صفا من كدورة البشرية، وقيل : هي ألا أن يأخذ من عرض الدنيا شيئاً، ولا يطلب على ما ترك منها عوضاً من عاجل، ولا آجل، (انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص ١٦٠ بتصرف) فأهل التجريد هم من تركوا الدنيا طلباً للآخرة .

(٣) الخمول : خفاء القدر، والذكر، وأصله السكون، والخفاء، ومنه خمل البساط ؛ لأنه يستر ما خلفه، (انظر: التوقيف على مهمات التعاريف ، ١ / ٣٢٧)، وعليه فأهل الخمول هم أهل الخفاء، والستر .

(٤) البحر المديد ، ٧ / ٢٠ .

(٥) المصدر السابق ، ٣ / ٢٣٨، الوجد: ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحاً ، أو حزناً ، وهو مكاشفات من عند الحق ، انظر: (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ١٠٢٥)، الذوق: هو تعبير لما يجده المتصوف في قلبه من ثمرات التجلي ، والكشف ، وصفاء المعاملات ، وهو أول مبادئ التجليات الإلهية ، وشهود الحق بالحق ، انظر: (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ٣٧٢ بتصرف)، الشهود: رؤية الحق بالحق ؛ لأن الله يُشْهد عبده تجلياته بسائر مخلوقاته من غير حلول ، ولا مماسة ، انظر: (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ٥١٠) .

ويكرمه في الآخرة بجنته ، ورضوانه ، ورفع درجاته ، فليس الأمر مقصوراً على كرامة الدنيا، وعليه فتخصيص الولي بمن توالت طاعاته لله فإن الله يواليه بالكرامة ليس شرطاً .

أما الخاصة: فقد خصصها ابن عجيبة في تعريفه بألفاظ مثل: أهل الفناء والبقاء ، وأهل الحقيقة والشريعة ، وأهل الجذب والسلوك ، وهذه الألفاظ لم ترد عن السلف الصالح رضوان الله عليهم؛ بل هي ألفاظ مستحدثة على منهج السلف ، أما الاستدلال بحديث الدنيا:" **الذينَ نَظَرُوا إلى بَاطِنِ الدنْيَا ، حينَ نَظَرَ النّاسُ إلى ظَاهِرِهَا ، واهْتَمُّوا بآجِلِ الدُّنيا حِين اهتَمَّ النّاسُ بعَاجِلِها ، فأمَاتُوا منها ما خَشوا أن يُمِيتهم ، وتركوا منها ما علموا أن سيتركُهُم ...**" فإنه لم يرد عن النبي ﷺ بل ورد في حوارٍ بين عيسى عليه السلام و الحواريين [(١)] ، فكيف يثبته عن النبي ﷺ وهو لم يرد في كتب الحديث المعتمدة ، فبتعريفاته السابقة للولي ، ومرتبة الولاية فيه تخصيص للولاية بغلاة الصوفية دون غيرهم من البشر ، مما يجعلها محصورة فيهم ، وهذا مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة التي قال الله تعالى عنها:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [فصِّلت:٣٠] .

---

(١) الحديث المذكور مروي في كتب الأدب والرقائق عن عيسى عليه السلام وليس حديث عن النبي ﷺ من أوله حتى قوله:" وتركوا منها ما علموا أن سيتركُهُم " ، (انظر كتاب: أدب الدنيا والدين للماوردي ، ص ١٥٠) .

المبحث الثاني

الفرق بين النبوة والولاية

المطلب الأول:الفرق بين النبوة والولاية عند غلاة الصوفية.

المطلب الثاني: الفرق بين النبوة والولاية عند أهل السنة والجماعة.

المطلب الأول

الفرق بين النبوة والولاية عند غلاة الصوفية

اختلفت نظرات غلاة الصوفية في الفرق بين النبوة والولاية ، منهم من ادعى أن الولاية جزء من النبوة ، ومنهم من ساوى بينها وبين النبوة ، ومنهم من فضّل الولاية على النبوة ، ولهم تصريح في هذه الدعاوى ، وأنقل هنا بعض أقوالهم منها: قول ابن عجيبة: " وكل ما قيل في جانب النبوة يقال مثله في جانب الولاية " (١) ، وقال أيضا: " وما وقع من التفرق ، والاختلاف في جانب النبوة يقع في جانب الولاية سنة ماضية " (٢) ، وقال أيضا: " ما قيل في منكري خصوصية النبوة يقال في منكري خصوصية الولاية إذا اشتغل بأذاهم " (٣) ، ويقول لسان الدين ابن الخطيب: " الولاية أن يتولى الله الواصل على حضر قدسه ، بكثير مما تولى به النبي ﷺ من حفظ وتوفيق، وتمكين ، واستخلاف ، وتصريف ، فالولي يساوي النبي في أمور منها: العلم من غير طريق العلم الكسبي، والفعل بمجرد الهمة، فيما لم تجر به العادة أن يفعل إلا بالجوارح، والجسوم مما لا قدرة عليه لعالم الجسوم ....، والولي يأخذ المواهب (٤) بواسطة روحانية نبيه، ومن مقامه يشهد، إلا ما كان من الأولياء المحمديين، فإنه لما كان نبيهم صلوات الله وسلامه عليه جامعاً لمقامات الأنبياء (أورثهم الله مقامات الأنبياء)، وأوصل إليهم أنوارهم من نور نبيهم الوارث ، وبوساطته فإنه هو الذي أعطى جميع الأنبياء ، والرسل مقاماتهم في عالم الأرواح ، ثم شاركت الأولياء الأنبياء في الأخذ عنه " (٥) ، وقول ابن عربي: " مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الوليّ " (٦) ، فتلك بعض نصوصهم في التفريق بين النبي والولي .

---

(١) البحر المديد ، ٧ / ٣٣٤ .

(٢) المصدر السابق ، ٦ / ٥٤٦ .

(٣) المصدر السابق ، ٧ / ٣٨٩ .

(٤) المواهب: جمع موهبة وهى أمر ليس بخارق للعادة ، ولكنه قليل مستبعد في العادة ، يتميز به بعض الناس، ولا يختص ذلك بالأولياء بل يكون لهم، ولغيرهم ،(انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص ٩٥١).

(٥) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ١٨٥ ، نقلاً عن كتاب روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ، ص٥١٩ .

(٦) الطبقات الكبرى ، تأليف : أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني ، دار الكتب العلمية –بيروت ، الطبعة الأولى (١٩٩٧م – ١٤١٨ هـ) ، ١ / ٦٨ .

الفرق بين النبي والولي عند غلاة الصوفية:

مما سبق من النصوص يتضح أن غلاة الصوفية بين مساوٍ للولاية بالنبوة ، وبين مستمدٍ مصدر معرفته من النبي ، وبين آخذٍ العلم مباشرةً عن الله ﷻ ، وهذا كله من الأمور التي تتنافى مع عقيدة المسلم الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة ، ومن الأمور التي بالغ الغلاة فيها بين النبي والولي:

أولاً: مصدر المعرفة والتلقي :

اعتمد غلاة الصوفية في تلقي العلم على طرق كثيرة منها: الإلهام ، أو ما يسمى بالكشف، والأخذ عن النبي ﷺ ، أو الجلوس مع الخضر ، وغيرها من هذه الزعامات – سيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى عند ذكر صفات الأولياء و تحصيل الولاية – ، وسبب تقديم الولي على النبي عند غلاة الصوفية –على زعمهم– أن الولي يأخذ عن الله مباشرة ، بينما النبي ﷺ يأخذ بواسطة ، وهذا ما أوقع غلاة الصوفية في شبهة تفضيل الولي على النبي ، وشبهة التحصيل للولاية بالمذكور سابقاً يوهم إسقاط الوحي ، وعدم الأخذ عن النبي ﷺ ، والاستغناء عن شريعته بمعنى الأخذ عن الله مباشرة ، وهذا بخلاف ما خص الله به أنبياءه وهو الوحي ، يقول صاحب الموسوعة الميسرة: " وبه – الإلهام – جعلوا مقام الصوفي فوق مقام النبي حيث يعتقدون أن الولي يأخذ العلم مباشرة عن الله تعالى حيث أخذه الملك الذي يوحي به إلى النبي أو الرسول " [1]، وينقل ابن عجيبة عن القشيري قوله في قوله تعالى:﴿ **رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ** ﴾[غافر١٥] : على الأنبياء بالوحي ، والرسالة ، وعلى أسرار أرباب التوحيد، وهم المحدثون بالتعريف والعلم ، فالتعريف للأولياء من حيث الإلهام والخواطر[2] ، أي: الواردات، وإنزال الملائكة على قلوبهم غير ممنوع ؛ ولكنهم لا يؤمرون أن يتكلموا بذلك ، ولا يحملون الرسالة إلى الخلق ، وكأنه – القشيري– ينظر إلى قوله ﷺ : " **علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل** " [3] ، فهم يشاركون الأنبياء في الوحي الإلهامي، ولا

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ١ / ٥٤ .

(٢) الخواطر: كل ما يقع في القلب من عمل خير فهو إلهام ، وما يقع من عمل شر فهو وسواس ، وما يقع في القلب من المخاوف فهو الهاجس ، (انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ٨٩٢ بتصرف) .

(٣) هذا حديث موضوع يقول صاحب أسنى المطالب :موضوع لا أصل له كما قاله غير واحد من الحفاظ، ويذكره كثير من العلماء في كتبهم غفلة عن قول الحفاظ، (أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ، تأليف: محمد بن درويش بن محمد الحوت، دار الكتب العلمية ، ص ١٨٤) .

يبلغون ذلك إلا لمن صدقهم وتبعهم " (١) ، وقال أيضا:" يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ، هو وحي أحكام للأنبياء ، ووحي إلهام للأولياء ، فيحيي الله بهم الدين في كل زمان، وقال القشيري:بعد كلام: ويقال: روح النبوة، وروح الرسالة، وروح الولاية، وروح المعرفة، والمراد بالروح: مطلق الوحي" (٢)، فقد جعلوا مطلق الوحي هو الذي يلقى على من يشاء من عباده أنبياء ، أو أولياء ، وإذا صح استعمال كلمة الوحي بمعنى الإلهام فلا يجوز إذا كان يوقع في الإيهام .

ثانياً: مصدر المعرفة هو النبي :

أحياناً يشركون الوحي بين الأنبياء وبين الأولياء ، وإن اختلف استدلالهم ، ولكن تظافرت أقوالهم مما يدلل على أن مقصدهم من الوحي هو وحي النبوة ، فقد ورد من أقوالهم: قول ابن عجيبة في أكثر من موضع ما يدلل على ذلك منها: قوله: "والاقتباس من أنوار النبي ﷺ، والاهتداء بهديه ، وإيثار محبته ، وأمره على غيره لا ينقطع عن المريد أبدا ، بدايةً ونهاية، إذ هو الواسطة العظمى ، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأرواحهم ، وأسرارهم ، فكل مدد واصل إلى العبد فهو منه ﷺ ، وعلى يده ، وكل ما تأمر به الأشياخ من فعل وترك في تربية المريدين ، فهو جزء من الذي جاء به ، وهم في ذلك بحسب النيابة عن النبي ﷺ ؛ لأنهم خلفاء عنه ، وكل كرامة تظهر فهي معجزة له ﷺ ، وكل كشف ، ومشاهدة فمن نوره ﷺ ، قال ابن عربي:" اعلم أن كل ولي لله تعالى إنما يأخذ ما يأخذ بواسطة روحانية النبي ﷺ ، فمنهم من يعرف ذلك ، ومنهم من لا يعرفه ، ويقول: قال لي الله ، وليس إلا تلك الروحانية ، وهو موافق لما أشار إليه الشيخ أبو العباس المرسي ، حيث قال: الولي إنما يكاشف بالمثال ، كما يرى مثلا البدر في الماء بواسطته ، وكذلك الحقائق الغيبية ، والأمور الإشهادية مجلوة ، وظاهرة في بصيرة النبي ﷺ ، وله عياناً لا مثالاً ، والولي لقربه منه ومناسبته له ، لهديه بهديه ، ومتابعته له يكاشف بمثال ذلك فيه " (٣) .

---

(١) البحر المديد ، ٤ / ٦ .
(٢) المصدر السابق ، ٦ / ٤٥٠ .
(٣) المصدر السابق ، ٦ / ١١.

الرد على هذا الكلام :

عقيدة أهل السنة والجماعة تثبت إخبار الأنبياء السابقين بنبوة النبي ﷺ ، وأنه سيأتي رسول فلابد من نصرته ، واتباعه ، وهذا الإخبار مصدره الوحي الإلهي للأنبياء جميعاً؛ بل شهد الله سبحانه عليهم بذلك ، قال تعالى:﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [آل عمران:٨١] ، وذكر ابن كثير رحمه الله قول ابن عباس رضي الله عنهما: " ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بُعث محمد، وهو حي ليؤمنن به ، ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمد ﷺ، وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه " [(١)]، فمصدر الأنبياء جميعاً هو الوحي الذي هو مرسل من الله ﷻ، وليس من البشر ، أو من الرسول محمد ﷺ ، إنما هو الوحي الذي نزل به الأمين من رب العالمين ، قال الله تعالى:﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** ﴾ [النساء:١٦٣] ، وقال تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾[الأنبياء:٢٥] ، فالآيات تثبت وحي جاء للأنبياء ، أما القول: أن مستمد جميع الأنبياء ، والمرسلين من روح محمد ﷺ يتعارض مع الآيات السابقة؛ بل إن الله تعالى أخبر عن نبيه ﷺ أنه لم يكن يعلم عن أحوال السابقين بشيء سواء أحوال الأمم السابقة ، أو الأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [هود:٤٩] ، وقال تعالى:﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ** ﴾ [يوسف:٣] .

وبقولهم هذا يدّعون وجود خلق النبي قبل الأنبياء السابقين ، وهذا مرفوض عند أهل السنة والجماعة؛ لأن الأحاديث ذكرت بأن النبي ﷺ قد كتبه الله نبياً قبل خلق آدم ، وقدّر له النبوة ، وليس المقصود به أنه خلقه نبياً قبل خلق آدم وغيره ، فالسنة بينت ذلك ، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ **قَالَ: قَالُوا:يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ؟ قَال: وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**" [(٢)] ،

(١) تفسير ابن كثير ، ٢ / ٦٧ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب ، بَاب فِي فَضْلِ النَّبِي ، ٦ / ٧ ح (٣٦٠٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي ، ٨ / ١٠٩ .

يقول ابن تيمية رحمه الله: " فأخبر ﷺ أنه كتب نبياً حينئذٍ، وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته فإنه كون في التقدير الكتابي ليس كوناً في الوجود العيني إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين سنة من عمره ﷺ " [(١)] ، وقال أيضا: " وأما ما يرويه هؤلاء الجهال: كابن عربي في الفصوص ، وغيره من جهال العامة " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " ، " كنت نبيا وآدم لا ماء ، ولا طين " ، فهذا لا أصل له ، ولم يروه أحد من أهل العلم الصادقين ، ولا هو في شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ بل هو باطل "، ويعلق الألباني على حديث كنت نبيا ، وآدم لا ماء ولا طين ، فيقول: " موضوع ، ذكر هذا السيوطي في ذيل " الأحاديث الموضوعة " نقلا عن ابن تيمية ، وأقره ، وقد قال ابن تيمية في رده على البكري: لا أصل له ، لا من نقل ولا من عقل ، فإن أحداً من المحدثين لم يذكره ، ومعناه باطل، فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط ، فإن الطين ماء وتراب ، وإنما كان بين الروح والجسد ، ثم هؤلاء الضُلاّل يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذ موجوداً، وأن ذاته خلقت قبل الذوات " [(٢)] .

الرد على الاستدلال بآية الروح ، وحديث علماء أمتي ... :

أما الاستدلال بقوله تعالى:﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾[غافر١٥] : فليس المقصود بها كما ذكرها ابن عجيبة: بأنه يشترك فيها الأنبياء مع الأولياء؛ بل الروح هو وحي النبوة ، وقيل: القرآن ، وكلاهما سواء وحي النبوة، أو القرآن لا ينزل إلا على الأنبياء ، وخاصة بالنبوة ، وقد ذكر الطبري رحمه الله أقوالاً للسلف في تفسير الروح بأنه: إما الوحي ، أو الكتاب يعني القرآن أو النبوة [(٣)] ، وأما الحديث الذي استدلوا به (علماء أمتي ...)، فقد أشرت بضعفه كما حكم عليه أهل الحديث ، يقول الزركشي رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: " لا يعرف له أصل " [(٤)] ، ويعلق عليه صاحب

---

(١) مجموع الفتاوى ، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم ، دار الوفاء ، الطبعة الثالثة (١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) ، ٢ / ١٤٩ .

(٢) انظر: أسنى المطالب ، ص٢٢٢، والسلسلة الضعيفة للألباني ، ١ / ٤٧٣ .

(٣) انظر: تفسير الطبري ، ٢١ /٣٦٤ .

(٤) اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ (التذكرة في الأحاديث المشتهرة)، تأليف: بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م)، ص ١٦٧ ، انظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م) ، ص ٢٨٦ .

كتاب أسنى المطالب، فيقول : " موضوع لا أصل له كما قاله غير واحد من الحفاظ ويذكره كثير من العلماء في كتبهم غفلة عن قول الحفاظ " [١] ، وعليه الضعيف لا يقبل في باب العقائد والأحكام كما هو معلوم عند أهل الحديث .

ثالثاً: مشاركة الخطاب القرآني للنبي مع الولي :

أحياناً ينسبون بعض الآيات ، والسور القرآنية بأنها تخاطب أولياءَهم ، ويشتركون مع النبي ﷺ في الخطاب القرآني ، يقول ابن عجيبة: " ما قيل للرسول ﷺ من تعديد النعم عليه ، واستقراره بها ، يقال لخليفته العارف الداعي إلى الله ، حرفاً بحرف ، فيقال له: ألم نوسع صدرك لمعرفتي ، ووضعنا عنك أوزارك حين توجهت إلينا ، أو وضعنا عنك أثقال السير ، فحملناك إلينا ، فكنت محمولاً لا حاملاً ، ورفعنا لك ذكرك حين هيأناك للدعوة ، بعد أن أخملنا ذكرك حين كنت في السير لئلا يشغلك الناس عنا ، فإن مع عسر المجاهدة يسر المشاهدة [٢] ، فإذا فرغت من الدعوة والتذكير ، فأتعب نفسك في العكوف في الحضرة ، أو فإذا فرغت من كمالك فانصب في تكميل غيرك ، وارغب في هداية الخلق " [٣] ، وقال أيضا: " إذا جاءتك أيها المريد نصر الله لك ، بأن قواك على خرق عوائد نفسك ، وأظفرك بها (والفتح): وهو دخول مقام الفناء ، وإظهار أسرار الحقائق ، ورأيت الناس يدخلون في طريق الله أفواجا " [٤] ، وقال أيضا: " والعصر ، أي: عصر الذاكرين ، إن الإنسان لفي خسر ، حيث احتجب عن ربه بنفسه، وبرؤيته وجوده إلا الذين آمنوا إيمان الخصوص ، وعملوا عمل الخصوص ، وهو خرق العوائد، واكتساب الفوائد ، حتى وصلوا إلى كشف الحجاب ، فلم يروا مع الله غيره ، غابوا عن

---

(١) أسنى المطالب ، ص١٨٤ ، وأخرجه الألباني في السلسلة الضعيفة ، ح ٤٦٦ ، وقال رحمه الله: لا أصل له باتفاق العلماء ، وهو مما يستدل به القاديانية على بقاء النبوة بعده ﷺ .

(٢) المجاهدة: مخالفة الهوى فيفطم نفسه عن المألوفات ، والشهوات ، واللذات ، ويحملها على خلاف ما تهوى في عموم الأوقات ، وهي حمل النفس على المشاق البدنية ، ومخالفة الهوى على كل حال ، (انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ٨٣٠)، والمشاهدة: وصل بين رؤية القلب ، ورؤية العيان ، مقرونة بعلم اليقين ، نتيجة صفاء القلب ، (انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ٨٩٢) .

(٣) البحر المديد ، ٨ / ٤٩٢ .

(٤) المصدر السابق ، ٨ / ٥٤٩ .

أنفسهم ، وعن وجودهم ووجود غيرهم ، في شهود محبوبهم " [١] ، وقال أيضاً: " وكل ما قيل في جانب النبوة يقال مثله في جانب الولاية " [٢].

الرد على ابن عجيبة :

إن كان يقصد ابن عجيبة بكلامه ، وما نقله عن شيوخ غلاة الصوفية المدد من النبي ، الذي هو امتثال سنته ، واتباعها فلا ضير في ذلك ، وإلا فإن كان كلامه يحمل معنى الاستمداد الروحاني ، والقرب منه بمعنى الالتقاء معه فهذا لا يقبل في عقيدة أهل السنة والجماعة؛ لأنه يقع منه محاذير كإثبات لقاء الولي بالنبي ، وتلقي الأوامر منه ، وغيرها من المحاذير ، وهذا الظاهر من كلامه .

فالقول بقولهم السابق: قال لي الله ، والولي لقربه من النبي و يكاشف بالمثال ، وقوله: فهم يشاركون الأنبياء في الوحي الإلهامي ، وغيرها مما سبق ، كلها عبارات توحي بأخذ العلم مباشرة إما من الله تعالى ، أو من النبي ﷺ ، وكلاهما مرفوض في مذهب أهل السنة والجماعة، يقول ابن تيمية رحمه الله معلقاً على مثل هذه الأقوال: " وهذا باطل ، وكذب فإن الولي لا يأخذ عن الله إلا بواسطة الرسول إليه ، وإذا كان مُحدِّثاً قد ألقي إليه شيء وجب عليه أن يزنه بما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة " [٣].

تفسير ابن عجيبة للآيات :

لقد فسر ابن عجيبة الآيات ، والسور بناء على التأثر بالكشف ، فقد سبق كلام ابن عجيبة، وما يحمله أيضاً من مخالفات بالنظر لكتب التفاسير المعتمدة كابن كثير والطبري وغيرهما، نجد خلاف ما يدّعيه ، فلو نظرنا لتفسير جزء من سورة العصر فقد فسرها ابن عجيبة خلاف ما فسره أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفا ، وعند مقارنتها بما فسره أهل السنة والجماعة نجد اختلافاً كبيراً، يقول ابن عجيبة: " والعصر ، أي: عصر الذاكرين ، إن الإنسان لفي خسر، حيث احتجب عن ربه بنفسه وبرؤيته وجوده إلا الذين آمنوا : إيمان الخصوص،وعملوا عمل الخصوص ، وهو خرق العوائد واكتساب الفوائد ، حتى وصلوا إلى كشف الحجاب " [٤] ، فقد فسرها أهل السنة والجماعة خلاف ما فسرها ابن عجيبة فابن عجيبة يثبت عصر ذاكرين ، وخسارة عظيمة: هي الحجب عن رؤية الله فقط ، وإيمان خاص بأناس

---

(١) البحر المديد ، ٨ / ٥٣٠ .
(٢) المصدر السابق ، ٧ / ٣٣٤ .
(٣) مجموع الفتاوى ، ٢ / ٢٢٨ .
(٤) البحر المديد ، ٨ / ٥٣٠ .

خصوصيين ، تُخرق لهم العادات ، وتُكشف لهم الحجب ، ومن تفاسير أهل السنة والجماعة لهذه السورة قول ابن كثير رحمه الله: " العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم ، من خير وشر ، فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر ، أي: في خسارة وهلاك ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم " [١] ، فابن كثير رحمه الله ، وكذلك غيره من أهل السنة والجماعة المفسرين لم يخصوا أهل العصر بأهل الذكر ، ولا الإيمان بإيمان الخصوص ، ولا من كشف لهم الحجب كما زعم ابن عجيبة – غفر الله له – .

تناقض عجيب :

من خلال تفسير ابن عجيبة لبعض السور ، والآيات القرآنية يحمل تناقضاً في قضية كشف الحجاب فقد جعل كشف الحجاب للأولياء جائزاً بقوله السابق: " حتى وصلوا إلى كشف الحجاب، فلم يروا مع الله غيره ، غابوا عن أنفسهم ، وعن وجودهم ، ووجود غيرهم ، في شهود محبوبهم " [٢] ، وفي موضع آخر يقول: " مَنْ مَنّ الله عليه بملاقاة شيخ التربية ، حتى دخل مقام الفناء والبقاء ، زاح عنه حجاب الكائنات ، وأفضى إلى شهود المكوّن ، فهؤلاء هم المقربون الصديقون " [٣] ، وأيضاً يقول في موضع آخر: " ومما اصطلحت عليه غلاة الصوفية أن الصالحين من صلحت ظواهرهم ، وتطهرت قلوبهم من الأمراض ، وفوقهم الأولياء، وهم من كشف عنهم الحجاب ، وأفضوا إلى الشهود والعيان ، وفوقهم درجة النبوة والرسالة " [٤] ، فقد كشف للأولياء الحجاب ، وأفضوا إلى شهود العيان في حين أسدله ، وأغلقه ومنع وقوعه للأنبياء بقوله: " وسر النبوات هو سدل الحجاب بين الله وعباده ، حتى يفتقر الناس إلى تلقي العلم بواسطة النبوة ، فلو انكشف هذا الحجاب لوقع الاستغناء عن النبوة ، لتلقيه حينئذ كشفاً بدونها من غير تكلف ، وسر العلم هو إبهام العواقب ، فلو انكشف هذا السر ، وعرف كل واحد مآله للجنة أو النار ، لبطلت الأحكام ، إذ من عرف أنه للجنة قطعاً استغنى عن العبادة ، ومن عرف أنه للنار قطعاً انهمك في المعاصي، فأخفى الله هذا السر ليعمل كل واحد على

---

(١) تفسير ابن كثير ، ٨ / ٤٨٠ .
(٢) البحر المديد ، ٨ / ٥٣٠ .
(٣) المصدر السابق ، ٧ / ٥١٩ .
(٤) المصدر السابق ، ٥ / ٢٦٤ .

الرجاء والخوف " [(١)] ، فهل الأولياء يصرح لهم كشف الحجاب في حين ستر عن الأنبياء وغيرهم من العباد ؟ ، والثمن لهذا الكشف ، وتلك الإدعاءات هو ملاقاة شيخ التربية(شيخ غلاة الصوفية) .

رابعاً: الرؤيا المنامية مصدر للوحي والمعرفة:

أحياناً نجد غلاة الصوفية يجعلون الرؤيا المنامية ، ورؤية النبي ﷺ فيها ، وكلامهم معه من مصادر التلقي والمعرفة ، فقد ذكر الكردي [(٢)] : " فعن العارف الوقائي قال: رأيت رسول الله ﷺ ، فقال لي عن نفسه الشريفة: " لست بميت وإنما موتي عبارة عن تستري عمن لا يفقه عن الله، وأما من يفقه عن الله فهاأنذا أراه ويراني " [(٣)]، وجاء في كتاب درة الأسرار وتحفة الأبرار: " وحدثني الشيخ الصالح الفقيه أبو عبد الله بن حريز قال: حدثنا رجل من الفضلاء من أهل الجزيرة القبلية قال: خطر ببالي ليلة أن كان في زماننا من يقتدي به من السادات وأهل خرق العادات ، فرأيت رسول الله ﷺ فقال لي: أنوار الشيخ أبي الحسن الشاذلي [(٤)] لائحة في الأكوان ، أو قال في الوجود فمن تمسك بشيء منها فقد تمسك بالخير كله " [(٥)] .

الرد على هذه الفرية :

الرؤيا التي تحدث عنها الوقائي فيها تكذيب صريح لآيات من القرآن الكريم ، تبين موت نبيه ﷺ ، قال تعالى:﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزُّمر:٣٠] ، يقول ابن كثير رحمه الله: " هذه

(١) البحر المديد ، ٨ / ١٨٥ .

(٢) هو الشيخ محمد أمين بن فتح الله الأربلي الكردي ، واعظ ، تعلم بالأزهر، وتوفي بالقاهرة (١٣٣٢هـ-١٩١٤م)، له كتب ، منها(هداية الطالبين لأحكام الدين) في فقه المالكية ، و(تنوير القلوب) في الفقه والتصوف. (انظر: الأعلام للزركلي ، ٤ / ٤٣) .

(٣) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ، تأليف: محمد أمين الكردي ، جمعه: ابنه نجم الدين ، المكتبة التوفيقية ، ص ٨٢ .

(٤) هو أبو الحسن الشاذلي (٥٩١ - ٦٥٦ هـ ، ١١٩٥ - ١٢٥٨ م) علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف ابن هرمز الشاذلي المغربي ، أبو الحسن: رأس الطائفة الشاذلية ، من المتصوفة ، وصاحب الاوراد المسماة " حزب الشاذلي "، ولد في بلاد " غمارة " بريف المغرب ، ونشأ في بني زرويل (قرب شفشاون) وتفقه وتصوف بتونس ، وسكن " شاذلة " قرب تونس ، فنسب إليها ، وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج. وكان ضريرا ، ينتسب إلى الأدارسة أصحاب المغرب ، أخبره بذلك أحد شيوخه عن طريق " المكاشفة " قال الذهبي: نسب مجهول لا يصح ولا يثبت ، كان أولى به تركه ، وكانت وفاة الشاذلي في " حميترة " ببرية عيذاب في الصعيد ، (انظر: الأعلام للزركلي ، ٤ / ٣٠٥) .

(٥) درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ١١٤ .

الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق ﷺ عند موت الرسول ﷺ ، حتى تحقق الناس من موته، مع قوله:﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤] " [(١)] ، فصريح الآيتين يبين كذبهم ، وتثبتان حقيقة وفاة النبي ﷺ ، ثم إن أبا بكر ﷺ لم يفهم ما فهمه الوقائي؛ بل أثبت الآية بمدلولها الواضح الصريح ، ولم ينكر عليه أحدٌ من الصحابة ﷺ بقولهم: أنك يا أبا بكر لست ممن فقه عن الله ﷻ، أو أن المعنى لم تفهمه أنت بل فهمه غيرك ، وعندما سمع الصحابة ﷺ قول أبي بكر ﷺ عند ذكره للآيات سلم جميعهم للأمر ، ولم يعترضه أحد .

ثم إن الاقتداء بالأشخاص يتنافى مع منهج السلف الصالح ﷺ ، يقول ابن مسعود ﷺ : " من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد، كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، وتمسكوا ما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم " [(٢)] ؛ لأن خير القرون ، وخير الأزمان زمن النبي ﷺ، وصحابته الكرام ﷺ جميعاً .

خامساً: عصمة الأولياء :

من خلال استعراض نصوص كتب الصوفية نجد كلامهم يوحي بلفظ العصمة صراحة للأولياء ، وإن كانوا أحياناً يطلقون لفظ الحفظ والعناية ، ولكن من خلال تتبع الألفاظ في أكثر من موضع ، ومن خلال القصص التي يروونها عن أوليائهم يعنون بها العصمة .

أقوال غلاة الصوفية في عصمة الأولياء :

* العصمة عند القشيري :

قول القشيري في تعريف الولي: " الولي له معنيان: أحدهما: فعيل بمعنى مفعول ، وهو من يتولى الله سبحانه أمره ، قال الله تعالى على لسان نبيه:﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٦] ، فلا يكله إلى نفسه لحظة؛ بل يتولى الحق سبحانه رعايته ، والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل ، وهو الذي يتوالى عبادة الله وطاعته ، فعبادته تجري على التوالي ، من غير أن يتخللها عصيان ، وكلا الوصفين واجب ، وحتى يكون الولي وليَّاً يجب

(١) تفسير ابن كثير ، ٧ / ٩٦ .

(٢) منهاج السنة النبوية ، تأليف: شيخ الإسلام بن تيمية ، تحقيق: د . محمد رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة ، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ) ، ٦ / ٤٣ .

قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ، ودوام حفظ الله تعـالى إيـاه فـي السـراء والضراء، ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معـصوماً "[١]، ويؤكد على ذلك بقوله أيضاً في موضع آخر: " واعلم أنَّ مِنْ أجلّ الكرامات التي تكون للأولياء: دوام التوفيق للطاعات ، والعصمة عن المعاصي ، والمخالفات " [٢] ، ويضيف فـي تفـسيره: " ولا يكون ولياً إلا إذا كان موفّقاً لجميع ما يلزمه من الطاعات ، معصوماً بكل وجه عـن جميـع الزلات " [٣] .

الرد على هذا الإدعاء :

سبق الرد على هذا القول في تعريف الولي عند القشيري [٤] .

*** العصمة عند ابن عجيبة :**

ممن ذكر العصمة لأولياء الصوفية ابن عجيبة ، وله أقوال منها: يقول: " إذا أراد الله أن يصافي عبده بخصوصية النبوة ، أو الولاية ، كلأه بعين الرعاية ، وجذبه إليه بـسابق العنايـة ، فإذا امتحنه أيّده بعصمته ، وسابق حفظه ورعايته ، ولا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية، فالشهوة في البشر أمر طبيعي وبمجاهدتها ظهر شرفه ، لكن النفس المطمئنة لا تحتـاج في دفعها إلى كبير مجاهدة " [٥] ، ويقول أيضا: " فما ظهرت كمـالات الربوبيـة إلا بظهـور نقائص العبودية ، أما الإصرار على العيوب فلا يوجد مع الخصوصية مطلقا ، وأمـا هجومهـا على العبد من غير إصرار فيكون مع وجود خصوصية النبوة والولاية ، واعلمْ أن ما امتحن بـه الصديق يوسف عليه السلام مع العصمة ، قد وقع مثله كثيراً في هذه الأمـة المحمديـة مـع الحفـظ والامتناع " [٦] ، و يقول أيضا: " خصوصية الولاية كخصوصية النبوة ، لا تعطى غالباً إلا بعد بلوغ الأشد ، وكمال قوة العقل ، وحصول الاستواء ، وهو أن يستوي عنده المدح والذم ، والعز

---

(١) الرسالة القشيرية ، ص ١١٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٠ .
(٣) لطائف الإشارات ، ٣ / ٢٤٨ .
(٤) سبق في هذا البحث ، ص٢٥ .
(٥) البحر المديد ، ٣ /٣٧٤ .
(٦) المصدر السابق ، ٣ / ٣٧٥ .

والذل ، والمنع والعطاء ، والفقر والغنى ، وتستوي حاله في القبض والبسط (١) ، والغضب والرضا ، فإذا استوى في هذه الأمور آتاه الله حكماً وعلما ، وجزاه جزاء المحسنين ، وكتب شيخ شيخنا إلى بعض تلامذته: أما بعد ، فإن تورعت في أقوالك وأفعالك ، وتوسعت في أخلاقك، حتى يستوي عندك من يمدحك ويذمك، ويعطيك ويمنعك، ومن يؤذيك وينفعك، ومن يشدد عليك ويوسع، فلا أشك في كمالك" (٢)، ويقول أيضا: " وتتميز خصوصية الولاية من العمومية بالتطهير من الرذائل والتحلي بالفضائل ، ... صاحب الخصوصية مالك لنفسه من غلبة الشهوة عليه " (٣) .

الرد على هذا الإدعاء :

مما سبق من أقوال ابن عجيبة يتبين أنه قد ساوى بين النبي والولي في الاصطفاء ، والعناية ، والحفظ ، وعند الابتلاء تكون العصمة للولي كما أنها للنبي ، في حين يذكر أن الشهوة أمر طبيعي لا تحتاج كبير مجاهدة لدفعها عند الولي؛ لأنه محفوظ معصوم من الله تعالى كما النبي معصوم ، وصرّح بألفاظ العصمة للأولياء ، وهذا مخالفٌ لما صرح به الأنبياء فسيدنا يوسف عليه السلام رغم نبوته طلب العون من الله على أن يصرف الله تعالى عنه الشهوة والسوء كي لا يقع في معصيته ، قال تعالى:﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [يوسف:٣٣] ، فالمؤمن يخاف من الوقوع في المعصية مع طلبه ودعائه لله بأن يجتنبها ويستعيذ بالله منها ، ثم حال البشر الأولياء غير ما ذكره ابن عجيبة فبلعام بن باعوراء الذي كان يعلم اسم الله الأعظم ، وفتنه قومه ، وقد ذكرته آيات القرآن، قال تعالى:﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾ [الأعراف:١٧٥] ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: " لما نزل موسى بالجبارين ، ومن معه أتى – بلعامَ – بنو عمه وقومه ، فقالوا: إن موسى رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه ، قال: إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ، ذهبت دنياي وآخرتي ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فقلب الله لسانه بدعائه

---

(١) القبض والبسط: حالان شريفان لأهل المعرفة ، وهما بعد ترقى العبد عن حالة الخوف ، والرجاء ، وتكونان بلا تكلف العبد ، إذا قبضهم الحق أحشمهم عن تناول المباحات ، والأكل ، والشرب ، والكلام ، ... (انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ١٠٤٤ بتصرف) .

(٢) البحر المديد ، ٥ / ٣٩٠ .

(٣) المصدر السابق ، ٤ / ٤٨٧ .

عليهم، وليس على موسى ، فسلخه الله مما كان عليه ، فذلك قوله تعالى:﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ﴾ [الأعراف:١٧٥]" (١) ، وغيره ممن كانوا أولياء ثم خُتِم لهم بالخروج من رحمة الله ، ليس إلا لأنهم بشر يخطئون ، ولكن خطأهم لم يتبعه توبة ، وإنابة ورجوع إلى الله تعالى كان سبباً لخروجهم من ولاية الله تعالى ، بخلاف من تاب ، وأناب إلى الله تعالى كماعز والغامدية رضي الله عنهما ، فلو كانوا معصومين لما وقعوا في المعاصي (٢) ، وتصريح اللفظ بقوله:" فلا أشك في كمالك ": يوحي بالعصمة ، فالكمال لله وحده تعالى صاحب الصفات العلى ، والبشر أهل نقص وخطأٍ ونسيان، فلا يصح نسبة الكمال البشري إلا للأنبياء عليهم السلام، فكيف يقال ذلك للأولياء.

* العصمة عند السهروردي (٣) :

ممن نُقل عنه الحديث عن عصمة أولياء الصوفية السهروردي ، حيث قال: " الشيخ للمريدين أمين الإلهام ، كما أن جبريل أمين الوحي ، فكما لا يخون جبريل في الوحي، لا يخون الشيخ في الإلهام، وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى فالشيخ مقتدٍ برسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، لا يتكلم بهوى النفس " (٤) .

الرد على هذا الإدعاء:

السهروردي يثبت العصمة للولي ، وعبر عنه بلفظ الشيخ بقوله لا يخون في الإلهام بمعنى لا يحتمل الخطا ، وهذا يستحيل إلا للأنبياء المعصومين ، فبكلامه هذا يثبت العصمة لغير الأنبياء، وهذا لا يصح ، فالإلهام من صور المبشرات التي يتفاءل بها الإنسان تفاؤلاً ، وليست وحياً قرآنيًا ، أو سنة لا تقبل الرد ، أو الاعتراض ، فكيف تكون مصدراً للقبول والتصديق الجازم مثالها مثال الخبر اليقيني من القرآن أو السنة ! ، يقول ابن تيمية رحمه الله: " فالمحدث – وإن كان يلهم، ويحدث من جهة الله تعالى– فعليه أن يعرض ذلك على الكتاب والسنة ، فإنه ليس بمعصوم كما قال أبو الحسن الشاذلي: قد ضمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة ،

(١) انظر: تفسير الطبري ، ١٣ / ٢٥٧ ، و تفسير ابن كثير ، ٣ / ٥٠٨ .

(٢) سبق ذكر قصتهما رضي الله عنهما في هذا البحث ، ص ٢٥ .

(٣) هو الشهاب السهروردي يحيى بن حبش بن أميرك ، أبو الفتوح ، شهاب الدين ، السهروردي: فيلسوف ، اختلف المؤرخون في اسمه ، ولد في سهرورد (من قرى زنجان في العراق العجمي) ، (٥٤٩ – ٥٨٧ هـ ، ١١٥٤ – ١١٩١ م) ، أفتى العلماء بإباحة دمه ، فسجنه الملك الظاهرغازي ، وخنقه في سجنه بقلعة حلب ، من كتبه " التلويحات " ، و " هياكل النور " و" عوارف المعارف " ، (انظر: الأعلام للزركلي ، ٨ / ١٤٠) .

(٤) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ٢٠٥ ، نقلاً عن كتاب عوارف المعارف للسهروردي ، ص ٤٠٤ .

ولم تضمن لنا العصمة في الكشوف والإلهام ، ولهذا كان عمر بن الخطاب ﷺ وقافاً عند كتاب الله ، وكان أبو بكر الصديق ﷺ يبين له أشياء تخالف ما يقع له كما بين له يوم الحديبية ، ويوم موت النبي ﷺ ، ويوم قتال مانعي الزكاة ، وغير ذلك ، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يشاور الصحابة ﷺ ، فتارة يرجع إليهم ، وتارة يرجعون إليه ، وربما قال القول فترد عليه امرأة من المسلمين قوله ، وتبين له الحق فيرجع إليها ويدع قوله- كما قدر الصداق [(١)] - ، وربما يرى رأياً فيذكر له حديث عن النبي ﷺ فيعمل به ، ويدع رأيه ، وكان يأخذ بعض السنة عمن هو دونه في قضايا متعددة ، وكان يقول القول فيقال له: أصبت فيقول والله ما يدري عمر أصاب الحق أم أخطأه ؟ ، فإذا كان هذا إمام المحدثين فكل ذي قلب يحدثه قلبه عن ربه إلى يوم القيامة هو دون عمر ، فليس فيهم معصوم بل الخطأ يجوز عليهم كلهم ، وإن كان طائفة تدعي أن الولي محفوظ ، وهو نظير ما يثبت للأنبياء من العصمة ، والحكيم الترمذي قد أشار إلى هذا - فهذا باطل مخالف للسنة ، والإجماع ، ولهذا اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ، ويترك إلا رسول الله ﷺ ، وإن كانوا متفاضلين في الهدى ، والنور ، والإصابة ، ولهذا كان الصدّيق أفضل من المحدث؛ لأن الصدّيق يأخذ من مشكاة النبوة فلا يأخذ إلا شيئا معصوماً محفوظا ، وأما المحدث فيقع له صواب وخطا ، والكتاب والسنة تميز صوابه من خطئه ، وبهذا صار جميع الأولياء مفتقرين إلى الكتاب والسنة ، لا بد لهم أن يزنوا جميع أمورهم بآثار الرسول ﷺ ، فما وافق آثار الرسول ﷺ فهو الحق ، وما خالف ذلك فهو باطل ، وإن كانوا مجتهدين فيه والله تعالى يثيبهم على اجتهادهم ، ويغفر لهم خطأهم " [(٢)] ، هذا حال أئمة الأولياء من السلف الصالح ، وهذا منهجهم لا ينسبون ، أو يدعون العصمة لأنفسهم فضلاً عن غيرهم .

*** العصمة عند عامة شيوخ الصوفية :**

طلب كبار غلاة الصوفية من مريديهم ، وتلاميذهم عدم الاعتراض ، أو الإنكار على الشيخ (الولي)، يقول الكردي: " ومن آداب المريد مع شيخه عدم الاعتراض عليه في كل ما يفعله ، ولو كان ظاهره حراما ، وأن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي مغسله " [(٣)] ، ويقولون لهم أيضا: " ثم اعلم أن الولي ليس بمعصوم إذ العصمة للنبي لا للولي بل هو محفوظ ، ومعنى الحفظ في حقه ، أنه لا يفعل معصية ، وإن فعلها ندم على فوره ، وتاب توبة تامة ،

---

(١) الصداق : هو مهر الزوجة ، القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً ، تأليف: سعدي أبو جيب ، الطبعة الثانية (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) ، دار الفكر - دمشق - سوريا ، ص ٢٠٩ .

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، تأليف الإمام ابن تيمية ، ص ٤٥ .

(٣) تنوير القلوب ، ص ٤٧٩ ، ص ٥٢٩ .

وعرف زلة نفسه ، وأما من دام فعله للمعصية ، أو كان الأغلب عليه فليس من هؤلاء القوم ، ولا من أتباعهم، ولم يشم شيئاً من روائح إخوانهم " [١] ، وقول الشاذلي : " يبلغ الولي مبلغاً يقال له أصحبناك السلامة ، ورفعنا عنك الملامة فاصنع ما شئت " [٢] ، ويقول القشيري: " فمن صحب شيخاً من الشيوخ ، ثم اعترض عليه بقلبه نقض عهد الصحبة ، ووجبت عليه التوبة ، على أن الشيوخ قالوا: عُقوق الأستاذين لا توبة عنها " [٣] .

الرد على هذا الإدعاء :

الأقوال سالفة الذكر عن الشيخ ، وعلاقته بتلاميذه جميعها توحي بنسبة العصمة للشيوخ الأولياء ، وعدم خطئهم ، وأنهم يتصفون بالكمال البشري ، حيث لا يلزم من التلاميذ الرد عليهم، أو الإنكار؛ بل صرحوا بأنه لا تقبل ممن أخطأ مع شيخه التوبة منه ، وهذا كله ينتج عنه مغالاةً في الأولياء ، ومكانتهم؛ بل إنه يدل على وصفهم بالعصمة؛ لأن وجوب الطاعة المطلقة لا تكون إلا لله تعالى ، وللأنبياء الذين يأمرون بوحي من الله ، أما البشر فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وبكلامهم هذا يُستثنون من البشر الخطّائين؛ لأن طاعتهم صارت واجبة ، وهذا أيضاً يرده الشرع؛ بل إن تفسيرهم للشيخ – الولي – هو القدوة في الحياة مثله مثل الأنبياء في الاتباع أثبتوه ، قال السهروردي كلاماً نقله عنه ابن عجيبة: " فعلى المشايخ وقار لله ، وبهم يتأدب المريد ظاهراً وباطنا ، قال الله تعالى:﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام:٩٠] ، فالمشايخ لما اهتدوا ، أهلوا للاقتداء بهم ، وجعلوا أئمة للمتقين "[٤]، وقال رسول الله ﷺ حاكياً عن الله ﷻ: " **إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت نعيمه ، ولذته في ذكري ، فإذا جعلت نعيمه ، ولذته في ذكري عشقني وعشقته ، فإذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بيني وبينه ، وصرت معالماً بين عينيه ، لا يسهو إذا سها الناس ، أولئك كلامهم كلام الأنبياء ، أولئك الأبطال حقا ، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة ، وعذاباً ذكرتهم فصرفت ذلك عنهم** " [٥]، فقد فسر الآية تفسيراً خالف تفسير أهل السنة والجماعة ، فقد ذكر الطبري رحمه الله المقصود بأولئك الذين هدى الله ،

---

(١) تنوير القلوب ، ص ٣٩٩ .

(٢) درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ١٠٣ .

(٣) الرسالة القشيرية ، ١٥٠ .

(٤) البحر المديد ، ٤ / ٥٣٩ .

(٥) أخرجه أبو نعيم في حليته ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، تأليف أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الخامسة (١٤٠٥ هـ) ، ٦ / ١٦٥ .

وبيّن أن الضمير في أولئك يعود على الأنبياء خاصة بهم ليست لغيرهم ، فعن الإمام الطبري رحمه الله قوله معلقاً على الآية خلاف ما ادّعوه: " فبالعمل الذي عملوا ، والمنهاج الذي سلكوا ، وبالهدى الذي هديناهم ، والتوفيق الذي وفقناهم: " اقتده " يا محمد ، أي: فاعمل ، وخذ به واسلكه ، فإنه عملٌ لله فيه رضا ، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى ، وهذا التأويل على مذهب من تأول قوله:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام:٨٩] ، أنهم الأنبياء المسمون في الآيات المتقدمة ، وهو القول الذي اخترناه في تأويل ذلك ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثم قال في الأنبياء الذين سماهم في هذه الآية: ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾ " [١] .

أما الحديث القدسي الذي استدل به غلاة الصوفية هو لم يثبت عن النبي ﷺ ، أو عن الله تعالى بل ضعفه العلماء [٢] ، يقول ابن تيمية رحمه الله: " وقد قال الله تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آَيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج:٥٢] ،فقد ضمن الله للرسول وللنبي أن ينسخ ما يلقي الشيطان في أمنيته ، ولم يضمن ذلك للمحدث ، فإن نسخ ما ألقى الشيطان ليس إلا للأنبياء ، والمرسلين إذ هم معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى أن يستقر فيه شيء من إلقاء الشيطان وغيرهم لا تجب عصمته من ذلك ، وإن كان من أولياء الله المتقين فليس من شرط أولياء الله المتقين ألا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء خطأً مغفوراً لهم؛ بل ولا من شرطهم ترك الصغائر مطلقاً؛ بل ولا من شرطهم ترك الكبائر ، أو الكفر الذي تعقبه التوبة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[الزُّمر:٣٣] ، فقد وصفهم الله بأنهم هم المتقون ، و" المتقون " هم أولياء الله ، ومع هذا فأخبر أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ، وهذا أمر متفق عليه بين أهل العلم والإيمان ، وإنما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة، وأشباه الرافضة من الغالية في بعض المشايخ ومن يعتقدون أنه من الأولياء " [٣] .

---

(١) تفسير الطبري ، ١١ / ٥٢٠ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في حليته ، وقال أبو نعيم: وهذا الحديث خارج من جملة الأحاديث المراسيل المقبولة عن الحسن لمكان محمد بن الفضل وعبد الواحد وما يرجعان إليه من الضعف ، مما يثبت ضعفه ، انظر: ٦ / ١٦٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ، ١١ / ٦٦ .

المطلب الثاني

الفرق بين النبوة والولاية عند أهل السنة

النبوة اصطفاء من الله تعالى ومنحة إلهية ، يختص بها من يشاء من عباده ، لا تنال بالمجاهدة ، وتختلف عن الولاية اختلافا كبيرا ، رغم أن الأنبياء بشر ، يحدث لهم ما يحدث لغيرهم، وقد بين الله ﷻ في أكثر من آية أن النبوة اختصاص إلهي ونعمة ربانية ، يمن بها على من يشاء من عباده ، قال الله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ [طه:١٣] ، فالنبوة اصطفاء ، واختيار من الله تعالى ، قال تعالى:﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج:٧٥]، ويؤكد الكلام السابق ما قاله السفاريني رحمه الله: " فمذهب أهل الحق أن النبوة لا تنال بمجرد الكسب بالجد والاجتهاد ، وتكلف أنواع العبادات ، واقتحام أشق الطاعات ، والدأب في تهذيب نفسه ، وتنقية خواطره وتطهير أخلاقه ، ورياضة نفسه وبدنه ، وتهذيب ذلك ، فالله سبحانه فضله يؤتيه من شاء ممن سبق علمه ، وإرادته الأزليان باصطفائه لها، فالله أعلم حيث يجعل رسالته ، وهذا خلاف قول الفلاسفة المشائين (١) المجوزين اكتساب النبوة بزعمهم أن من لازم الخلوة ، والعبادة ، ودوام المراقبة ، وتناول الحلال ، وأخلى نفسه من الشواغل العائقة عن المشاهدة بعد كمال ظاهره ، وباطنه بالتهذيب ، والرياضة " (٢) ، ويقول الشيخ حسن أيوب: " والنبوة ، والرسالة لا يمكن لأحد أن يكتسب أحدهما عن طريق المجاهدة ، والرياضة ، والتقوى ، وغيرهما؛ لأنهما منحة من الله تعالى يختص بهما من يشاء من عباده ، ويتفضل بهما على من يختاره من خلقه ، فهما إذاً من شأن الله وحده لا دخل للخلق فيهما بأي وجه من الوجوه ، قال تعالى:﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام:١٢٤] ، ولا عبرة بقول من قال من الفلاسفة: إن النبوة يمكن اكتسابها بمباشرة أسباب مخصوصة ، كملازمة

---

(١) الفلاسفة المشائين: هم أتباع أرسطو ، وأفلاطون ، وغيرهم ، أصحاب التعاليم الذين لهم التصانيف المعروفة في الفلسفة ، والذين يوجد فى كلامهم من الباطل ، والضلال نظير ما يوجد فى كلام اليهود والنصارى ، (درء تعارض العقل والنقل ، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، دار الكنوز الأدبية – الرياض ، طبعة ١٣٩١ هـ ، ٣ / ٢٢١) .

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، تأليف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ، الطبعة الثانية (١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م) ، ٢ / ٢٦٧ .

الخلوة والعبادة ، وأكل الحلال؛ لأنه لم يقم على ذلك دليل عقلي ، ولا شرعي ، وهم بذلك خلطوا بين النبوة والولاية " (١).

أما الولاية فهي من الأمور الكسبية التي ينالها العبد المؤمن جزاء أعماله الخيّرة ، ورتبة النبوة تفوق رتبه الولاية ، وهذا مذهب السلف ، يقول ابن تيمية : " وقد اتفق سلف الأمة ، وأئمتها ، وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء " (٢)، والحديث هنا لبيان الفرق بين النبي والولي في الأمور التي قد يحدث فيها اللبس ، والغلو عند غلاة الصوفية ، فصفات الأنبياء كثيرة ، **واقتصرت في بحثي هذا على الصفات التي تميز بها الأنبياء عن أولياء غلاة الصوفية التي غالى فيها كبراؤهم :**

أولاً: الوحي :

لغةً: قال الجوهري: " الوحي هو الكلام الخفي السريع الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام ، وكل ما ألقيته إلى غيرك ، يقال: وحيت إليه الكلام وأوحيت ، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه " (٣)، قال ابن الأنباري: " سمي وحياً؛ لأن الملك أسرّه عن الخلق ، وخص به النبي المبعوث إليه"(٤).

اصطلاحاً : هو طريق إعلام الله تعالى أحد أنبيائه ، أو رسله بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر، كالوحي ، أو الإلهام ، أو من وراء حجاب (٥) .

ثانياً: العصمة :

لغةً : من عصم بمعنى المنع ، والوقاية ، والحفظ ، والإمساك ، واعتصمت بالله أي: امتنعت به من الشر ، واستعصمت أي: أبيت ، قال الله ﷻ حكاية عن امرأة العزيز حين راودته عن نفسه: ﴿ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ أي: تأبى عليها ، ولم يجبها إلى ما طلبت (٦) .

إذن العصمة في اللغة بمعنى المنع ، والحفظ ، والوقاية ، والمسك .

---

(١) تبسيط العقائد الإسلامية ، تأليف الشيخ حسن أيوب ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) ، ص ٧٤ .

(٢) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ، ص ٥١ .

(٣) الصحاح في اللغة ، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم – لبنان ، طبعة (١٩٨٧ م) ، ٢ / ٢٧٠ .

(٤) تاج العروس ، ٤٠/ ١٧٣ .

(٥) انظر: الرسل والرسالات تأليف: د عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الطبعة السادسة (١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م) ، ص ٦١ .

(٦) انظر: لسان العرب ، ١٢ / ٤٠٣ ، معجم مقاييس اللغة ، ٤ / ٣٣١ ، العين: ١ /٣١٣ .

شرعاً: حفظ ظواهر الأنبياء ، وبواطنهم من التلبس بمعصية، وهي من الصفات الواجبة لهم [١].

***عصمة الأنبياء :**

إن الله تعالى حفظ أنبياءه من كل معصية صغيرة ، أو كبيرة في التبليغ والرسالة بالإجماع، بخلاف غيرهم من البشر ، قال ابن تيميه رحمه الله: " والكلام في هذا المقام مبني على أصل: وهو أن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه ، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه ... بخلاف غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء ، ولو كانوا أولياء لله ، ولهذا من سب نبياً من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء ، ومن سب غيرهم لم يقتل " [٢] ، كما أن الرسل مأمورون بتبليغ ما أمرهم الله تعالى فوجب عصمتهم؛ لأنهم قدوة للناس أما غيرهم من البشر سواء أولياء ، أو علماء فمهما بلغوا من العلم ، والتقوى ، والإمامة فتقع منهم الزلات ، والأخطاء؛ بل ربما وقع بعض الأكابر منهم في بعض البدع من حيث يرونها سنة ، وقربة إلى الله ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فأما الصديقون ، والشهداء ، والصالحون فليسوا بمعصومين " [٣] ، ويقول أيضا: " ودعوى العصمة تضاهي المشاركة في النبوة ، فإن المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول لا يجوز أن يخالف في شيء ، وهذه خاصة الأنبياء ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم " [٤] .

*** لا عصمة للصحابة ﷺ :**

أهل السنة والجماعة لا ينسبون العصمة للصحابة ﷺ حتى أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ بما فيهم: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ليسوا بمعصومين ، وقد قال الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق ﷺ في أول خطبة يخطبها بعد توليه الخلافة: " أيها الناس إني وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أخطأت فقوموني " [٥] ، فعدالتهم ثابتة بالقرآن والسنة ، والآيات تدل على ذلك ، ولكن هذا لا يعني عصمتهم من الذنوب ، والمعاصي فقد تقع منهم معصية ، ويتوبون منها كما حدث مع ماعز والغامدية رضي الله عنهما فقد تابا توبة صادقة ، يقول ابن الأنباري رحمه الله: " وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم ،

---

(١) تبسيط العقائد الإسلامية ، ص ٧٨ .

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠ / ٢٨٩ .

(٣) المصدر السابق ، ٣٥ / ٦٩ .

(٤) منهاج السنة النبوية ، ٦ / ١١٤ .

(٥) البداية والنهاية ، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين ، حققه، وعلق حواشيه : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م) ، ٥ / ٢٦٩ .

واستحالة المعصية منهم ، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة ، وطلب التزكية إلا إن ثبت ارتكاب قادح ، ولم يثبت ذلك ولله الحمد " (١) ، ويدل على ذلك قصة عمر رضي الله عنه من حديث **مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ- سعد بن أبي وقاص**رضي الله عنه- **قَالَ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** رضي الله عنه **عَلَى رَسُولِ اللَّهِ** ﷺ **، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْأَلْنَه ، وَيَسْتَكْثِرْنَه ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِه، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ** رضي الله عنه **تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ** ﷺ **، فَدَخَل ، وَالنَّبِيُّ** ﷺ **يَضْحَك ، فَقال: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، فَقال: عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاءِ اللاتِي كُنَّ عِنْدِي لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرْنَ الْحِجَاب ، فَقَال: أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ اللَّه ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ فَقَال: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلَمْ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ **؟ فَقُلْنَ إِنَّكَ أَفَظُّ ،وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ** ﷺ **، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ**: إِيهٍ يَا ابْنَ الْخَطَّاب ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ** " (٢) ، و قد علق على هذا الحديث الإمام ابن حجر رحمه الله فقال: " فيه فضيلة لعمر رضي الله عنه تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه لا أن ذلك يقتضي وجود العصمة إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه في طريق يسلكها ، ولا يمنع ذلك من وسوسته له بحسب ما تصل إليه قدرته ، فإن قيل عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة؛ لأنه إذا منع من السلوك في طريق فأولى أن لا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له فيمكن أن يكون حفظ من الشيطان،ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له؛ لأنها في حق النبي واجبة وفي حق غيره ممكنة " (٣) فقد أثبت ابن حجر رحمه الله العصمة للنبي ، ولم يثبتها للصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رغم عظم شأنه في الإسلام ، وهذا ما ذكره ابن تيمية رحمه الله أيضا ، فقال: " وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة رضي الله عنهم معصوم عن كبائر الإثم وصغائره؛ بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات مما ليس لمن بعدهم ، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون ، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد

---

(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، تأليف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، دار الكتب العلمية – لبنان ، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ) ، ٣ / ١١٥ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ٥ / ١١ ح (٣٦٨٣) .

(٣) فتح الباري ، ٧ / ٤٦ ح (٣٤٨٠) قوله: باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ذهباً ممن بعدهم [١] ، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه ، أو أتى بحسنات تمحوه ،أو غفر له بفضل سابقته ، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته ، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه " [٢] .

مما سبق يتبين أن العصمة ليست من شروط الولاية كما ادعى غلاة الصوفية فقد يخطئ ويصيب ، ويذنب ، يقول ابن تيمية رحمه الله: " وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ؛ بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ، ومما نهى الله عنه " [٣] ، فالأولياء وغيرهم من البشر مهما بلغوا من التقوى ، والصلاح يظلون بشراً يخطئون ، ويصيبون ، ويذنبون ، ويتوبون ، فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ** " [٤] ، يقول ابن تيمية رحمه الله: " أجمع جميع سلف المسلمين ، وأئمة الدين من جميع الطوائف أنه ليس بعد رسول الله ﷺ أحد معصوم ، ولا محفوظ لا من الذنوب ، ولا من الخطايا؛ بل من الناس من إذا أذنب استغفر وتاب ، وإذا أخطأ تبين له الحق فرجع إليه ، وليس هذا واجبًا لأحد بعد رسول الله ﷺ ؛ بل يجوز أن يموت أفضل الناس بعد الأنبياء ، وله ذنب يغفره الله ، وقد خفي عليه من دقيق العلم ما لم يعرفه ، ولهذا اتفقوا على أنه ما من الناس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله ﷺ " [٥] .

ثالثاً: المعجزة :

لغةً: من العجز وهو الضعف وعدم القدرة ، وهو نقيض الحزم [٦] .

(١) مصداقاً لحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم ، ولَا نَصِيفَهُ " ، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا ، ٥ / ٨ ح (٨٦٧٣) .

(٢) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تأليف: محمد خليل هراس ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) ، ص ٢٦ .

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١٦٤ .

(٤) سبق تخريجه ، ص٢٥ .

(٥) جامع الرسائل ، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق: د . محمد رشاد سالم ، دار العطاء – الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م) ، ١ / ٢٦٦ .

(٦) لسان العرب ، ٥ / ٣٦٩ .

شرعاً: كل ما خرق العادة من قول أو فعل ، إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقهـا ، علـى جهة التحدي ، بحيث لا يقدر أحد عليها ولا على مثلها ولا على ما يقاربها (١) .

فمعجزات الأنبياء ، والآيات والبراهين هي أمور خارقة للعادة ، وكذلك كرامات الأولياء هي أمر خارق للعادة ، وتشترك أيضاً مع السحر ، والكهانة في أنها أمر خارق للعادة ، وعليه فهناك فروق في خرق العادة تختلف حسب الشخص الذي تخرق له العادة ، ومن خلال ما سبق هناك فرق كبير بين خرق العادة للأنبياء ، وخرق العادة للأولياء ، وخرق العادة للسحرة، والشياطين .

وهو أن خرق العادة للأنبياء (المعجزة) :

أولاً: هبة من الله ﷻ للنبي دون طلب ، أو كسب ، أو اجتهاد .

ثانياً: يتحدى بها الخلق ، ويعجزون عن الإتيان بمثلها فسميت معجزة .

ثالثاً: تصديق له فيما جاء به للناس .

وأما خوارق العادة للأولياء (الكرامة) :

أولاً: من الله تعالى ، يعطيها لمن كان مستقيمًا على الإيمان ومتابعة الشريعة .

ثانياً: لا يتحدى بها الخلق ، ولكن تسمى كرامة للولي لتثبّت قلبه على الحق .

ثالثاً: لا يدعي الولي النبوة بها بل تكون تأييداً من الله له؛ لتقواه وبره ، وليس للـولي أن يفـاخر بها ، وقد يظهرها الله تعالى للناس .

وأما خوارق السحرة فهي (السحر والشعوذة) :

أولاً: من الشيطان ، نتجت من التقرب للشياطين ، والتعاون معه حتى خدمتهم الشياطين ، كمـا في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١] .

ثانياً: أنها نتيجة متابعة الساحر للشيطان وعبادته له ، وشركه وكفره بالله ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة:١٠٢].

ثالثاً: يكون دليل على كذب الساحر ، وليس دليلاً على صدقه ، فسحرة فرعون ، ثبت كذب مـا يفعلون عندما تحداهم موسى عليه السلام بمعجزته وظهر ضعف موقفهم ، فما وسعهم أمام عظمة هـذه المعجزة الإلهية إلا أن خروا سجداً (٢) .

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ٤ ، الرسل والرسالات ، ص ١٢١ .

(٢) انظر : http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=١٣٧٠٣ .

شبهة غلاة الصوفية في خرق العادات :

اللبس الذي فتح الباب على غلاة الصوفية هو خوارق العادات عند كبار الأولياء ، وقد يكرم الله تعالى بعض أوليائه من المتقين الأبرار بأمر خارق يجريه على يديه ، ويسمى ذلك كرامة؛ ولكن هناك فرق شاسع بين المعجزة والكرامة؛ لأن الكرامة لا يدّعي صاحبها النبوة ، وإنما تظهر على يده لصدقه في اتباع النبي ﷺ ؛ لأن هؤلاء الأبرار ما كانت تقع لهم هذه الخوارق لولا اعتصامهم بالاتباع الحق للنبي ﷺ ، يقول ابن تيمية رحمه الله: " ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله كان نصيب الشيطان منه أكثر وهو بمنزلة الخمر ، يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر ، ولهذا إذا قويت سكرة أهله نزلت عليهم الشياطين ، وتكلمت على ألسنة بعضهم ، وحملت بعضهم في الهواء ، وقد تحصل عداوة بينهم ، كما تحصل بين شراب الخمر فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلونه ، ويظن الجهال أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين ، وإنما هذا مبعد لصاحبه عن الله ، وهو من أحوال الشياطين ، فإن قتل المسلم لا يحل إلا بما أحله الله ، فكيف يكون قتل المعصوم مما يكرم الله به أولياءه ، وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة ، فلم يكرم الله عبداً بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه ، ويزيده مما يقربه إليه ، ويرفع به درجته " (١) .

رابعاً: حسن الخاتمة :

الأنبياء هم صفوة الله ، وخيرة البشر ، والله تعالى أمّنهم من هول الفزع عند الموت ، قال تعالى:﴿ **اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [الحج:٧٥] ، وقال تعالى مخبراً عن يحيى بن زكريا عليه السلام:﴿ **وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**﴾ [مريم:١٥]، أي: يكون له الأمان في الثلاثة أحوال ، يقول الطبري رحمه الله:"﴿ **يوم ولد**﴾: وأمان من الله يوم ولد ، من أن يناله الشيطان من السوء ، بما ينال به بني آدم،﴿ **ويوم يموت** ﴾: وأمان من الله تعالى ذكره له من فتاني القبر ،﴿ **ويوم يبعث حيا** ﴾: وأمان له من عذاب الله يوم القيامة ، وهو هول المطلع يوم الفزع الأكبر ، من أن يروعه شيء ، أو أن يفزعه ما يفزع الخلق " (٢) ، وكذلك الكلام عن عيسى عليه السلام ، وغيره من الأنبياء؛ بل إن الأنبياء يخيرون عند موتهم بين الحياة والموت، يدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى** عليه السلام ، **فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَه ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّه ، فَقَال: أَرْسَلْتَنِي إِلَى**

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١ / ٢٩٨ .

(٢) تفسير الطبري ، ١٨ / ١٦٠ .

عَبْدٍ لا يُرِيدُ الْمَوْت ، فَرَدَّ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ عَيْنَه ، وَقَال: ارْجِعْ إِلَيْه ، فَقُلْ لَه: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَة، قال: أَيْ رَبِّ ثُمَّ مَهْ؟ قال: الْمَوْت، قال: فَالآنَ " [(١)]، وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:" **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَثِيرًا مَا أَسْمَعُهُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا حَتَّى يُخَيِّرَه ، قَالَت: فَلَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ آخِرُ كَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْهُ وَهُوَ يقول: بَلْ الرَّفِيقُ الأَعْلَى مِنْ الْجَنَّة ، قَالَتْ: قُلْتُ: إِذًا وَاللَّهِ لا يَخْتَارُنَا ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ الَّذِي كَانَ يَقُولُ لَنَا: إِنَّ نَبِيًّا لا يُقْبَضُ حَتَّى يُخَيَّرَ**" [(٢)] ، وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ:" **لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاه ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلام: وَا كَرْبَ أَبَاه ، فَقَالَ لَهَا: لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْم ، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاه ، يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاه ، يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاه ، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلام : يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَاب ؟** " [(٣)] .

فهذه الأحاديث تدل على حسن الخاتمة للأنبياء ، وأنهم يخيرون عند موتهم ، أما بخصوص الأولياء فحسن الخاتمة لهم بالعموم لم يُخصص ولي من الأولياء بعينه ، أو باسمه بحسن الخاتمة إلا من شهد له النبي ﷺ كالعشرة المبشرين بالجنة ، وهم كما روى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ سَعِيدَ بْنَ زَيْد ﷺ حَدَّثَهُ فِي نَفَرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " **عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّة ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّة ، وَعُثْمَان ، وَعَلِي ، وَالزُّبَيْر ، وَطَلْحَة ، وَعَبْدُ الرَّحْمَن ، وَأَبُو عُبَيْدَة ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاص ، قال : فَعَدَّ هَؤُلاءِ التِّسْعَة ، وَسَكَتَ عَنْ الْعَاشِر، فَقَالَ الْقَوْم: نَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا أَبَا الأَعْوَرِ مَنْ الْعَاشِرِ؟ قال : نَشَدْتُمُونِي بِاللَّهِ أَبُو الأَعْوَرِ فِي الْجَنَّةِ** " [(٤)]؛ بل جاءت الآيات ، والأحاديث بالعموم للمؤمنين ، كقوله تعالى:﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

---

(١) أخرجه النسائي في سننه بشرح السيوطي وحاشية السندي ، تأليف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث ، دار المعرفة- بيروت ، الطبعة الخامسة (١٤٢٠هـ)، ح (٢٠٨٨) ، وصححه الإمام الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي ، ٥ / ٢٣٣ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ، تأليف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ – ٢٠٠١م) ، ح (٢٦٣٤٦) ، وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، ٦ / ١٥ ح (٤٤٦٢) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب عن رسول الله ، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف ، ٣ / ٢١٨، ح (٢٩٤٧) ، و صححه الإمام الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ٨ / ٢٤٨ .

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " **مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**" [(١)] .

والحكمة من عدم الشهادة بحسن الخاتمة هي عدم أمان الفتنة على الشخص من سوء الخاتمة ، أو أن يكتب له الشقاء ، كما حدث مع بلعام بن باعوراء [(٢)]، ويدل على ذلك من أحاديث النبي ﷺ حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **الْتَقى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلى عَسْكَرِه ، وَمالَ الآخَرُونَ إِلى عَسْكَرِهِم ، وَفي أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لا يَدَعُ لَهُمْ شاذَّةً وَلا فَاذَّةً إِلاَّ اتَّبَعَهَا يَضْرِبُها بِسَيْفِه ، فَقالُوا: ما أَجْزَأَ مِنّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَما أَجْزَأَ فُلان ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَما إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّار ، فَقالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنا صَاحِبُه ، قَال: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّما وَقَفَ وَقَفَ مَعَه ، وَإِذا أَسْرَعَ أسرع مَعَه ، قَال: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَديدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصلَ سَيْفِهِ بِالأَرْض ، وَذُبابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْه ، ثُمَّ تَحامَلَ عَلى نَفْسِه ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقال: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله ، قَالَ: وَما ذَاكَ ؟ قَال: الرَّجُلُ الَّذي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلك ، فَقُلْتُ: أَنا لَكُمْ بِه ، فَخَرَجْتُ في طَلَبِه ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْت ، فَوَضَعَ نَصلَ سَيْفِهِ في الأَرْض ، وَذُبابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْه ، ثُمَّ تَحامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلك: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فيما يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّار ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيما يَبْدُو لِلنَّاس ، وَهْوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ** " [(٣)] .

مما سبق يتبين أنه لا نشهد لأحد بجنةٍ ولا بنار ، أو بحسنِ خاتمةٍ إلا من شهد له النبي ﷺ، يقول الطحاوي رحمه الله: " وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ ، وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ ، وقوله الحق " [(٤)]، فالصحابة ﷺ رغم شهادة الله لهم بالرضوان ، ورغم شهادة النبي ﷺ لهم بالجنة كما ذكر رب العزة في قوله تعالى:﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ**

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتاب العربي — بيروت، تحقيق الشيخ الألباني ، كتاب الجنائز ، باب في التلقين ، ٣ /١٥٩ ح (٣١١٨) ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود ، ٧ / ١٦٦ .

(٢) سبق ذكر قصته في هذا البحث ، ص ٤٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب لا يقول فلان شهيد ، ٤ / ٣٧ ح (٢٨٩٨) .

(٤) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، ص ١٨٠ .

جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠] ، لكنهم كانوا على خوف ووجل من الله تعالى ، ومن سوء العاقبة ، المبشرون بالجنة وغيرهم من الصحابة ﷺ، والتابعين أيضا ، فقد نقل ابن حجر رحمه الله عن أبي بكر ﷺ قوله: " ليتني كنت شعرة في صدر مؤمن " ، وقال عمر بن الخطاب ﷺ عند موته: " الويل لعمر إن لم يغفر له " (١) ، وذكر ابن الجوزي رحمه الله:" عن ابن مسعود ﷺ قوله: ليتني إذا مت لا أبعث ، و كانت عائشة رضي الله عنها تقول: ليتني كنت نسيا منسيا " (٢) ؛ بل إن أئمة السلف رحمهم الله لم يكونوا آمنين على أنفسهم من الفتن ، وسوء الخاتمة رغم صلاحهم وورعهم ، فعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: " حضرت أبي الوفاة ، فجلست عنده ، وبيدي الخرقة ، وهو في النزع لأشد لحييه ، فكان يغرق حتى نظن أن قد قضى ، ثم يفيق ، ويقول: لا بعد لا بعد بيده ، ففعل هذا مرة ، وثانية ، فلما كان في الثالثة ، قلت له: يا أبت إيش هذا الذي قد لهجت به في هذا الوقت؟، فقال لي: يا بني ما تدري ، فقلت: لا ، فقال: إبليس لعنه الله قام بحذائي عاضاً على أنامله يقول: يا أحمد فُتِّنِي ، وأنا أقول: لا بعد حتى أموت " (٣) .

خامساً: أحياء في قبورهم :

الانقطاع عن الدنيا ثابت للأنبياء ، وموتهم حق ، وهذا ما ثبت في القرآن الكريم ، وكتب السيرة التي نقلت خبر وفاته ﷺ ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب ﷺ فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي ، وإن رسول الله ﷺ ما مات؛ ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ﷺ ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ، و والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات ، قال: وأقبل أبو بكر ﷺ حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر ﷺ يكلم الناس فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها ، ورسول الله ﷺ مسجى في ناحية البيت عليه برد (٤)، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ ، قال: ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال: بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتةً أبدا ،

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ، لابن حجر الهيثمي ، ١ / ٥٤ .

(٢) صيد الخاطر ، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق: على الطنطاوي ، دار المنارة الطبعة الثانية (١٣٩٨ هـ) ، ص ١٢٨ .

(٣) حلية الأولياء ، ٩ / ١٨٣ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ، تأليف : أبو محمد عبد الملك بن هشام ، تحقيق: عمر عبد السلام، ٢ / ٦٥٥ .

قال: ثم رد البرد على وجه رسول الله ﷺ، ثم خرج وعمر ﵁ يكلم الناس فقال: على رسلك يا عمر أنصت ، فأبى إلا أن يتكلم فلما رآه أبو بكر ﵁ لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه ، وتركوا عمر ﵁ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال: ثم تلا هذه الآية:﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران:١٤٤] ، قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر ﵁ يومئذٍ، قال: وأخذها الناس عن أبي بكر ﵁ فإنما هي في أفواههم ، قال: فقال أبو هريرة ﵁ : قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر ﵁ تلاها ، فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي ، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات " (١)، فهل أقر أبو بكر ما قاله عمر رضي الله عنهما ؟ ، أم أن الصحابة سمعوا لعمر وتركوا كلام أبي بكر رضي الله عنهما ؟ بل جميعهم أقر بوفاة النبي ﷺ حقيقة لا مرية فيها ولا جدال .

ولكن مما تميز به الأنبياء عن الأولياء هو الحياة في القبر ، وحياتهم بعد موتهم ، بكيفية لا يعلمها إلا الله سبحانه ، كما جاء في الأحاديث الصحيحة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " **الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ** " (٢)، وعنه أيضاً قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ** " (٣)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا ، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ قال: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إلا أَنْبَأْتُهُمْ به ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنْ الأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ** (٤)، **وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﵇ قَائِمٌ يُصَلِّي أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ**

---

(١) سيرة ابن هشام ، ٢ / ٦٥٥ .

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده ، تأليف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ، دار المأمون للتراث – دمشق ، تحقيق: حسين سليم أسد ، الطبعة الأولى(١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م)، ٦ / ١٤٧ح(٣٤٢٥) ، وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل موسى ٤ / ١٨٤٥ح (٢٣٧٥) .

(٤) شنوءة :حي من اليمن ينسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ولقب شنوءة لشنئان ، وتباعد كان بينه وبين أهله، (تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ، تأليف: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٨ / ٤٤٦) .

بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ يَعْنِي نَفْسَهُ فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ " (١) ، ومن هذه الأدلة صلاة النبي ﷺ بالأنبياء دليل على حياتهم ، فكيف يصلى بهم وهم أموات ! ، يقول الألباني رحمه الله: " إن حياته – يعني النبي ﷺ – بعد وفاته مخالفة لحياته قبل الوفاة ، ذلك أن الحياة البرزخية غيب من الغيوب ، ولا يدري كنهها إلا الله ﷻ، ولكن من الثابت والمعلوم أنها تختلف عن الحياة الدنيوية ، ولا تخضع لقوانينها ، فالإنسان في الدنيا يأكل ويشرب ، ويتنفس ويتزوج ، ويتحرك ويتبرز ، ويمرض ويتكلم ، ولا أحد يستطيع أن يثبت أن أحداً بعد الموت حتى الأنبياء عليهم السلام ، وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ تعرض له هذه الأمور بعد موته ، ومما يؤكد هذا أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يختلفون في مسائل كثيرة بعد وفاته ﷺ ، ولم يخطر في بال أحدٍ منهم الذهاب إليه ﷺ في قبره ، ومشاورته في ذلك، وسؤاله عن الصواب فيها ، لماذا ؟ إن الأمر واضح جدا ، وهو أنهم كلهم يعلمون أنه انقطع عن الحياة الدنيا ، ولم تعد تنطبق عليه أحوالها ونواميسها، فرسول الله ﷺ بعد موته حي ، أكمل حياة يحياها إنسان في البرزخ ، ولكنها حياة لا تشبه حياة الدنيا " (٢) ، ويقول المبارك فوري رحمه الله عن حياة النبي ﷺ : " وعندنا حياته هذه هي نوع حياة برزخية ، وليست نظير الحياة الدنيوية المعهودة ، فإن روحه ﷺ في مستقرها في عليين مع الرفيق الأعلى ، ولها تعلق ببدنه الطيب قوي فوق تعلق روح الشهيد بجسده ، فلا يثبت لها أحكام الحياة الدنيوية إلا ما وقع ذكره في الأحاديث الصحيحة " (٣) .

وعليه فحياة الأنبياء بعد الموت حياة حقيقية لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه ، ولا يخرج جسده من قبره إلا عند النفخ للبعث ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: اسْتَبَّ رَجُلَانِ ، رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِين ، وَرَجُلٌ مِنْ الْيَهُود ، قَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِين ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِين ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِي ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِه ، وَأَمْرِ الْمُسْلِم ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِم ، فَسَأَلَهُ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب فى ذكر المسيح ابن مريم ، ١ / ١٠٨ ح (٤٤٨) .

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه ، تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، تنسيق: محمد عيد العباسي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية (١٣٩٧ هـ)، ص ٣٧ .

(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، تأليف: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري ، نشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند ، كتاب الصلاة ، باب الجمعة ، ٤ / ٤٤٠ ح (١٣٧٧) .

عَنْ ذَلك ، فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " **لا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَصْعَقُ مَعَهُم ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيق ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْش ، فلا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي ، أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَى اللَّهُ** " [(١)].

*** حياة غير الأنبياء من الأولياء والصالحين :**

إن حياة غير الأنبياء من الصالحين والأولياء لم تثبت إلا للشهداء؛ لأن الله تعالى أثبت حياتهم في البرزخ ، وحياة الأنبياء أكمل من حياة الشهداء ، وحياة الشهداء أيضاً لا يعلم حقيقتها إلا الله ﷻ، قال تعالى:﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [آل عمران:١٦٩] ، والأحاديث تدلل على ذلك ، فعن مسروق قال: " سألنا عبد الله بن مسعود ؓ عن هذه الآية:﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أمواتاً ...**﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال:" **أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْش ، تَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَت، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيل ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلاعَة ، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا ؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاثَ مَرَّات ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا ، قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا** " [(٢)] ، ويقول ابن عبد البر رحمه الله: " وهذه الآثار كلها تدل على أنهم الشهداء دون غيرهم ، وفي بعضها في صورة طير ، وفي بعضها في أجواف طير وفي بعضها كطير ، والذي يشبه عندي والله أعلم أن يكون القول قول من قال كطير ، أو كصور طير لمطابقته لحديثنا المذكور وليس هذا موضع نظر ولا قياس؛ لأن القياس إنما يكون فيما يسوغ فيه الاجتهاد ، ولا مدخل للاجتهاد في هذا الباب ، وإنما نسلم فيه لما صح من الخبر عمن يجب التسليم له " [(٣)] ، وأما ما يدعيه غلاة الصوفية بأن الولي في قبره يطوف ، ويُسأل ، ويقضي حاجات الناس ، ويأتي الناس إليه يزورونه عند قبره ، ويستجيب لهم عند دعائهم له ، فهذا كله مما خالف به مذهب أهل السنة والجماعة .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الخصومات ، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي ، ٢ / ٨٤٩ ح (٢٢٨٠) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب فى بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، ٦ / ٣٨ ح (٤٩٩٣) .

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى ، مؤسسة القرطبه ، ١١/ ٦٤ .

المبحث الثالث

تحصيل الولاية

المطلب الأول: تحصيل الولاية عند غلاة الصوفية.

المطلب الثاني: تحصيل الولاية عند أهل السنة والجماعة .

المطلب الأول

تحصيل الولاية عند غلاة الصوفية

للولاية عند غلاة الصوفية طرق تحصيل ، غالَوا فيها رغم أنها طرق منها الموافق للشرع ومنها المخالف ، والتي توافق الشرع أدخلوا عليها ما ليس منه ، ومن هذه الطرق أهمها:

أولاً: الذكر:

يعتبر الذكر من أكثر الأشياء التي يهتم بها غلاة الصوفية في تحصيل الولاية ، وللذكر في الإسلام مكانة عظيمة ، ولكن وفق منهج القرآن والسنة ، دون إفراط ، ولا تفريط ، وما يفعله الغلاة فيه مبالغة ، ومخالفةٌ لمنهج السلف الصالح في حبهم للذكر ، والحث عليه ، فالنية الصالحة لا تصلح العمل الفاسد ، فقد بالغوا في الذكر ، وبنو كثيراً من الأوراد على أذكار لا أصل لها في السنة ، ولا سلف الأمة ، مع اشتمالها على السؤال بجاه النبي ﷺ ، وهذا أيضاً من الأمور التي لا تجوز في شرعنا الحنيف ، وما يحويه الذكر عندهم من مخالفات .

ومن أهم مظاهر الذكر عندهم مع الرد على كل مظهر من هذه المظاهر:

المظهر الأول: الذكر بالقلب :

يُعد ذكر القلب هو الأساس للذكر ، ولكن أيضاً لا يقتصر الذكر على القلب فقط عند منهج أهل السنة والجماعة؛ بل يشمل جميع الجوارح ، بينما الغلاة فضلوا ذكر القلب ، وجعلوا منزلته أسمى المنازل ، يقول الكردي في بعض نظمه في بيان مكانة الذكر الخفي:

بقلب فاذكر الله خفياً　　عن الخلق بلا حرف وقال

وهذا الذكر أفضل كل ذكر　　بهذا قد جرى قول الرجال [(١)]

فقد قاموا بتقسيم الذكر إلى قسمين: ذكر اللسان ، وذكر القلب ، مع تفضيل ذكر القلب على اللسان، وهذا النص يثبت قولهم ، حيث يقول الكردي: " اعلم أن الذكر نوعان قلبي ، ولساني ، ولكل منهما شواهد من الكتاب والسنة ، فالذكر اللساني: باللفظ المركب من الأصوات ، والحروف لا يتيسر للذاكر في جميع الأوقات ، فإن البيع ، والشراء ، ونحوهما يلهيان الذاكر عنه البتة بخلاف الذكر القلبي فإنه يكون بملاحظة مسمى ذلك اللفظ المجرد عن الحروف ، والأصوات ، وإذاً فلا شيء يلهي الذاكر عنه " [(٢)] ، ويقول أيضاً: " اعلم أن الذكر القلبي ينقسم

---

(١) تنوير القلوب ، ص ٤٨٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٨٠ .

إلى قسمين: الأول باسم الذات ، والثاني: بالنفي والإثبات ، وهذا كله لا عمل للسان فيه " [١] ، ويقول أيضاً: " وأعظمها أن يلاحظ أن الله ناظر إليه ، ومطلع عليه في جميع الأحوال [٢] ، فيشتغل بذكره قلباً دائماً ماشياً كان ، أو قاعدا ، أو مشتغلاً بصنعه؛ لأنها لا تمنعه عن الذكر بمعنى أن يجري لفظ الجلالة على قلبه " [٣] ؛ بل ينكرون على من ذكر الله تعالى بلسانه ، وينهونه عن ذلك ، ومن عباراتهم: " فإن كنت لابد ذاهباً فلا تذكر معهم الذكر الجهر ، فإن طريق أكابرنا مبني على الأخذ بالعزائم ، وترك الرخص ، وهم يرون أن الذكر القلبي عزيمة ، والجهري رخصة " [٤]، وإذا انشغل بالذكر القلبي ولي غلاة الصوفية فقد يغيب عن الوجود المحيط به مما يوقعه في سرقة ، وغيرها مما لا يشعر به ، ويعدها قربة ، ونعمة من الله عليه – فلا حول ولا قوة إلا بالله – ، فقد ورد في كتاب تنوير القلوب عن أحد شيوخ الكردي ، وكان هذا الشيخ يذكر الله بقلبه: " نظر إليه رجل وهو قاعد يذكر الله بقلبه فظنه نائما ، فأخذ قلنسوته من على رأسه ، وسرق آخر نعله ، قال: فبقيت حافياً مكشوف الرأس ، وأنا فرح قرير العين بما يفيض ربي على سري ، وعوالمي من مواهبه المتواترة ، وغيث كرمه المدرار" [٥]، **وسبب تفضيل ذكر القلب عندهم هو أن القلب محل نظر الله، واستدلوا بأدلة منها :**

١- أن أعمال الجوارح لا تقبل إلا بعمل القلب ، وعمل القلب يقبل بدونها ، والإيمان هو التصديق بالقلب ، وعليه فالقلب محل نظر الله تعالى .

٢- استدلوا بقوله تعالى:﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢] .

٣- وبقوله تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[الحجرات:٣].

٤- وقوله تعالى:﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ وَالآَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] .

٥- واستدلوا بأحاديث ضعيفة منها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يفضل

(١) تنوير القلوب ، ص ٤٨٢ .

(٢) الأحوال : ما يحل بالقلوب ، أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار ، وهى ما يحدث للأولياء ، والقبض ، والبسط من أحوال الأولياء ، وتكون نتيجة العمل الصالح ، (انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ٢٠) .

(٣) تنوير القلوب ، ص ٤٩٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٢ .

الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لا يستاك سبعين ضعفا ، وكان رسول الله ﷺ يفضل الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة سبعين ضعفا ، فيقول: إذا كان يوم القيامة وجمع الله لحسابهم وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال الله لهم: انظروا هل بقي له من شئ ؟ فيقولون: ربنا ما تركنا شيئاً مما علمناه ، وحفظناه إلا وقد أحصيناه ، وكتبناه ، فيقول الله تبارك وتعالى له: إن لك عندي خبئاً لا تعلمه أنا أجزيك به ، وهو الذكر الخفي " [(١)] ، وحديث: " خير الذكر الخفي ، و خير الرزق ما يكفي " [(٢)] .

الرد على الغلاة بخصوص الذكر بالقلب :

ذِكْرُ الله تعالى مهم في حياة المسلمين ، وتقسيم غلاة الصوفية لذكر الله فقط بالذكر القلبي والذكر اللساني ، تقسيم مقبول نوعا ما ، ولكن تفضيل الذكر القلبي على اللساني بالمطلق فهذا لا يقبل ، ولا شك أن التجارة والبيع والشراء يلهي عن الذكر باللسان ، ولكن هذا لا يمنع أن يقوم المسلم بالذكر أثناء بيعه وشرائه ، يقول ابن كثير رحمه الله: " وقوله:﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الجمعة:١٠] ، أي: حال بيعكم وشرائكم ، وأخذكم وعطائكم ، اذكروا الله ذكرا كثيرا ، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة ، ولهذا جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَال: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَه ، لا شَرِيكَ لَه ، لَهُ الْمُلْك ، وَلَهُ الْحَمْد ، يُحْيِي وَيُمِيت ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوت ، بِيَدِهِ الْخَيْر ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَة، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَة، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ** "[(٣)]، وهذا ما كان عليه السلف رحمهم الله ، فقد ورد: " كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه [(٤)] إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد ، فقال: اللهم إني أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ،

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده ، ٨ / ١٨٢ ح (٤٧٣٨)، قال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف .

(٢) ضعفه الإمام الألباني ، ضعيف الترغيب والترهيب ، ١ / ٢٦٦ ح (١٠٦٠) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ ، باب ما يقول إذا دخل السوق، ٥ / ٤٩١ ح (٣٤٢٨) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ، ١٠ / ٢٩ ح (٣١٣٩) .

(٤) هو عراك بن مالك الغفاري ، قال العجلي: شامي تابعي ثقة ، من خيار التابعين ، عداده في أهل المدينة ، مات في ولاية يزيد بن عبد الملك ، وقال أيوب بن سود عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ما كان أبي يعدل بعراك بن مالك أحدا (انظر: الثقات ، ٥ / ٢٨١ ، و تهذيب التهذيب، تأليف: ابن حجر العسقلاني، ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م)، ٧ / ١٥٦) .

وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك ، وأنت خير الرازقين " [(١)] ، فلم ينتظر عراك بن مالك ﷺ حتى يرجع لبيته وينتهي من تجارته يومه ذلك ، ثم قال: الآن أذكر الله بقلبي؛ لأني كنت بالتجارة ؛ بل وهو في سوقه وبيعه وشرائه دعا بتلك الكلمات تأويلا لما في سورة الجمعة ، وقال مجاهد رحمه الله : " لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً ، حتى يذكر الله قائماً ، وقاعداً ، ومضطجعاً " [(٢)] .

الرد على اقتصار الذكر بالقلب :

الكل يعلم أن الأعمال لا تقبل إلا بعمل القلب والنية ، والنية تعد الأساس لجميع العبادات ومحلها القلب ، ولكن قبول عمل القلب دون الجوارح يقتصر على الأمور الاعتقادية التي لا يشترط فيها النطق والتلفظ بها كالتفكر في عظمة الله في مخلوقاته ، أما الاقتصار على القلب وحده فهذا لا يكفي لصحة العمل وقبوله ، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "**إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُم ، وَأَمْوَالِكُمْ؛ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُم ، وأعمالكم** " [(٣)] ، فالحديث ربط العمل مع القلب الذي هو النية .

الرد على الاستدلال بقوله تعالى: " كتب في قلوبهم الإيمان " :

أما استدلالهم بقوله تعالى:﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ﴾ [المجادلة:٢٢] ، بأن المقصود منها الذكر بالقلب وحده فهذا غير صحيح ، ومخالفٌ لمنهج أهل السنة والجماعة ، فقد جاءت هذه الآية وصفاً لمن ترك موالاة الكفار حتى لو كانوا من قرابتهم ، يقول الطبري رحمه الله: "هؤلاء الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم ، كتب الله في قلوبهم الإيمان " [(٤)] ، فجزاء عدم موالاتهم للكفار ثبت الإيمان في قلوبهم؛ لأنه الأساس .

الرد على الاستدلال بقوله ﷻ:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾ [الحجرات:٣]:

أما استدلالهم بقوله تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾ على أنها أيضاً دليل على الذكر القلبي ، ففي الآية بيّن الله تعالى الامتحان ، ووضع السؤال ألا وهو التقوى فالاختبار للقلوب بالتقوى ، والتقوى تعني فعل الأوامر واجتناب النواهي ، وهذا يلزمه العمل لا يقتصر

---

(١) تفسير ابن كثير ، ٨ / ١٢٢ .
(٢) المصدر السابق ، ٨ / ١٢٣ .
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله ، ٨ / ١١ ح (٦٧٠٨) .
(٤) تفسير الطبري ، ٢٣ / ٢٥٨ .

فقط على القلب ، ولكن خص القلب بالذكر؛ لأنه موضع الإخلاص ، وأساس الأعمال ، يقول الطبري رحمه الله: " هم الذين اختبر الله قلوبهم بامتحانه إياها ، فاصطفاها ، وأخلصها للتقوى ، يعني لاتقائه بأداء طاعته ، واجتناب معاصيه ، كما يمتحن الذهب بالنار ، فيخلص جيدها ، ويبطل خبثها " [(١)] .

الرد على الاستدلال بقوله تعالى:﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ... ﴾ [الأعراف:٢٠٥] :

اختلف أهل التأويل بين جعلها ذكر قلب أم ذكر لسان ، يقول ابن الجزي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية:" يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان ، أو الذكر باللسان سراً " [(٢)]، ثم سياق الآية يدلل على وجود ذكر باللسان حيث قال تعالى:﴿ **وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ** ﴾ ، فالمقصود رغبة ورهبة ، وبالقول دون الجهر بمعنى دون رفع الصوت ، فالمستحب من الذكر عدم رفع الصوت ، ويدلل على صحة هذا الكلام كلام ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى:﴿ **وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ** ﴾ : " وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا يكون نداء ، ولا جهراً بليغا ، ولهذا لما سألوا رسول الله ﷺ ، فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه؟ أنزل الله:﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ** ...﴾ [البقرة:١٨٦] [(٣)] ، وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا ، وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَم ، وَلا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُم ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ اسْمُه ، وَتَعَالَى جَدُّهُ** " [(٤)]، ثم إن المقصود بهذه الآية: هو ما كان يفعله المسلمون قبل فرض الصلوات الخمس بمعنى إن صح ما يستدلون به من الذكر القلبي من هذه الآية فقد كان قبل فرضية الصلاة ، يقول ابن كثير رحمه الله: " وقد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء ، وهذه الآية مكية ... ، وقد يكون المراد من هذه الآية كما في قوله تعالى:﴿ **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا** ﴾ [الإسراء:١١٠]: فإن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبوه ، وسبوا من أنزله ،

---

(١) تفسير الطبري ، ٢٢ / ٢٨٨.
(٢) المصدر السابق ، ١ / ٥٥٢ .
(٣) تفسير ابن كثير ، ٣ / ٥٣٩ .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير ، ٤ / ٥٧ ح (٢٩٩٢) .

وسبوا من جاء به ، فأمره الله تعالى ألا يجهر به ، لئلا ينال منه المشركون ، ولا يخافت به عن أصحابه فلا يسمعهم ، وليتخذ سبيلاً بين الجهر والإسرار " (١) .

الرد على الاستدلال بجملة من الأحاديث :

أما الأحاديث التي استدلوا بها فقد ضعفها العلماء ، مما يمنع الاستدلال بها لبناء أحكام شرعية ، أو عقائدية ، وهذا ما قرره الإمام ابن تيمية رحمه الله: " ولم يقل أحدٌ من الأئمة إنه يجوز أن يجعل الشيء واجباً، أو مستحباً بحديث ضعيف، ومن قال هذا فقد خالف الإجماع " (٢).

المظهر الثاني: الذكر الجماعي :

مما يؤخذ على غلاة الصوفية أنهم كانوا يحافظون على الذكر بالقلب جماعة ، وليس أفرادا، فقد ورد عن بعض شيوخهم كما ذكر الكردي: " ولما تشرّفْتُ بلقائه يوم الختم ، وكنا نحضر من العصر نشتغل بالذكر القلبي إلى أن يجيء وقت الختم من الليل " (٣) ، ويقومون بأداء أذكار مخصصة يتناولونها فيما بينهم ، ومن هذه الأذكار الجماعية المقدسة عند الغلاة: الذكر الخواجكاني ، وهو مشهور عندهم ، يقول الكردي: " الخواجكان جمع فارسي لخواجه بواو ثم ألف ، ولا تقرأ الواو إنما أتى بها لتفخيم المد ، والخواجه: بمعنى الشيخ ، وحكمة تسمية الختم ختماً أن السادات كانوا إذا اجتمع المريدون عندهم ، وأحب الشيخ الانصراف ختم مجلسه بهذه الأذكار...، وهو أعظم ركن ، وأفضل ورد مخصوص بالطريقة النقشبندية (٤) بعد اسم الذات ، وكلمة النفي والإثبات ، فإن أرواح المشايخ ببركة هذا الورد يعينون من استعان بهم " (٥) ، و قد استدلوا على بعض آداب ختم الخواجكان بحديث ضعيف عن يعلى بن شداد قال: حدثني أبي شداد بن أوس ﷺ وعبادة بن الصامت ﷺ حاضر يصدقه ، قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: " **هَلْ فِيكُمْ غَرِيب ، يَعْنِى أَهْلَ الْكِتَابِ؟، فَقُلْنَا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّه ، فَأَمَرَ بِغَلْقِ الْبَاب ، وَقَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيَكُم ، وَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه ، فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةَ ، ثُمَّ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَه ، ثُمَّ قَالَ:**

---

(١) تفسير ابن كثير ، ٣ / ٥٣٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ، ١ / ٢٥١ .

(٣) تنوير القلوب ، ص ١٩ .

(٤) النقشبندية: تنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند ٦١٨-٦٩١هـ ، وهي طريقة سهلة كالشاذلية ، انتشرت في فارس ، وبلاد الهند ، وآسيا الغربية ، (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ٢ / ٦٢) .

(٥) تنوير القلوب ، ص ٤٩٠-٤٩١ .

الْحَمْدُ لِلَّه ، اللَّهُمَّ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَة ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا ، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّة ، وَإِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَاد ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ" [١] .

الرد على الذكر الجماعي :

استدلالهم بالذكر الجماعي سواء جهراً أو بالقلب ، كأن يجتمعوا ، ويجلسوا ذاكرين الله تعالى بقلوبهم مستحضرين عظمة الله تعالى في قلوبهم ، فإنه لم يرد عن النبي ﷺ ، ولا عن صحابته رضي الله عنهم ، وهم خير القرون ، ففي خِيرة القرون لم يحدث ما يفعلونه ، فكيف نقبله ؟! ، فعن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم ، قَالَ عِمْرَانُ: لا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْن ، أَوْ ثَلاثَة ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُون ، وَيَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُون ، وَيَنْذِرُونَ وَلا يَفُون ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ** " [٢]، وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ** " [٣] ، وعليه فإن الذكر الجماعي من البدع المرفوضة في شرعنا الحنيف؛ لأن كلَ أمرٍ لم يثبت عن النبي ﷺ، وليس له أصل شرعي ثابت فهو غير مقبول، يقول الشاطبي رحمه الله: " إذا ندب الشرع إلى ذكر الله فالتزم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد ، وصوت واحد لم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتزم؛ لأن التزام الأمور غير اللازمة يفهم على أنه تشريع ، وخصوصاً مع من يقتدى به في مجامع الناس كالمساجد ، فإذا أظهرت هذا الإظهار ، ووضعت في المساجد كسائر الشعائر ، كالأذان ، وصلاة العيدين ، والكسوف ، فهم منها بلا شك أنها سنة إن لم تفهم منها الفرضية ، فلم يتناولها الدليل المستدل به ، فصارت من هذه الجهة بدعاً محدثةً " [٤] .

والذكر الجماعي المردود في هذا الباب هو: ما ينطق به الذاكرون المجتمعون بصوت واحد يوافق بعضهم بعضا ، وهو ما ذمه الشاطبي رحمه الله – كما سبق – ، ونهى عنه ، وعدّه من البدع في الإسلام؛ بل إن فَتْحَ باب البدع للأمة يكون سبباً لوقوعهم في الفتن والضلالات ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، من حديث شداد بن أوس ، ٤ / ١٢٤ ح (١٧١٦٢)، وعلق عليه الشيخ شعيب الأرنؤوط بقوله: إسناده ضعيف لضعف راشد بن داود – وهو الصنعاني الدمشقي – وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقائق ، باب مايحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، ٣/١٧٠، ح(٢٦٥١) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، ٣ /١٨٤ ح (٢٦٩٧) .

(٤) الاعتصام بحبل الله ، تأليف أبو إسحاق الشاطبي ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، ١ / ١٩٠ .

فعن عمرو بن يحيى قال: سمعت أبى يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود ﷺ قبل صلاة الغداة ، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد ، فجاءنا أبو موسى الأشعرى ﷺ فقال: أخرجَ إليكم أبو عبد الرحمن بعد ؟ قلنا: لا ، فجلس معنا حتى خرج ، فلما خرج قمنا إليه جميعاً ، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ، ولم أر والحمد لله إلا خيرا ، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه ، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة ، في كل حلقة رجل ، وفى أيديهم حصى ، فيقول: كبروا مائة ، فيكبرون مائة ، فيقول: هللوا مائة ، فيهللون مائة ، ويقول: سبحوا مائة ، فيسبحون مائة ، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك ، أو انتظار أمرك ، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم ، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم ، ثم مضى ، ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق ، فوقف عليهم ، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير، والتهليل ، والتسبيح ، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر ، والذي نفسي في يده إنكم لعلى ملةٍ هي أهدى من ملة محمد ، أو مفتتحى باب ضلالة ، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه ، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، وأيم الله ما أدرى لعل أكثرهم منكم ، ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الخلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج " [(١)]، وقد علق الألباني رحمه الله على هذه الحادثة بقوله: " ومن الفوائد التي تؤخذ من الحديث والقصة ، أن العبرة ليست بكثرة العبادة ، وإنما بكونها على السنّة ، بعيدة عن البدعة ، و قد أشار إلى هذا ابن مسعود ﷺ بقوله أيضاً: " اقتصادٌ في سنة ، خيرٌ من اجتهادٍ في بدعة "، ومنها: أن البدعة الصغيرة بريد إلى البدعة الكبيرة ، ألا ترى أن أصحاب تلك الحلقات صاروا بعد من الخوارج الذين قتلهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ فهل من معتبر ؟! " [(٢)].

أما إذا اجتمع المسلمون في المسجد ، ويقوم أحد العلماء ، أو الوعاظ بتذكيرهم بآيـات الله ﷻ، أو مسألة شرعية أو موعظة والباقي يستمع فهذا لا يدخل في باب البدع المنهي عنهـا كـدروس

---

(١) أخرجه الإمام الدارمي في سننه ، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدرامي ، تحقيق: فواز أحمـد زمرلي ، خالد السبع العلمي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، في مقدمة الكتـاب ح (٢١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ، ٥ / ٤ ح (٢٠٠٥) .

(٢) تعليق للإمام الألباني على القصة في السلسلة الصحيحة ، ٥ / ٤ ح (٢٠٠٥) .

علم، أو تفسير ، أو غيره؛ بل هكذا كانت حياة السلف علم وتعليم ، يقول الإمام النووي رحمه الله: " قال عطاء: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام ، كيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم وتنكح وتطلق وتحج وأشباه ذلك " (١) .

وأما بخصوص ذكر الخواجكان ، أو حزب البحر ، وغيرها من الأوراد والأذكار ، إذا لم يثبت فيها نص فالأولى رده لعموم الأدلة السابقة ، وبالجملة فقد شمل ختم الخواجكان على مخالفات لما ورد من الذكر المشروع المسنون عن النبيﷺ (٢) ، وحديث يعلى بن شداد الذي استدلوا به حديثٌ ضعيفٌ ضعّفه الألباني رحمه الله ، وضعفه من قبله علماء الجرح والتعديل (٣) ، والناظر لذكر الخواجكان لا يجده في القرآن الكريم الذي هو مصدر التشريع الأول ، والذي قال الله تعالى عنه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[القمر:١٧]، وقال تعالى:﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤] ، وكذلك الناظر لذكر الخواجكان لا يجده في سنة النبي ﷺ التي هي مصدر التشريع الثاني الذي قال الله في حق شريعته الغراء:﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] ، يقول ابن كثير رحمه الله: "هذه أكبر نعم الله ﷻ، على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى نبي غير نبيهم ، صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف ، كما قال تعالى:﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام:١١٥] ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله:﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] وهو الإسلام ، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان ، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا ، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا ، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً " (٤) ، فديننا كامل لا نقص فيه،

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، تأليف الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، مكتبة دار المنار – الأردن – الزرقاء ، تحقيق: محمد العمر ، ص ٢٥ .

(٢) انظر بالتفصيل آداب ختم الخواجكان ، تنوير القلوب ، ص ٤٩١-٤٩٣.

(٣) قال الألباني معلقاً على الحديث بأنه: موضوع ، سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٣ / ٥٤١ / ٦٥٥١ أخرجه العقيلي في " الضعفاء ، وابن عدي في " الكامل " ، وابن الجوزي في " الموضوعات ، وذكر ابن عدي نحوه ، وقال: والحديث بهذا الإسناد منكر " وقال ابن الجوزي بعد أن ذكر كلام العقيلي: " وقال ابن المنادي: هذا حديث واهٍ بالحسن بن رزين ، والخضر وإلياس مضيا لسبيلهما " .

(٤) تفسير ابن كثير ، ٣ / ٢٦ .

ولا زيادة ، وكذلك جيل الصحابة ﷺ الذين هم نبراس الهدى لهذه الأمة ، فقد حث النبي ﷺ على التمسك بسنته ، وسنة الخلفاء الراشدين الذين هم خير أصحاب النبي ﷺ لم يرد عن أحدهم أنه يوماً قام بهذا الذكر ، ففي الحديث الذي ورد عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ قَالَ: " **وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُون ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوب ، فَقَالَ رَجُل: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّه ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَة ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِي ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُور ، فَإِنَّهَا ضَلَالَة ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذ** " [(١)] ، فالنبي ﷺ أمرنا بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء كي نأمن الاختلاف والفتن ، ونهانا عن البدع في دين الله ﷻ، فلو قال قائل عن الأذكار التي جاء بها غلاة الصوفية أنها جاءت بعد جيل النبي ﷺ وجيل الصحابة ﷺ، فإن ذلك طعنٌ في أمانة النبي ﷺ ، وإشارةٌ إلى تقصيره في تبليغ ما أوحاه الله إليه ، وكتْمُ النبي ﷺ علما ، الأصل فيه أن يبلغه لأمته ، في حين أنّ النبي ﷺ الذي بلغ الرسالة على أكمل وجه ، ولم يقصر في التبليغ عن ربه ﷻ، حيث شهد الله لنبيه بأنه قد أكمل الدين ولم يقصر في التبليغ عن ربه ، قال تعالى:﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [المائدة:٣] ،ولو أن النبي ﷺ كان قد بلغه للصحابة ﷺ فلم يبلغوه لمن بعدهم لكانوا مقصرين في حق الدين الذي وصاهم النبي ﷺ في حجة الوداع بتبليغه للناس ، حيث أخذ عليهم العهد بتبليغ الدين، وأشهد الله على ذلك قال فيها: " **.... فَإِنَّ دِمَاءَكُم ، وَأَمْوَالَكُم ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فَأَعَادَهَا مِرَارًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْت؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِه ، فَلْيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِب ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**" [(٢)] ، وزاد ابن عباس رضي الله عنهما: " **فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ فَلْيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ** " [(٣)] ، فهل الصحابة ﷺ قصّروا في تبليغ ما جاء به النبي ﷺ ، وهم خير القرون، ونالوا شهادة الرضوان من الله تعالى ؟! .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب العلم عن رسول الله ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح ، ٤ /٤٥ ح (٢٦٧٦) ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ٦ / ١٧٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى ، ٢ / ١٧٦ ح (١٧٤١) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى ، ٢ / ١٧٦ ح (١٧٣٩) .

المظهر الثالث: الاستناد إلى أذكارٍ لم ترد في الشرع :

يأتون الغلاة بأذكارٍ مخالفة لما ورد عن النبي ﷺ في أمور حث النبي ﷺ على القيام بفعلها وبين أجر فاعلها ، فيأتي أحدهم بكلام يحمل نفس المدلول ، ولكنه يضع سياقاً من عنده مخالفاً بذلك ما ورد في صحيح السنة ، قال الشاذلي: " خرجت من منزلي لصلاة الصبح فلقنت ذكراً (باسم الله رب جبريل ، باسم الله رب ميكائيل ، باسم الله رب عزرائيل ، باسم الله رب محمد ، باسم الله رب إبراهيم، باسم الله رب موسى، باسم الله رب كل شيء وهو على كل شيء قدير)" [(١)]، ومن الأذكار عندهم ، كما قال الكردي: " قراءة الفاتحة مرة والإخلاص ثلاث مرات وإهداؤها إلى روح سيدنا محمد ﷺ وإلى أرواح جميع مشايخ الطريقة النقشبندية " [(٢)] ، ومن أذكارهم ، ما يسمى بحزب البحر[(٣)] ، يقول أحدهم: " والله ما قلته إلا عن رسول الله ﷺ لقنته منه تلقينا ، وقال لي: احتفظ به فيه اسم الله الأعظم ، وما قرئ في مكان إلا وكان في أمن ، ولو كان عند أهل بغداد ما أخذها التتر " [(٤)] .

الرد على الأذكار التي لم ترد في الشرع :

يقول ابن تيمية رحمه الله: " فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء أو طريق أحد من العباد والنساك أفضل من طريق الصحابة ﷺ فهو مخطئ ضال مبتدع " [(٥)] ، والذي ورثناه عن الصحابة ﷺ الاتباع لا الابتداع ، فعن نافع أن رجلا عطس إلى جنب ابن عمر رضي الله عنهما فقال: الحمد لله والسلام على رسول الله ﷺ ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: " **وَأَنَا أَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّه ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَلَيْسَ هَكَذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَّمَنَا أَنْ نَقُولَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**" [(٦)]، فالصحابة ﷺ وقافون عندما ورد دون زيادة أو نقص ﷺ– دون زيادة السلام على النبي ﷺ فيما سبق في الرواية – ، وهذا ما تتلمذ عليه السلف الصالح رحمهم الله ، فعن سعيد بن المسيب: "

---

(١) درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ١٢٤-١٢٥ .

(٢) تنوير القلوب ، ص ٤٨٣ .

(٣) حزب البحر: " من سيوف الشاذلية لقضاء الحاجات ، وهو أن القارئ ينوي ما يريد عند قوله " وسخر لنا هذا البحر " ، وعند قوله " حم " في المرة السابعة ، ويمد بها نفسه ويحط جسده ثم يمسح جسده بيده ، وينوي ، وقال هذا من أسرار التلقين " انظر: درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ٥٩ أسفل الحاشية .

(٤) درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ٦١ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ١١ / ١٥ .

(٦) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ ، باب ما يقول العاطس إذا عطس ، ٤ / ٤٥٤ ح (٢٧٣٨) ، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي، ٦ / ٢٣٨ .

أنه رأى رجلاً يصلى بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين ، يكثر فيها الركوع والسجود فنهاه ، فقال: يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة ؟ قال: لا ، ولكن يعذبك على خلاف السنة "(١) وعليه فإن قال قائل: لقنت ، أو رأيت النبي ﷺ في المنام ، وقال لي: كذا وكذا ، ويأتي بأذكار ويسميها، وينسبها إلى النبي ﷺ فهذا لا يقبل في ديننا الحنيف إلا بدليل شرعي صحيح ، وبالجملة ما يقال في الرد على الذكر الجماعي يقال في الرد هنا .

المظهر الرابع: المبالغة في أجور الذكر :

قد بالغ الغلاة في أجور الذكر بما لم يرد عن النبي ﷺ ، ولا عن السلف الصالح ، ويشمل دعاؤهم السؤال بجاه النبي ﷺ ، يقول الشاذلي: " إذا أردت أن تغلب الشر كله ، وتلحق الخير كله، ولا يسبقك سابق ، وإن عمل ما عمل فقل: يا من له الأمر كله ، أسألك الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله ، فإنك لا إله إلا أنت الغني الغفور الرحيم ، أسألك بالهادي محمد ﷺ إلى صراط مستقيم، صراط الله ، الذي له ما في السموات وما في الأرض ، ألا إلى الله تصير الأمور ، مغفرة تشرح بها صدري ، وتضع بها وزري ، وترفع بها ذكري ، وتسير بها أمري ، وتنزه بها فكري ، وترفع بها قدري ، إنك على كل شيء قدير " (٢) ، وغيرها من الافتراءات التي لم تثبت عن السلف الصالح .

الرد على هذه الفرية :

بخصوص أجور الذكر التي وردت عنهم دون سند للنبي ﷺ فنحن وقافون عند كتاب الله ﷻ، وسنة النبي ﷺ ، وقد توعد النبي ﷺ كل من كذب عليه بالنار ، كما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** " (٣) ، وعليه فقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة عن النبي ﷺ تبين أجور الذكر سواء الأذكار المخصوصة بأوقات ، وأزمنة معينة كأذكار ما بعد الصلاة ، أو أذكار النوم ، والاستيقاظ ، أو فضل الأذكار بالعموم ، ومن أمثلة الأذكار الصحيحة التي تغني عما ابتدعه غلاة الصوفية: دعاء الخروج من المنزل ، فعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " **إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ ، فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّه، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه ، قال: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيت، وَكُفِيت، وَوُقِيت،**

---

(١) أخرجه البيهقي في كتابه السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، تأليف: احمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي ، مجلس دائرة المعارف – حيدر أباد ، الطبعة الأولى (١٣٤٤ هـ) ، كتاب الصلاة ، باب من لم يصل بعد الفجر إلا ركعتى الفجر ، ٢ / ٤٦٦ ح (٤٦٢١) .

(٢) درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ٩٣ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في المقدمة ، باب فِى التَّحْذِيرِ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،١ / ٧ ح (٤) .

فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِين، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِىَ وَكُفِىَ وَوُقِىَ؟ " [١] ، أما أن يأتي الشاذلي فيقول: خرجت من منزلي لصلاة الصبح فلقنت باسم الله ... إلخ ، فهذا الذي لَقّنَه أليس من باب أولى أن يلقنه حديث النبيﷺ الصحيح الوارد في فضل الدعاء عند الخروج من المنزل؟! .

ثم السؤال بجاه النبي ﷺ في الدعاء ، وسؤال الله تعالى به فهذا أيضاً فيه مخالفة ظاهرة لعقيدتنا، وشرعنا ؛ لأنه سؤالُ مخلوقٍ لمخلوق ، رغم تعظيمنا لمكانة النبي ﷺ ، ومحبتنا له ، وهو أعظم الخلق جاهاً ، ولكن الله تعالى قال:﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة:١٨٦] ، فالله تعالى قريب لا يحتاج لواسطة عند طلبنا منه ، يقول ابن تيمية رحمه الله: " وأما قول القائل: إذا عثر: يا جاه محمد ، يا للست نفيسة، أو يا سيدي الشيخ فلان ، أو نحو ذلك مما فيه استعانته ، وسؤاله فهو من المحرمات ، وهو من جنس الشرك ، فإن الميت سواء كان نبيا ، أو غير نبي لا يدعى ، ولا يسأل ، ولا يستغاث به لا عند قبره ، ولا مع البعد من قبره " [٢] .

المظهر الخامس: الاقتصار على لفظ الجلالة مفرداً ترديدا: (الله ... الله) .

أكثر الأذكار عندهم ذكرا ، وترديداً الذكر بلفظ الجلالة فقط مفردا: " الله ... الله ..." هكذا، فقد كان يقول أحدهم: " كثيراً ما يدخل المريد على الله تعالى من باب ذكر اسم الذات ، ولا يبقى له حاجة إلى الذكر بالنفي والإثبات " [٣] ، ويقول الشاذلي: " وإذا أردت أمراً تفعله ، وأمراً تتركه فاهرب إلى الله كما قلت لك ، واصرخ الله ، وعود نفسك على ذلك " [٤] .

الرد على الذكر بلفظ الجلالة المفرد :

من المعلوم أن الأحاديث النبوية الواردة في فضائل الذكر ، والتسبيح معظمها تذكر الأذكار التي تحتوي على التسبيح ، والتحميد ، والتهليل ، والتكبير دون تخصيص لفظ الجلالة

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الآداب، باب مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِه ، ٤ / ٤٨٦ ح (٥٠٩٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود ، ١١ / ٩٥ .

(٢) الفتاوى الكبرى ، تأليف: تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا – مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى(١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م)، ٢ / ٤٤٦ .

(٣) تنوير القلوب ، ص ٣٩ .

(٤) درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ١٣٨ .

منفرداً بذكر خاص ، فالله هو الله ، وهو الرحمن ، وهو الرحيم ، قال تعالى:﴿ وَلله الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف:١٨٠] ، وأواخر سورة الحشر:﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ* هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ* هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [الحشر:٢٣-٢٥] .

ونحن لا يسعنا إلا ما وسع السلف الصالح رضوان الله عليهم ، فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ يقول: "**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إلا اللَّه ، وأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**" [١] ، وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " **لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلام ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاء ، وأَنَّهَا قِيعَانٌ**[٢] ، **وأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّه ، والْحَمْدُ لِلَّه ، ولا إِلَهَ إلا اللَّه ، واللَّهُ أَكْبَرُ** " [٣]، فهذه هي الأذكار المشروعة بالجملة ، وغيرها كثير في صحيح السنة مما ورد عن النبي ﷺ ، وتناقلته كتب الحديث ، والأذكار ، يقول ابن تيمية رحمه الله: " ومن زعم أن هذا ذكر العامة – الأحاديث التي ترغب في عموم الذكر–، وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد ، وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمر، فهم ضالون غالطون ، واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله:﴿ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١] من أبين غلط هؤلاء ، فإن الاسم هو مذكور في الأمر بجواب الاستفهام ، وهو قوله:﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ [الأنعام:٩١] إلى قوله:﴿ قُلِ اللهُ ﴾ :أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى" [٤]، ويقول أيضاً رحمه الله:" والمقصود هنا أن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره " بجملة تامة " ، وهو المسمى بالكلام، والواحد منه بالكلمة ، وهو الذي ينفع القلوب ، ويحصل به الثواب ، والأجر ، والقرب إلى الله ، ومعرفته ، ومحبته ، وخشيته ، وغير ذلك من المطالب العالية ، والمقاصد السامية ، وأما

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات عن رسول الله ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، ٥ / ٤٦٢ ح (٣٣٨٣) ، وحسنه الألباني ، ٧ / ٣٨٣ .

(٢) قيعان: جمع قاع وهي الأراضي الواسعة . (انظر: لسان العرب ، ٨ / ٣٠٤) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات عن رسول الله ، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد ، ٥ / ٥١٠ ح (٣٤٦٢) ، وحسنه الألباني ، ٧ / ٤٦٢ .

(٤) الفتاوى الكبرى ، ٥ / ٢١١ .

الاقتصار على " الاسم المفرد " مظهرا ، أو مضمراً فلا أصل له ، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين " (١) ، وقال أيضا: " وأما الاسم المفرد مظهرا ، أو مضمراً فليس بكلام تام ، ولا جملة مفيدة ، ولا يتعلق به إيمان ، ولا كفر ، ولا أمر ، ولا نهي ، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ، ولا شرع ذلك رسول الله ﷺ " (٢) .

ثانياً: الخلوة :

تعتبر الخلوة من الأسس التي بُنيت عليها الولاية وسبباً لحصولها عند غلاة الصوفية ، وذلك بعد بيان طريقتهم في الذكر ، ولكن الناظر للخلوة التي يستندون عليها في تحصيل الولاية فهي عندهم: الخلوة التي تقتضي ترك الأهل ، والمال ، والولد فإنهم شواغل ، وحجر عثرة أمام طريق الولاية فلابد من العزلة كي يحصل الولي على العلوم اللدنية ، وغيرها من الكرامات .

العزلة لغةً :

من عزل الشيء يعزله عزلا ، وتعازل القوم انعزل بعضهم عن بعض ، والعزلة لانعزال نفسه، واعتزلت القوم أي: فارقتهم ، وتنحيت عنهم (٣) .

اصطلاحاً : " الخروج عن مخالطة الخلق بالانزواء ، والانقطاع " (٤) .

الخلوة لغةً : خلا المكان ، والشيء يخلو خلوا ، وخلاء ، وأخلى إذا لم يكن فيه أحد ، ولا شيء فيه، وهو خال (٥) .

اصطلاحاً: " الخلوة بمعنى الانفراد بالنفس في مكان خال " (٦) .

بعد التعريفات السابقة للخلوة ، والعزلة ، فإن الإسلام لم يعارض الخلوة ، والعزلة؛ بل أقرها في مواضع ، وأوقات حسب تأويل العلماء ، وليس كما زعم غلاة الصوفية بأن العزلة ، والخلوة ترك الزوجة ، والأولاد ، والخلق ، والتقوقع في دائرة مغلقة مع النفس ، والقيام بأذكار خاصة لم ترد عن النبي ﷺ ، ولا عن صحابته ﷺ ، واستحضار لصورة الشيخ ، أو الولي الأكبر ، أما عند أهل السنة والجماعة ، فقد جاء في الموسوعة الكويتية عن حكم الخلوة: "

(١) الفتاوى الكبرى ، ٥ / ٢١٧ .
(٢) المصدر السابق ، ٥ / ٢١٢ .
(٣) انظر: لسان العرب ، ١١ / ٤٤٠ .
(٤) التعريفات ، ص ١٩٤ .
(٥) انظر: لسان العرب ، ١٤ / ٢٣٧ .
(٦) الموسوعة الفقهية الكويتية ، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ، دار السلاسل – الكويت، الطبعة الثانية (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ) ، ١٩ / ٢٦٦ ، تحت عنوان: الحكم التكليفي .

الأصل فيها الجواز؛ بل قد تكون مستحبة ، إذا كانت للذكر ، والعبادة ، ولقد حبب الخلاء إلى النبي ﷺ قبل البعثة ، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه " (١) .

أقوالهم في الخلوة :

يقول القشيري: " ولا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه ، ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه " (٢) يقول أيضاً : " ولا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه ، ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه " (٣) ، ويقول أبو يزيد البسطامي: " أخذتم علمكم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت فيحصل لصاحب الهمة في الخلوة مع الله جلّت هيبته ، وعظمت منّته من العلوم ما يغيب عندها كل متكلم على البسيطة بل كل صاحب نظر ، وبرهان " (٤) ، وقال الكردي: " اعلم أنه لا يمكن الوصول إلى معرفة الأصول ، وتنوير القلوب لمشاهدة المحبوب إلا بالخلوة خصوصاً لمن أراد إرشاد عباد الله إلى المقصود ، وقد كان النبي ﷺ يتخلى بغار حراء حتى جاءه الأمر بالدعوة كما في صحيح البخاري ، وأقل الخلوة ثلاثة أيام بلياليها ، ثم سبعة ، ثم شهر ، وهو الذي اتفق للنبي ﷺ ، وأكملها لمن أراد السير ، والسلوك أربعون يوما ، وهي الحاصلة من جمع الأيام المتقدمة " (٥) ، وقال أيضاً: " أنه إذا كان هناك زوجة ، وأولاد ، وأراد الذاكر أن يغلق بابا بينه ، وبينهم فإنه لا شيء أضر على المريدين من صحبة الضد ، وهو الذي لا يهوى ما تهواه أنت ، وكلما كان مكان الذكر ضيقاً مظلماً كان أجمع للخاطر من الواسع الذي فيه نور الشمس ، أو السراج ، ومثل الأولاد ، والزوجة المنكرون على القوم فربما استهزأوا به إذا كشف رأسه ، وتخبط ، وصاح ، فيكون ذلك سبباً لمقتهم ، وربما ضعف قلبه عن الذكر " (٦) ، و يصف أيضاً حال الأولياء بقوله: "فكان آخر أمرهم العزلة عن الخلق " (٧)، وكانوا يتركون الحديث مع الخلق محافظة ، وحرصاً على مبدأ

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ١٩ / ٢٦٦ الحكم التكليفي .

(٢) الرسالة القشيرية ، ص ٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥ .

(٤) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ، تأليف: عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن نورالدين علي بن زين العابدين الحدادي المناوي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م) ، ٥ / ٢٢١ ح (٧٧٤) .

(٥) تنوير القلوب ، ص ٤٦٨ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٥٠٠ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٥٠٠ .

العزلة ، فقد ورد عن أحدهم: " ثم سخر الله له في اليوم الثاني رجلا يدعوه إلى النزول عنده ، ويلح عليه في ذلك فلم يرد عليه بشيء فجعل يتردد عليه ، ويأتيه بالكردي ، والتركي ، والفارسي ، يكلمه كل منهم بلغته حتى إذا طال به الإلحاح قال له المكي في اليوم الخامس ، أو السادس: قد فهمت أنك رجل درويش لا تريد مخالطة الناس ، ولا مكالمة أحد ، فكن على ما أردت ، ولا أكلفك الخروج عما اشترطت لنفسك ، فتكرم عليَّ، واتبعني عند الإفطار لتعرف منزلي ، وهو منزلك ، فتتناول فيه ما أحببت ، فأشار ﷺ بالقبول ، ولما صلوا المغرب ذهبا إلى ذلك المنزل ، وقال الرجل لأهله: هذا أخي ، وكان غائبا ، فأحضروا له الطعام في هذا الموعد من كل ليلة ، ولا تكلموه ، فإن له حالاً أخرى " [(١)]، ومن ثمرات الخلوة ، والعزلة: " ثمرة الظفر بمواهب المنة ، وهي أربعة: كشف الغطاء ، وتَنَزُّل الرحمة ، وتحقق المحبة ، ولسان الصدق في الكلمة " [(٢)].

وللخلوة شروط منها ما كان مقبولاً ، ومنها ما ليس بمقبول ، فقد ورد من شروطها :

* ترك الأهل ، والأولاد ، والزوجة ، وغلق الباب على نفسه – كما سبق في أقوالهم – .

*العزلة ، وتعود السهر، والجوع ، والذكر، بحيث تألف نفسه هذه الأشياء قبل دخوله في الخلوة.

* أن يدخل برجله اليمنى مستعيذاً بالله من الشيطان مبسملا ، وأن يقرأ سورة الناس ثلاث مرات، ثم يدخل باليسرى قائلا: اللهم وليي في الدنيا ، والآخرة كن لي كما كنت لسيدنا محمد ﷺ، وارزقني محبتك...، ويقوم على المصلى ، ويقول:﴿ **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام:٧٩] إحدى وعشرين مرة ، ثم يصلي ركعتين يقرأ في الأولى الفاتحة ، وآية الكرسي ، وفي الثانية الفاتحة ، وآمن الرسول ... أواخر سورة البقرة، وبعد السلام يقول: يا فتاح خمسمائة مرة ، ثم يشتغل بالذكر الذي لقنه له شيخه " [(٣)].

* ومن الشروط كما قال الكردي: " أن يلازم صورة شيخه بين عينيه ، أن يذكر كل ما يراه لشيخه، ومنها ألا يفتح الباب لمن يريد التبرك به إلا لشيخه ، و دوام الذكر بالكيفية التي أمره بها شيخه إلى أن يأمره بالخروج " [(٤)] .

---

(١) تنوير القلوب ، ص ١١ .

(٢) درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ٨٦ .

(٣) انظر : تنوير القلوب ، ص ٤٦٨ بتصرف .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .

واستدلوا على العزلة والخلوة ، وترك الأهل ، والزوجة بآثارٍ باطلة منها :

* عن أنس مرفوعاً: " لأن يربي أحدكم جرو كلب خير من أن يربي ولدا من صلبه " (١) .

* ما رواه الشعراني (٢)عن أحدهم: " وكان يقول لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين ، حتى يترك زوجته كأنها أرملة ، وأولاده كأنهم أيتام ، ويأوي إلى منازل الكلاب " (٣) .

الرد على غلاة الصوفية بخصوص الخلوة ، والعزلة :

لقد بالغ غلاة الصوفية في تعظيم العزلة ، والحث عليها ، **وعليه فالعزلة ، أو الخلوة التي انتهجها الغلاة لطريق الولاية مرفوضة من وجوه :**

١- مخالفة لصريح الآية:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التَّحريم:٦] ، فلو كانت الخلوة خيراً للعبد المؤمن ، فلماذا لم يشرك أهله الذين هم أولى الناس به في هذا الخير !، وواجب عليه أن ينقذهم من النار ؟! ، ثم لماذا لم يشركهم معه في الخلوة ؟! بل الأمر عندهم أن يهجرهم .

٢- مخالفة لقوله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة:٢]، أليس من البر ، والتقوى الدلالة على هذا الخير للغير أم أنه ليس من البر ، والتقوى مشاركتهم في الأجر ؟! .

٣- مخالفة لحديث النبي ﷺ ، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ **يقول: " كُلُّكُمْ رَاع ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِه ، وهُوَ**

---

(١) أورده الملا علي القاري ، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى ، تأليف: نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري ، تحقيق: محمد الصباغ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، (١٣٩١ هـ – ١٩٧١م) ، ص ٤٨٤ .

(٢) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي ، نسبة إلى محمد ابن الحنفية ، الشعراني ، أبو محمد: من علماء المتصوفين ، (٨٩٨ – ٩٧٣ هـ ، ١٤٩٣ – ١٥٦٥ م)، ولد في قلقشندة (بمصر) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته: (الشعراني) ، وتوفي في القاهرة ، من شيوخ الصوفية ، له تصانيف ، منها " الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية " و " أدب القضاة " و " إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العالمين" (انظر: الأعلام للزركلي ، ٤ / ١٨٠) .

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ، ١ / ٤٣ .

مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . . . الحديث " [١] ، أليس من المسئولية دلالتهم على الخير الذي تعلمه بدلاً من ترك الزوجة ، والولد من أجل الخلوة الخاصة ؟.

٤- مخالفة لقول النبي عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ** " [٢] ؛ بل بفعله هذا ينقص من إيمانه وفقاً للحديث؛ لأن من أحب أخاه يدله على الخير ، ولا يعتزل ، وينفرد لوحده دون أهله.

٥- مخالفة لهدي النبي ﷺ في معاشرته ، وعبادته السرية في بيته ، وبين نسائه ، فقد جاء نفر يسألون عن عبادته السرية في بيته ، وبين نساءه ، فبين لهم النبي ﷺ حقيقة العبادة الوسط ، وشريعته الكاملة التي سار عليها الأولياء جميعا ، فعن أنسٍ ﷺ أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر ، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم: لا آكل اللحم ، وقال بعضهم: لا أنام على فراش ، وقال بعضهم: أصوم ، ولا أفطر ، فقام النبي ﷺ فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال: " **مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وكَذَا؛ لَكِنِّي أَصُوم ، وأُفْطِر ، وأُصَلِّي، وأَنَام ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي** " [٣] ، فمن السنة عدم التعود على السهر ، وعدم النوم حتى تألف نفسه ذلك فهذا مخالف للسنة كما زعموا هم: " العزلة ، وتعود السهر ، والجوع ، والذكر ، بحيث تألف نفسه هذه الأشياء قبل دخول الخلوة " [٤] .

٦- مخالفة لآداب قيام الليل ، فمن السنة أن يوقظ المسلم أهله لقيام الليل ، كما جاء في الحديث في بيان حال الذاكرين الله تعالى ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" **إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ مِنْ اللَّيْل ، وأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ كُتِبَا مِنْ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا ، والذَّاكِرَاتِ**" [٥] ، وهذا ما تعلمه الصحابة ﷺ الذين هم خير الأولياء بعد الأنبياء ، فعَنْ مَالِك عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ **أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَيْقَظَ أَهْلَهُ لِلصَّلاةِ يَقُولُ لَهُمْ: الصَّلاةَ الصَّلَاة ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الآيَةَ:﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، ٢ / ٥ ح (٨٩٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ١ /١٢ ح (١٣) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٣ / ٢٨٥ ح (١٤٠٧٧)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٤) تنوير القلوب ، ص ٤٦٨ .

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل ، ١ / ٤٢٣ ح (١٣٣٥) ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه ، ٣ / ٣٣٥ .

بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:١٣٢] " [١] ، فقد ذكر هذا الحديث في باب التحريض على قيام الليل ، فهل يعقل أن عمر رأى أن الخلوة أولى ، أم فهم من كلام النبي ﷺ في فضل القيام ، وحديث عائشة رضي الله عنها ما فهمه هؤلاء الغلاة ؟! وهكذا يتبين أن منهج العزلة الذي رسمه الغلاة مخالف لما عليه السلف الصالح رحمهم الله .

الاستدلال بالأحاديث :

أما بخصوص الأحاديث التي استدلوا بها في العزلة والخلوة ، فجلها من الموضوع ، أو الضعيف ، وأما الصحيح منها فقد اختلف العلماء في الاستدلال بها بين مؤيد للخلوة والعزلة ، وبين مؤيد للاختلاط بالناس على أقوال ، لذا كيف يصح حصر طريق الولاية بالعزلة عن الخلق، وجعلها الطريق الوحيد للولاية – كما زعموا – في قول الكردي: " اعلم أنه لا يمكن الوصول إلى معرفة الأصول ، وتنوير القلوب لمشاهدة المحبوب إلا بالخلوة " [٢] ، أهي الخلوة التي يغلق فيها الولي على نفسه بأذكار مخصوصة عندهم ولهم، لا ينتفع بها أقرب الناس إليهم؟ وعليه فقد قمت بجمع أقوال العلماء في التفاضل بين العزلة والاختلاط ، وأيهما أفضل ، والترجيح بينها وفق ما رجحه العلماء .

القول الأول: القائلون بالعزلة عن الخلق أفضل من الاختلاط بالناس :

واستدل القائلون بأن العزلة أفضل من الاختلاط بأدلةٍ منها :

* قول الله تعالى:﴿ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا** ﴾ [مريم:٤٨] .

* حديث أَبِي سَعِيد رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُل: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال: " **مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِه ، ومَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّه ، قال: ثُمَّ مَنْ ؟ قال: ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنْ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّه ، ويَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**" [٣] ، وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: جَاءَ

---

(١) أخرجه مالك في موطئه ، تأليف: مالك بن أنس ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان ، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م)، كتاب النداء للصلاة ، باب ما جاء في صلاة الليل، ٢ / ١٦٢ ح (٣٨٩) .

(٢) تنوير القلوب ، ص ٤٦٨ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب فضل الجهاد والرباط ، ٢ / ١٥٣ ح (١٨٨٨) .

أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: " **رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِه ، ومَالِه ، ورَجُلٌ فِي شِعْبٍ مِنْ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّه ، ويَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**" (١) .

* حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَال ، ومَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ**" (٢) .

* حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" **أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ ؟ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَتْلُوهُ ؟ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِيهَا** " (٣)، ورواية النسائي " **قَالَ : رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ يُقِيمُ الصَّلاة ، ويُؤْتِي الزَّكَاة ، ويَعْتَزِلُ شُرُورَ النَّاسِ**" (٤).

القول الثاني: القائلون بالاختلاط بالناس أفضل من العزلة عنهم :

واستدل القائلون بأن الاختلاط أفضل من العزلة بأدلةٍ منها:

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قال: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : "**حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنْ النَّاسِ**" (٥) .

* عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" **الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاس ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنْ الْمُسْلِمِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاس ، ولا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**" (٦) ، وعن **ابْنَ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَال:" الْمُؤْمِن ، أَوِ الْمُسْلِمُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاس ، ويَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْر ، أَوْ أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاس ، ولاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ** " (٧) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التعبير ، باب العزلة راحة من خلطاء السوء، ١٣٠/٨ح (٦٤٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من الدين الفرار من الفتن ، ١ / ١٣ ح (١٩) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ، باب ما جاء أي الناس خير ، ٤ / ١٨٢ ، ح (١٦٥٢)، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيب ، وصححه الألباني ، ٤ / ١٥٢ .

(٤) أخرجه النسائي في سننه ، كتاب الزكاة ، باب من يسأل بالله ﷻ لا يعطى ، ٤ / ١٨٢ ح (١٥٦٢)، وصححه الألباني ، ١ / ٤ .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ، ١ / ٤١٥ ح (٣٩٣٨) ، وحسنه الأرنؤوط .

(٦) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب منه، ٤ / ٦٦٢ ح (٢٥٠٧) ، وصححه الإمام الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ٦ / ٧ .

(٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بنحوه ، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، دار البشائر الإسلامية – بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة (١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م) ، باب الذي يصبر على أذى الناس ، صفحة ٤٤٨ح (٣٨٨)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد ، ص ١٦٢ .

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَرَّ بِشِعْبٍ فِيهِ عَيْنٌ عَذْبَةٌ قَالَ فَأَعْجَبَتْهُ يَعْنِي طِيبَ الشِّعْبِ فَقَالَ لَوْ أَقَمْتُ هَاهُنَا ، وخَلَوْت ، ثُمَّ قَالَ: لا ، حَتَّى أَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَسَأَلَهُ فَقال: " **مُقَامُ أَحَدِكُمْ – يَعْنِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ – خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ فِي أَهْلِهِ سِتِّينَ سَنَةً ، أَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُم ، وتَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّه ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**" [١] ، وهذا الحديث أدرجه صاحب المشكاة في باب الجهاد لبيان أهميته ، وفضله على العزلة عن الخلق ، والناس ، وبيان أهمية الجهاد للأمة .

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" **الْمُؤْمِنُ مُؤْلَف، وَلا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَف، ولا يُؤْلَفُ**" [٢].

* عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" **تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَة ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَة ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلالِ لَكَ صَدَقَة ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَة ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَر ، والشَّوكَة ، والْعَظْمَ عَنْ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَة، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَة**" [٣] ، وسبب ذكري للحديث هنا في فضل الاختلاط هو تعليق صاحب فيض القدير حيث قال: " يشير بذلك كله إلى أن العزلة ، وإن كانت فضيلة محبوبة لكن لا ينبغي قطع المسلمين بالكلية فإن لهم عليك حقا ، فاعتزلهم لتسلم من شرهم؛ لكن لا تصير وحشياً نافراً ؛ بل قم بحق الحق ، والخلق من البشاشة للمسلم ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر عند القدرة ، وإكرام الضيف ، وبذل السلام ، وصلة الرحم ، وإغاثة الملهوف، وإرشاد الضال ، وإزالة الأذى ، ونحو ذلك ، لكن لا تكثر من عشرتهم ، وراقب الله ، وأعط كل ذي حق حقه كذا قرره البعض" [٤] .

الرد على القائلين بالعزلة :

بخصوص الأدلة التي استدل بها الذين يرجحون العزلة ، فإن هذه الأدلة لا تخلو من كونها تدعو إلى الاعتزال وقت الفتنة ، أو لخوفٍ على دين ، أو ما شابه ذلك .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ١٥ / ٤٧٣ ح (٩٧٦٢) ، وحسنه الأرنؤوط .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده باقي مسند المكثرين ، باقي المسند السابق ، ١٠٦/١٥ ح (٩١٨٧) قال شعيب الأرنؤوط: الحديث حسن .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب البر والصلة عن رسول الله ، باب ما جاء في صنائع المعروف ، ٤ / ٣٣٩ ح (١٩٥٦) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ٤ / ٤٥٦ .

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ٣ / ٢٩٨ .

الرد على الاستدلال بقصة اعتزال إبراهيم قومه :

بخصوص قصة اعتزال إبراهيم عليه السلام قومه ، الآية التي استدلوا بها تبين اعتزال إبراهيم عليه السلام عن قومه الكفار الذين لم يسلموا معه ، ورفضوا دعوته فبعد أن دعاهم ، وأقام عليهم الحجة خشي على نفسه ودينه منهم فاعتزلهم في الله ، فالسبب هو الهجران من أجل الله ، فسيدنا إبراهيم عليه السلام لم يبق عندهم مختلياً بينهم في بيته ، أو معتزلهم جانباً؛ بل هاجر ، وتركهم من أجل الله فاراً بدينه ، وهذا أمر جائزٌ في شرعنا الحنيف ، الهجران من أجل المعاصي بدليل القرآن ، والسنة ، قال تعالى:﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ المُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جميعاً** ﴾ [النساء:١٤٠] ، وكذلك من السنة هجر صاحب المعاصي حتى لو كان مسلما ، فالمسلم بسبب معاصيه يجوز هجرانه ، إذا كان ذلك على سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسبباً في تغييره ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يَخْذِفُ فَقَالَ لَهُ: لا تَخْذِف ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ الْخَذْفِ [(١)] ، أَوْ كَانَ يَكْرَهُ الْخَذْف ، وَقَال:" **إِنَّهُ لا يُصَادُ بِهِ صَيْد ، ولا يُنْكَى بِهِ عَدُو ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَكْسِرُ السِّن ، وتَفْقَأُ الْعَيْن** ، ثُمَّ رَآهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِف ، فَقَالَ لَه: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ **أَنَّهُ نَهَى عَنْ الْخَذْف** ، أَوْ كَرِهَ الْخَذْف ، وأَنْتَ تَخْذِف ، لا أُكَلِّمُكَ كَذَا " [(٢)] ، ويقول النووي معلقاً على هذا الحديث: " فيه هجران أهل البدع ، والفسوق ، ومنابذى السنة ، مع العلم أنه يجوز هجرانه دائما ، والنهى عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه ، ومعايش الدنيا ، وأما أهل البدع ، ونحوهم فهجرانهم دائماً " [(٣)] ، فهذا الحديث يبين حال معصيةٍ قام بها شخص، وهي الخذف، فكيف بمن كانوا يعبدون الأصنام ، ويسجدون لها كقوم إبراهيم عليه السلام .

---

(١) الخذْف : "هو رَمْيك حَصَاة أو نَوَاةً يأخُذُها بين سُبَّابَتَيك وتَرْمي بها أو تَتَّخذُ مِخْذَفَة من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين إبْهامك والسبابة"، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ، تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن محمد الجزري ابن الأثير ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت، طبعة (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، ٢ / ٤٣ .

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الذبائح والصيد ،باب الحذف والبندقة ، ٧ /٨٦ ح (٥٤٧٩) ، واللفظ له ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصيد والذبائح ، باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو وكراهة الخذف ، ٦ / ٧٢ ح (٥١٦٥) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ، ٦ / ١٠٦ .

الرد على الاستدلال بحديث ابن عباس رضي الله عنهما في فضيلة العزلة :

أما حديث الخيرية في اعتزال الناس ، والصعود لأعالي الجبال: فالحديث يبين الأفضل، والأحب هو المقدم أولا ، كقول النبي ﷺ عندما سئل: أي الأعمال أفضل ؟، **كما في حديث أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ يَقُولُ: حَدَّثَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الدَّار ، وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ– يعني ابن مسعود – قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَال النبي ﷺ :" الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا ، قال: ثُمَّ أَيٌّ ؟ قال: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْن ، قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي بِهِن، ولَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي"** [(١)] ، فقال: الصلاة على وقتها ثم تدرج في بيان الأفضلية التي تليها ثم التي تليها ، وكذلك هذا الحديث، فالنبي ﷺ أولاً بين أن الخيرية لمن خرج للجهاد مقاتلاً ، ثم قال: وأخبركم بالذي يليه ، يعني بالذي يليه في الخيرية؛ بل قيده بأنه اعتزل الناس بسبب شرورهم ، فالاعتزال مقرون بشر الناس خشيةً على نفسه من أن يضروه ، ويُلحقوا به أذى من معاص ، أو غيرها ، فالذي جعله يعتزل الناس هو خشيته من الفتن لذا اعتزلهم ، أما مطلق الاعتزال فهذا لا يُقبل بدليل قول النبي ﷺ : يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة ، فهل إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة يكون منفرداً ؟! ، يقول النووي رحمه الله: " في الحديث دليل لمن قال بتفضيل العزلة على الخلطة ، وفي ذلك خلاف المشهور ، فمذهب الشافعي، وأكثر العلماء أن الاختلاط أفضل بشرط رجاء السلامة من الفتن ، ومذهب طوائف من الزهاد أن الاعتزال أفضل ، واستدلوا بالحديث ، وأجاب الجمهور: بأنه محمول على زمان الفتن ، والحروب ، أو فيمن لا يَسْلم الناس منه ، ولا يصبر على أذاهم ، وقد كانت الأنبياء صلوات الله عليهم ، وجماهير الصحابة ﷺ ، والتابعين ، والعلماء ، والزهاد رحمهم الله ، مختلطين ، ويحصّلون منافع الاختلاط بشهود الجمعة، والجماعة ، والجنائز، وعيادة المريض، وحلق الذكر ، وغير ذلك " [(٢)] .

الرد على الاستدلال بحديثي أبي سعيد الخدري ﷺ في فضيلة العزلة :

أما حديث أبي سعيد ﷺ عن الأعرابي ، فما قيل في الحديث السابق يقال فيه هاهنا ، قال ابن عبد البر رحمه الله عن حديث أبي سعيد ﷺ : " فيه إباحة لزوم البادية؛ ولكن في البعد عن الجماعة ، والجمعة ما فيه من البعد عن الفضائل ، إلا أن الزمان إذا كثر فيه الشر ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فَضْلِ الصَّلَاةِ لِوَقْتِهَا ، ١ / ١١٢ح (٥٢٧).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ، ٦ /٣٤ .

وتعذرت فيه السلامة طابت العزلة ، وهي خير من خليط السوء ، والجليس الصالح خير من الوحدة " [١] .

وأما الحديث الآخر الذي رواه أبو سعيد ﷺ أيضاً فاعتزال الناس في تلك الحال مبنيٌّ على الفتن ، وآخر الزمان ، والخروج بالدين سالما ، والبعد عن القتل ، ولا يُحمل على العزلة التي يقوم بها غلاة الصوفية من خلوةٍ خاصةٍ بهم ، قال الزرقاني: " وفيه فضل العزلة للخائف على دينه إلا أن يقدر على إزالتها فتجب الخلطة عيناً ، أو كفايةً بحسب الحال ، والإمكان ، فإن لم تكن فتنة فالجمهور على أن الاختلاط أولى لاكتساب الفضائل الدينية ، والجمعة ، والجماعة ، وغيرها ، كإعانة ، وإغاثة ، وعبادة " [٢] .

فالحديث الذي استدلوا به في فضيلة الاعتزال قد بوبه البخاري رحمه الله في كتابه تحت باب (العزلة راحة من خُلاط السوء) [٣] ، وبوب النووي رحمه الله في رياض الصالحين باباً بعنوان:(استحباب العزلة عند فساد الناس ، والزمان ، أو الخوف من فتنةٍ في الدين ، ووقوعٍ في حرام ، وشبهات ، ونحوها) [٤] ، والذي يفهم من تبويبهم بذلك أن العزلة تكون عن الصحبة السيئة، فما المانع من مخالطة صحبة أهل الخير ، ومعاشرتهم ؟! ، وهذا ما وضّحه صراحةً الإمام النووي في تبويبه للحديث .

الراجح في المسألة:

ذهب الجمهور كما سبق إلى تفضيل الاختلاط بالناس ، فهي سنة الأنبياء بل مما تميزت به هذه الأمة عن غيرها من الأمم ، قال تعالى:﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة:١٤٣] ، وما سبق من ذكر أحاديث ، وأقوال للعلماء في فضل الاختلاط ، وأنها أولى من العزلة يدلل على أن رأي الجمهور هو الراجح .

أما بخصوص العزلة ، فالإسلام لم يذمها على الدوام؛ بل بيّن أن العزلة محمودة أحياناً؛ ولكن ضمن ضوابط ، وأوقات مخصوصة ، وذلك من باب الوسطية ، وعدم التشدد ، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " **إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ** " [٥] ، وعَنْ

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، تأليف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (١٤١١ هـ) ، باب ما جاء في النداء للصلاة ، ١ / ٢٠٨ .

(٢) المصدر السابق ، باب ما جاء في أمر الغنم ، ٤ / ٤٨٠ .

(٣) صحيح البخاري ، ٨ /١٠٢ .

(٤) رياض الصالحين ، ص ٢٢٥ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٣ / ١٩٨ ح (١٣٠٧٤) ، وحسنه الأرنؤوط بشواهد للحديث .

أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" **إِنَّ الدِّينَ يُسْر ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَه ، فَسَدِّدُوا ، وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَة ، وَالرَّوْحَة ، وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ** " (١) ، فخير الأمور أوسطُها لذا يحتاج المسلم لوقتٍ يخلو فيه مع ربه ، ويعتزل الخلق ليس فقط وقت الفتن ، والخوف على الدين؛ بل أيضاً ليحاسب نفسه ، ويذكر ربه ، ولكن بدون أن يطغى جانب العزلة، والخلوة على باقي جوانب المعيشة والحياة ، فالسنة لم تنكر الخلوة بل مدحتها كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، من الأصناف الذين ذكروا في الحديث: " ...**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ** " (٢) : ذكر الله خالياً لا أحد عنده قد اعتزل الناس ، واختلى بنفسه مع الله كي يستحضر ذنوبه ، ومعاصيه ، يستحضر عظمة ، وجلال ، وكبرياء الله تعالى ، مخلصاً قلبه مع الله فكانت النتيجة هي دموع الخوف من الله ، والشوق إلى رحمة الله فهذا محمودٌ فعله ، ولكن على المسلم أن يكون حريصاً في اعتزاله بأن يعتزل كل معصية ، فالهجران الحقيقي هو هجر ما نهى الله عنه من معصية لله تعالى ، واعتزال ما حرمه تعالى ، يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله في تفسير العزلة: " أن تكون مع القوم فإذا خاضوا في ذكر الله فخض معهم ، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت " (٣).

ثم اعتزال الناس المسلمين لا يعني الظن السوء بهم ، فلا يظن بهم إلا خيراً بخلاف الكفار ، فالكافر يجوز اعتزاله ، وهجرانه ، أما المسلم فلا يجوز هجرانه فوق ثلاث ، إلا لمعصية في المهجور ، أما مطلق الاعتزال فلم يحببه العلماء لما فيه حرمان المسلمين من المسلم الذي هجرهم؛ لأنه حَرَمهم من خيره ، ولما فيه من ضياع لخير كثير عنه؛ لأنه فارقهم ، واعتزلهم فكيف سيأخذ أجر زيارتهم ، وعيادة مرضاهم ، وتشييع موتاهم ؟! ، كل ذلك وغيره ، كذلك لا يطعن فيهم استحقارا ، وتنقيصاً من شأنهم ، فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " **إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ** " (٤) ، قال النووي رحمه الله: " واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزدراء على الناس ، واحتقارهم ، وتفضيل نفسه عليهم ، وتقبيح

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الصلاة من الإيمان ، ١ / ١٦ ح (٣٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأذان ، بَاب مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ وَفَضْلِ الْمَسَاجِدِ ، ١ / ١٣٣ ح (٦٦٠) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ١٠ /٣٦١ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب النهي عن قول هلك الناس ، ٤ / ٢٠٢٤ ح (٢٦٢٣) .

أحوالهم؛ لأنه لا يعلم سر الله في خلقه ، قالوا: فأما من قال ذلك تحزناً لما يرى في نفسه ، وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه " (١) .

وعليه فإن كان الاعتزال خوفاً على المعتزل نفسه من الذنوب ، والمعاصي ، دون ذمٍ لغيره من الناس على سبيل التفاضل ، أو التفاخر فلا بأس ، وإلا فإنه يدخل ضمن حديث الهلكة السابق، والله أعلم .

وأما بخصوص ذكر الله تعالى أثناء مخالطة الناس فهذا أمر لا يتعارض مع شريعتنا ، فالنبي ﷺ كان يستغفر الله تعالى أثناء جلوسه مع الصحابة ﷺ ، ويعدوا له ذكره في المجلس ، وهذا ردٌ على من قال بأن الذكر شرط صحته الخلوة ، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: **كَانَ يُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةُ مَرَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ**" (٢) .

وأما العزلة بالمعنى الذي ذهب إليه غلاة الصوفية فهو بريد الخلوة؛ لأن من اعتزل الناس فإنه سيختلي مع نفسه ، وينطوي عليها ، ولكنّ المسلم إن أراد الاختلاء ، والعزلة فيجب ألا يمنعه هذا الأمر عن ترك الجماعة ، والجمعة ، والصلاة في المسجد ، والعزلة نافلةٌ مقارنةً بالأمور الهامة في الأمة ، كالجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وغيرها من الواجبات؛ لورود أحاديث فضل الاختلاط بالناس ، وفضل الجهاد ، ويؤيد هذا الأمر حياة السلف الصالح ، قال الطيبي رحمه الله: " إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله " وهو أفضل ، فإنه عبادة شاقة على النفس ، ونفعه متعد إلى الغير ، وهو يشمل الجهاد الأكبر ، والأصغر " (٣)، فالخلوة التي لا تطغى على هذه الأمور خلوة مشروعة إن كانت لا تحتوي على أمور أيضاً لم ترد عن النبي ﷺ من أذكار ينسبها قائلها للدين ، والشرع كفضائل بعض السور ، أو أجر بعض الأعمال مما لم يثبت صحته في السنة ، فالجهاد في الإسلام له مكانته ، وأهميته ، فقد حَرِص الصحابة ﷺ على فهم الدين كلٌ متكامل دون أن يطغى جانب على آخر ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" **يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّة ، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيد ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّه ، فَفَعَل ، ثُمَّ قَالَ: وأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّة ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض ،**

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ، ٣ / ٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ ، باب ما يقول إذا قام من المجلس، ٥ / ٤٣٣ ح (٣٤٣٤) ، قَالَ أَبُو عِيسَى حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيب ، وصححه الألباني، ٧ / ٤٣٤ .

(٣) مرعاة المفاتيح ، ٢ / ٤٣٣ .

قال: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله " [١] ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة قال: أملى علي عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس ، وودعته للخروج ، وأنشدها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة ، وفي رواية: سنة سبع وسبعين ومائة:

يا عابدَ الحرمين لَوْ أبْصَرْتَنَــا .... لَعَلِمْتَ أنكَ في العــبادةِ تلعبُ

من كان يخضب خدَّه بدموعِــه .... فَنُحورنا بدمائنا تَتَــخضّــَب

أو كان يُتْعِبُ خَيْلَه في بــاطــلٍ .... فخُيولنا يومَ الصبيحة تَتْعــبُ

ريحُ العبيرِ لكم ونحنُ عــبيــرُنا .... وَهجُ السنابِك والغبارُ الأطيبُ

ولَقَد أتــانا مــن مـــقَالِ نــبينا .... قول صَحيح صادق لا يَكْذبُ

لا يستوي وَغُبَارَ خيــل الله فـــي .... أنف امرئ ودخانَ نار تَلْهَبُ

هذا كتــاب الله يــنْطق بــيــننا .... ليس الشهيدُ بمَيِّت لا يَكــْذبُ

قال: فلقيت الفُضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام ، فلما قرأه ذَرِفَتْ عَيْنَاه ، وقال: صَدَق أبو عبد الرحمن ، ونصحني ، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث ؟ قال: قلت: نعم قال: فاكتب هذا الحديث كِرَاءَ حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا ، وأملى عَلَيّ الفُضيل بن عياض: حدثنا منصور بن المعتمر ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرةؓ، أن رجلا قال: يا رسول الله عَلمني عملا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله فقال: " **هل تستطيع أن تُصلِّي فلا تَفْتُر وتصومَ فلا تُفْطِر ؟** " فقال: يا رسول الله ، أنا أضْعَفُ من أن أستطيع ذلك ، ثم قال النبي ﷺ: " **فَوالَّذي نَفْسِي بِيَدِه لو طُوقْتَ ذلك ما بلغتَ المجاهدين في سبيل الله ، أو ما عَلمتَ أن الفرس المجاهد ليَسْتَنُّ في طِوَلِه فيكتب له بذلك الحسنات**" [٢].

فالعبادة في الإسلام لها أهميتها ، ولكنّ السلف الصالح فهموا أن الجهاد الأمر الأهم ، والأجر الأكبر: هو الجهاد ، والذب عن دولة الإسلام ، والدفاع عنها هو أسمى ، وأغلى المطالب كما ذُكر في قصة ابن المبارك مع الفضيل ، ولم يعتزلوا عن الناس ، وعن الأمة بحجة العبادة ، والتفرغ للخلوة ، فلو كان كذلك فمن الذي فتح البلاد ، وحرر العباد من الظلم ؟! ، وكيف حرر صلاح الدين رحمه الله بلاد القدس من الصليبيين ؟! .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب بيان ما أعده الله للمجاهد في الجنة من درجــات ، ٦ / ٣٧ ح (٤٩٨٧) .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ، ٣٢ / ٤٤٩ .

وهكذا يتضح لكل مسلم أهمية الاختلاط مع الناس كي يغير من حياتهم ، وسلوكهم ، وصفاتهم ، والعزلة المعتدلة بعيدة عما يزعمه غلاة الصوفية ، والله ولي التوفيق .

ثالثاً: تعظيم الأولياء والشيوخ :

قضية اتخاذ الشيخ ، وتعظيمه ، وخدمته لها دور كبير عند غلاة الصوفية في طريق الولاية وتحقيقها ، وقد تضافرت نصوصهم في أهمية اتخاذ شيخ ، أو خدمته في طريق التصوف.

وقد أوردت نصوص دالة على ذلك مع الرد على كل نص بما تيسر من أدلة ، ومن مظاهر تعظيمهم للأولياء :

١- عطايا الشيخ للتلاميذ ، والمريدين :

فقد جعلوا وجود الشيخ ، وما يعطيه من هدية للمريدين سبباً للقرب من الله أحيانا ، يقول الكردي: " ومنها أن يعظم ما أعطاه له شيخه ، ولا يبيعه لأحد ، ولو أعطاه ما أعطاه فربما يكون طوى له فيه سراً من الأسرار فيما يعينه في الدارين ، ويقربه إلى حضرة الله ﷻ " (١) .

الرد على هذا القول :

إذا كان ما يعطيه له الشيخ علماً شرعياً ، أو نصيحة ، أو علماً بصفات الله ﷻ، وتعظيمه؛ فإنها فعلاً تقربه إلى الله ، فنعم الهدية ، ونعم العطية كلمة حكمة تبلغها لك أخ في الله تقربك من الله ، فقد ورد عن الحسن البصري رحمه الله أنه تلا هذه الآية:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصِّلت:٣٣] ، فقال: " هذا حبيب الله ، هذا ولي الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب أهل الأرض إلى الله ، أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته " (٢) ، فهذا حال أولياء الله دعوة الناس إلى الخالق ، وربطهم بالخالق ، ليس كما زعم الغلاة أن الشيخ بمعنى الولي الأكبر لو أعطاه هدية لابد من الاحتفاظ بها ، ولا يفرط بها ، ولا يبيعها ، وهذا مخالف لمنهج

---

(١) انظر: تنوير القلوب ، ص ٤٩٨، الحضرة في مصطلح غلاة الصوفية هي: حضور روح الولي المقرب في مؤتلف التقريب الإلهي ، ومكانها قلب المؤمن ، الذي توالى قربه من الله عز وجل حتى جعله وليا ، وهي أنواع: حضرة الأولياء ، وحضرة النبوة ، والحضرة الإلهية ، وهي حضرات متكاملة ، ومن ثم يحدث التناسب مع عالم الملأ الأعلى من الأرواح الطاهرة ، فيكشف عنه الحجاب ، حيث ترى عين بصيرته حضرة الملائكة ، ومن هذه الحضرات قد يرى النبي ﷺ حقيقةً عياناً رؤية ، انظر: منتدى الرياحين بتصرف: http://cb.rayaheen.net

(٢) تفسير ابن كثير ، ٧ / ١٨٠ .

الأنبياء عليهم السلام الذين كانوا يدلوا الناس على الخير ، وكذا منهج نبيناﷺ ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَج ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ** " (١) ، وبيّن ابن القيم رحمه الله أهمية التبليغ عن النبي ﷺ ، ومكانته عند الله تعالى ، وعند نبيه ﷺ ، فقال: " فأمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه لما في ذلك من حصول الهدى بالتبليغ ، وله ﷺ أجر من بلغ عنه ، وأجر من قبل ذلك البلاغ ، وكلما كثر التبليغ عنه تضاعف له الثواب ، فله من الأجر بعدد كل مبلَغ ، وكل مهتد بذلك البلاغ سوى ماله من أجر عمله المختص به ، فكل من هدى ، واهتدى بتبليغه فله أجره؛ لأنه هو الداعي إليه ، ولو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول ما يحبه ﷺ لكفى به فضلا ، وعلامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوب محبوبه ، ويبذل جهده ، وطاقته فيها ، ومعلوم أنه لا شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة ، فالمبلِغ عنه ساعٍ في حصول محابه فهو أقرب الناس منه، وأحبهم إليه، وهو نائبه، وخليفته في أمته، وكفى بهذا فضلاً، وشرفاً للعلم ، وأهله " (٢)، فابن القيم رحمه الله بين أن التبليغ مهم لنيل محبة الله ﷻ، ومحبة نبيه ﷺ ، وليس الكتم لسرٍ ينال به الولي قربة عند الله لنفسه فقط ، فأين هذا الولي الذي استأثر بهذا السر لنفسه ؟! أين هو من حديث النبي ﷺ القائل: " **فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّار ، ويُدْخَلَ الْجَنَّة ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُه ، وهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّه ، والْيَوْمِ الآخِر ، ولْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ** " (٣) ، وعَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ** " (٤) ، فمن حقوق أخوة الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه؛ بل عند استئثاره بهذا السر الذي يوصله لله تعالى ، ويقربه منه فيه خيانة للنصح بين المسلمين الذي قال النبي ﷺ عن أهميتها ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" **الدِّينُ النَّصِيحَة ، قُلْنَا لِمَنْ؟ قَال: لِلَّه، ولِكِتَابِه، ولِرَسُولِه، ولأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِين ، وَعَامَّتِهِمْ** " (٥)، وباستئثاره بالسر فيه مخالفة لمنهج

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما جاء عن بني إسرائيل ،٤ / ١٧٠ ح (٣٤٦١) .

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله دار الكتب العلمية – بيروت المشهور بابن قيم الجوزية ، باب قول لا اله إلا الله ، ١ /٧٣ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء ، ٣ / ١٤٧٢ ح (١٨٤٤).

(٤) سبق تخريجه ، ص ٨٢ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، ١ / ٧٤ ح (٥٥) .

الصحابة ﷺ الذين بايعوا النبي ﷺ على النصح لكل مسلم ، فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قال: " **بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاة ، وإِيتَاءِ الزَّكَاة ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ** " [(١)] .

ثم لو كان ما أعطاه الشيخ للمريد فعلاً هو شيء مادي (هدية مادية)، فهل لا يجوز له أن يتصرف بها ، ولا يبعها ولا يهديها ؟!، فقد كان من علامات النبوة التي تميز بها النبي ﷺ أنه كان إذا أهدي له هدية يجعل للصحابة ﷺ نصيباً منها ، فهذا حال سيد الأولياء النبي ﷺ يقوم بمشاركة الصحابة ﷺ فيما أهدي إليه ، فعن سلمان الفارسي ﷺ يحدث عن وصفه للنبي ﷺ ، وعلامات النبوة فيه: " حتى أتيت رسول الله ﷺ ، وهو بقباء فدخلت عليه ، ومعه نفر من أصحابه ، فقلت: بلغني أنك رجل صالح ، وأن معك أصحاباً لك أهل حاجة ، وغربة ، وقد كان عندي شيء وضعته للصدقة من طعام يسير فجئتكم به وهو ذا ، فقربت إليه ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: " **كلوا ، وأمسك يده وأبى أن يأكل** ، فقلت في نفسي: هذه واحدة من صفة فلان ، ثم رجعت فتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فجمعت شيئا ، ثم جئته فسلمت عليه ، فقلت: هذا شيء كان لي ، وأحببت أن أكرمك ، وهو هدية أهديها لك كرامة ليست بصدقة فإني رأيتك لا تأكل الصدقة ، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه فأكلوا ، وأكل معهم ، فقلت في نفسي: هاتان اثنتان ثم رجعت " [(٢)] ، ومن المعلوم أن السنة هي كل ما ورد عن النبي ﷺ من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة ، وفعله هذا يرشدنا لمن يُرْسِل لنا هدية ، أو عطية أن نقبلها ، وليس كما يزعم غلاة الصوفية أن الاحتفاظ بها قربةً له عند شيخه أو عند الله تعالى ، والنبي ﷺ لم يمنع الهدية ممن طلبها منه ، فعن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ ﷺ قَالَ:" **جَاءَتْ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ قال: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ ؟ فَقِيلَ لَهُ: نَعَمْ هِيَ الشَّمْلَةُ مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا ، قَالَت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْم: يَا رَسُولَ اللَّهِ اكْسُنِيهَا ، فَقَالَ: نَعَم ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِس ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْه، فَقَالَ لَهُ الْقَوْم: مَا أَحْسَنْتَ سَأَلْتَهَا إِيَّاه ، لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلا ، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوت ، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ**" [(٣)] ، فهذا حال النبي ﷺ سيد الأولياء لا يمنع الخير عن غيره .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، ١ / ٢١ ح (٥٧) .

(٢) انظر: صفة الصفوة ، تأليف: عبد الرحمن بنعلي أبو الفرج الجوزي ، تحقيق: محمود فـاخوري ، محمـد رواس قلعة جي ، الطبعة الثانية (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م)، دار المعرفة - بيروت ، ١ / ٥٣١ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب البيوع ، باب ذكر النساج ، ٣ / ٦١ ح (٢٠٩٣) .

٢- حب الشيخ ، وسماع كلامه ، وطاعته مطلقاً أيضاً سبباً للقرب :

يقول ابن عطاء السكندري (١) : " أولو الأمر عند الصوفية ، هم شيوخ التربية العارفون بالله ، فيجب على المريدين طاعتهم في المنشط والمكره ، وفي كل ما أمروا به ، فمن خالف ، أو قال: لِمَ؟ لم يفلح أبدا " (٢) ، وقد جاء عن الكردي قوله: " فإن الشيوخ كلهم أجمعوا على أن المريد لو صح له كمال الانقياد مع شيخه ربما وصل إلى ذوقه حلاوة معرفة الله في مجلس واحد من أول اجتماعه به " (٣) ، وقد ورد عن أحدهم: " ولا يخفى على العارفين بهذا الشأن أنه إذا كملت المحبة من الجانبين جانبي الشيخ والطالب كان الظفر بأسنى المطالب ، لا سيما إذا سما الاستعداد وصفا الجوهر " (٤) ، ومن علامات ذلك لنيل أسنى المطالب - والعياذ بالله - ، ونيل المراتب العلية تقبيل نعال الأولياء - أكرمكم الله- فهذا غايةٌ في الحب للشيخ ، فقد ورد في مدح أحدهم لأحد الشيوخ ، فقال :

وكن بآداب أهل الحب ملتحقاً .... وقبّل النعل ترقى منتهى الرتب
ومرغ الخد في ترب الرحاب تفز........................ وتنج من ظلمة الأغيار والحجب
إليك أزجي مطايا القصد منتهجاً .... نهج التذلل فاقبلني فداك أبي
فكل قصدي قبول منك ينعشني........................ فإن قبلت فهذا منتهى أربي (٥)

الرد على هذا الكلام :

لا شك أنّ الحب بين المسلمين من أجل الله ﷻ من أوثق عرى الإيمان ، ومحبة النبي ﷺ دليل على محبة الله ﷻ، قال تعالى:﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [آل عمران:٣١] ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **قال رسول الله ﷺ لأبي ذر** رضي الله عنه : " **يا أبا ذر أي عرى الإيمان أوثق ؟ قال: الله ورسوله أعلم ، قال: " الموالاة**

---

(١) هو تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري ، ولد سنة (٦٥٨ هـ - ١٢٦٠م) ، توفي سنة (٧٠٩ هـ) ، فقيه مالكي وصوفي شاذلي الطريقة ؛ بل أحد أركان الطريقة الطريقة الشاذلية الصوفية ، الملقب بـ "قطب العارفين" ، له كتب منها: لطائف المنن ، الحكم العطائية ، (انظر: الأعلام للزركلي، ١ / ٢٢١) .
(٢) البحر المديد ، ٢ /٨٥ .
(٣) تنوير القلوب ، ص ٤٩٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص (٨، ٩) .
(٥) المصدر السابق ، ص (٣٢- ٣٣) .

في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله " [(١)] ، ومحبة النبي ﷺ من كمال الإيمان ، ففي الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" **ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّه ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**" [(٢)] ، ولكن هذه المحبة للنبي ﷺ إنما تثبت بطاعته واتباع أوامره دون مغالاة ، ولا تفريط ، بالسير على آثاره التي أمرنا بها ، واجتناب ما نهانا عنه ، وليس المقصود تقبيلُ نعله ، أو غيره مما يفعله غلاة الصوفية مع أوليائهم ، فإن كان هذا الأمر لم يفعله الصحابة رضي الله عنهم ، وهم خير القرون مع أفضل الأولياء فكيف بمحبة الخلق لمخلوق مثله مثلهم ؟، هل تقبيل المريد لنعلِ شيخه فيه دليل على محبته له ؟! أو دليلاً على نيل أسمى المطالب ؟! فالنبي ﷺ وهو أفضل الأولياء بشرٌ ميزه الله تعالى بالنبوة؛ ولكنه لم يتعالى على الخلق بل كان متواضعاً ﷺ ، لم يطلب من الصحابة رضي الله عنهم أن يقبلوه ، أو يقبل بعضهم بعضاً فضلا أن يقبلوا نعاله ، أو نعال بعضهم البعض ، بل نهى النبي ﷺ أن يفعلوا معه كما يفعل الناس مع ملوكهم ، فقد حافظ الإسلام على المحبة بين المسلمين ، وأرسى دعائم الأخوة بينهم دون إفراط ، ولا تفريط ، وجعل الاحترام أساساً أيضاً في التعامل فيما بينهم ، ومن هذه الصور: الدعاء لبعضهم البعض ، الاحترام المتبادل بينهم، الدفاع عنهم في غيبتهم ، ذكر محاسنهم ، أما بخصوص العلماء ، والوجهاء فقد جعل الإسلام لهم مكانتهم أيضا ، قال تعالى:﴿ **يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [المجادلة:١١]، وقال النبيﷺ: " **الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ** " [(٣)]، أي: " هو حضٌ على مراعاة مقادير الناس ، ومراتبهم ، ومناصبهم، وتفضيل بعضهم على بعض في المجالس ، وفي القيام ، والمخاطبة ، والمكاتبة ، وغير ذلك من الحقوق " [(٤)] ، وقد أدرج النووي رحمه الله باباً بعنوان: " باب توقير العلماء ، والكبار ، وأهل

---

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة ، تأليف: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي – دمشق ـ بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م)،١٣ / ٥٣ ح (٣٤٦)، وعلق الألباني على الحديث في السلسلة الصحيحة فقال: فالحديث بمجموع طرقه ، يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل ، انظر: السلسلة الصحيحة ، ٤ / ٢٢٧ ح (١٧٢٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، ١ / ١٢ ح (١٦) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل الفقه على العباده ، ٥ / ٤٨ ح (٢٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ٦ / ١٨٢ .

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي ، باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار مرتبتهم ، ٤ / ٢٧ .

الفضل ، وتقديمهم على غيرهم ، ورفع مجالسهم وإظهار مرتبتهم " [١]، وهذا إن دل يدل على حرص الشريعة على توقير أهل العلم ، والفضل ومحبتهم ، ولكن دون مجاوزة الحد ، فالنبي ﷺ وهو أفضل الخلق ، وأكرم الخلق قال عن نفسه متواضعاً في الحديث الذي رواه ابْنُ عَبَّاسٍ أنه سَمِعَ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:" **لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَم ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُه ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** " [٢] ، والإطراء هو: " المبالغة في المدح ومجاوزة الحد فيه ، أو مدح الإنسان بأحسن ما فيه " [٣] ، وكأن النبي ﷺ يقول: لا تمدحوني بالباطل ، والإفراط في المحبة يؤدي إلى التعظيم الذي يؤدي إلى الطاعة المطلقة ، بينما الطاعة المطلقة لا تكون إلا لله ﷻ، ولرسوله ﷺ فقط ، قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء:٥٩] ، فطاعة الله واجبة ، وكذلك طاعة النبي ﷺ كما بينت الآية؛ بل سبب نزولها يبين بوضوح لمن الطاعة؟ ومتى تكون؟، فقد ذكر ابن كثير رحمه الله سبباً للنزول: " عن علي ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ سرية ، واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار ، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء ، قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى ، قال: اجمعوا لي حطبا ، ثم دعا بنار فأضرمها فيه، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها ، قال: فهمّ القوم أن يدخلوها ، قال: فقال لهم شاب منهم: إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار ، فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله ﷺ ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها، قال: فرجعوا إلى رسول الله فأخبروه ، فقال لهم: " **لَوْ دَخَلْتُمُوهَا مَا خَرَجْتُمْ مِنْهَا أَبَدًا ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ** "[٤]، فطاعة الشيخ إذا كانت في طاعة الله فلا ضير في ذلك ، أما إذا كانت في معصية الله فلا يجوز طاعة المخلوق في معصية الخالق ، لذا من المغالاة في طاعة غلاة الصوفية لشيخوهم أنه لو أمره أن يلقي نفسه في التنور فيجب طاعته ، وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ، و صحابته ﷺ، فطاعة النبي ﷺ كانت فيما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه ، ولا يأمر النبي ﷺ إلا بخير ، ولا ينهى إلا عن شر ، ومعصية ، وقد قيد النبي ﷺ طاعة أولي الأمر بطاعة

---

(١) رياض الصالحين ، ص ١٤٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله " واذكر في الكتاب مريم " ، ٤ / ١٦٧ ح (٣٤٤٥) .

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف ، ص ٧٢ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ١ / ٨٢ ح (٦٢٢)، قال الأرنؤوط : صحيح على شرط الشيخين ، وسبب النزول ذكره ابن كثير في تفسيره ، ٢ / ٣٤٢ .

الرحمن وفق كتاب الله كي يطيعه الناس ، كما جاء في الحديث عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: " **عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْع ، والطَّاعَةُ فِيمَا أَحَب ، وكَرِهَ إلا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَة ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْع ، ولا طَاعَةَ** " [(١)] ، فكيف يطيع المريد ، والطلاب شيخهم بما يأمرهم به من أوامر دون قيد ؟ ، فقد جاء عن أحدهم:"ومن علامات المريد الصادق أنه لو قال له شيخه: ادخل التنور دخل " [(٢)] .

٣- ميراث النبوة وهو العلم الشرعي مربوط باتصالهم بالنبي من طريق الشيخ :

ورد عن الكردي قوله: " ينبغي للمريدين أن يعرفوا نسبة شيخهم ، ورجال السلسة كلها من مرشدهم إلى النبي ﷺ ؛ لأنهم إذا أرادوا أن يطلبوا المدد من روحانيتهم ، وكان انتسابهم إليهم صحيحاً حصل لهم المدد من روحانيتهم ، فمن لم تتصل سلسلته إلى الحضرة النبوية فإنه مقطوع الفيض [(٣)] ، ولم يكن وارثاً لرسول الله ﷺ " [(٤)] ، فقد جعلوا ذكر الشيوخ مع ذكر الله طريقاً يوصل للترقيات ، قال الكردي: " من قرأ سلسلة المشايخ بعد ختم الخواجكان ، وعند تلقين الذكر ، وعند الشروع في ذكره ، وتمام ورده تحصل له الترقيات ، والمكاشفات ، ويقرؤها لتفريج الكروب ، والهموم ، والغموم ، وتيسير المراد ، وقضاء الحوائج ، ولشفاء المريض " [(٥)] .

الرد على هذا الكلام :

لقد ترك الأنبياء جميعاً ميراثاً عظيما ، وهو العلم الشرعي ، كما جاء في حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّة ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْم ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَات ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاء ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِب ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا ، ولا دِرْهَمًا**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ٦ /١٥ ح (٤٨٦٩) .

(٢) تنوير القلوب ، ص ٤٩٧ .

(٣) الفيض: التجلي الدائم الذي لم يزل ، ولا يزال من الله تعالى للعبد ، (انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ٧٤١ بتصرف)، والتجلي: هو إشراق أنوار إقبال الحق على قلوب المقبلين عليه ، وسر التجليات شهود كل شيء ، حيث يظهر للقلب أنوار الغيوب (انظر: نفس المصدر ، ص ١٦١، ص ٤٦٣) .

(٤) تنوير القلوب ، ص ٤٦٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٠٧ .

إِنَّمَا ، ورَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ" [(١)] ، فالعلماء هم ورثة الأنبياء الحقيقيون ، وليس فقط غلاة الصوفية هم ورثة الأنبياء ، وليس الأمر محصوراً على شيوخ الطريقة في تحصيلهم لميراث النبي ﷺ .

وكلامهم بخصوص الميراث مردود من عدة جوانب منها :

أ- لقد سخر الله تعالى ، ويسر للسنة من يحفظها من كل سوء ، ومن كل زيغ وضلال ، فعلماء الجرح والتعديل وضعوا لنا قواعد لضبط الحديث ، وقبوله ، وحكموا على الرواة ، وجعلوا الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، وعليه فلا يصح قبول الرواة من شيوخ الصوفية الغلاة ، أو غيرهم من الناس ، إلا بعد دراستهم ، ومعرفة أحوالهم ، وماذا قال علماء الجرح والتعديل عنهم ، ولو حكموا على الرجال فلابد من توافر شروط الحديث الصحيح كاملة ليتم الحكم على صحة ، أو ضعف الحديث ، وهذا كله موجود في كتب المصطلح بالتفصيل .

ب- ربط النفع والضر ، والمدد بروحانيات السادة الصوفية ، وكأنه يضفي عليهم حياة تتصل بالنبي ﷺ ، ويجلسون معه ، ويتدارسون العلم ، وهذا كله لا يقبله عامة الناس فضلاً أن يقبله عاقل متعلم .

ج- حصرهم ميراث النبي ﷺ بأوليائهم فيه تضييقٌ لواسع ، فمن خصائص هذه الأمة ، فالنبي ﷺ بعث للناس عامة ، وميراثه للجميع ، قال تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [سبا:٢٨] ، وجاء في حديثِ جَابِرِ بْن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" **أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا، وطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِم، وكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّة، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ** " [(٢)] ، فالنبي ﷺ لم يرسل فقط لغلاة الصوفية لأخذ الميراث عنه؛ بل لجميع الخلق ، يقول الطبري رحمه الله: "وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة ، ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين ، العرب منهم ، والعجم ، والأحمر والأسود ، بشيرًا لمن أطاعك ، ونذيرًا لمن كذبك " [(٣)] .

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه ، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، ٤ / ٤١٤ ح (٢٦٨٢) ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ٦ / ١٨٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً ، ١ / ٩٥ ح (٤٣٨) .

(٣) تفسير الطبري ، ٢٠ / ٤٠٥ .

د- جَعلوا ذكر الشيوخ ، ورجال السلسلة من وسائل نيل المنى ، ونيل القرب ، وهذا مخالف لصريح القرآن الذي قال الله تعالى فيه مادحاً ذكره ، وكلامه بقوله:﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨] ، ثم الترقيات ، والمقامات ، والدرجات في الجنة ينالها العبد بالأعمال ، وليس بالقول فقط ، أعمال ترقّيه ، وترفع درجاته عند الله تعالى ، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِه ، وَأَقَامَ الصَّلَاة ، وصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّه ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا** ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ:" **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْس ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّة ، وأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَن ، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ** " [(١)] ، فالدرجات بالشهادة ، ورفع كلمة الله ، وليس كلمة الولي فلان ، وكذلك ترتيل آيات الله لها درجات ، وترقيات في الجنة ، وليس ذكر المخلوقات ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" **يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَا ، وارْتَقِ ، ورَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا**" [(٢)] ، أما أن نجعل ذكر شيخ ، وكبير الأولياء هو من الأوراد التي يلزم الذكر بها فهذا لا يقبل في شرعنا الحنيف .

٤- رابطة المرشد :

وهي أن يستحضر المريد الشيخ ، وصورته في قلب الذاكر عند الذكر؛ لأن الشيخ يعتبر وسيلة تقرب إلى الله تعالى كما سبق ، وعرفها الكردي بقوله: " هي مقابلة المريد بقلب شيخه ، وحفظ صورته في الخيال ، ولو في غيبته وملاحظة قلب شيخه كالميزاب [(٣)] ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط ، ، واستمداد البركة منه؛ لأنه الواسطة إلى التوصل ، ولا يخفى ما في ذلك من الآيات ، والأحاديث ، قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب درجات المجاهدين في سبيل الله ، ٤ / ١٦ ح (٢٧٩٠).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر ، ٥ / ٣٥ ح (٢٩١٤) ، قال الألباني : حسن صحيح ، ٦ / ٤١٤ .

(٣) الميزاب من: وَزَبَ الشيء يَزِبُ وُزُوبا إذا سال ، والميزاب: هو ما يسيل منه الماء من موضع عال ، انظر: لسان العرب ، ١ /٧٩٦ ، تاج العروس ، ٢ / ٢٤ .

الوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٣٥] [١]، يقول ابن عجيبة عند تفسير الوسيلة في الآية السابقة: " لا وسيلة أقرب من صحبة العارفين ، والجلوس بين أيديهم وخدمتهم ، والتزام طاعتهم ، فمن رام وسيلة توصله إلى الحضرة غير هذه فهو جاهل بعلم الطريق " [٢] ، وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، وفسر غلاتهم هذه الآية بقولهم: " إن الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام رب العالمين على قسمين ، كون بحسب الصورة ، وهي مجالستهم حتى تنطبع فيه صفاتهم ، وكون بحسب المعنى ، ثم فسر الكينونة بمعنى الرابطة " [٣] ، وقال ﷺ : " **الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** " [٤] ، " قال العارفون: كن مع الله فإن لم تستطع فكن مع من كان مع الله ، وقالوا: الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله " [٥] ؛ بل جعلوا من ينكر الرابطة من المغضوب عليهم ، والضالين للصواب ، وطريق الحق ، يقول الكردي : " وهذا الأمر لا يجحده إلا من كتب الله على جبهته الخسران ، واتسم ، والعياذ بالله بالمقت ، والحرمان ، أولئك هم الأخسرون أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، ومالهم من ناصرين؛ لأنه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد صرحوا بحسنها ، وعظم نفعها ، واتفقوا عليها؛ بل قالوا: إنها أشد تأثيراً من الذكر " [٦] ؛ بل فصّل الكردي رابطة المرشد بقوله: " ثم إنه لا يمكن للعبد حسبما جرت به العادة أن يصل إلى هذا المقام الأسنى بنفسه بل لابد له من قائد كامل وصل إلى مقام المشاهدة ، تحقق بالصفات الذاتية فيجب على المريد إذن أن يستمد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله ، وكثرة رعاية صورته ليتأدب ، ويستفيض منه في الغيبة [٧] كالحضور ، ويتم له باستحضاره الحضور ، والنور بأن يحفظ صورته في خياله متوجهاً للقلب حتى يصل إلى الغيبة والفناء عن النفس الذي هو مقدمة الفناء في الله تعالى ، حيث أنه محل للأسرار بطريق الوراثة عن ماجد فماجد ، وكامل فكامل إلى حضرة رسول الله ﷺ ، وهذا ما يسمى عندهم برابطة

---

(١) انظر بتصرف: تنوير القلوب ، ص ٢٨٨ .

(٢) البحر المديد ، ٢ / ٢٤٣ .

(٣) تنوير القلوب ، ص ٤٨٩ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من أحب ، ٨ / ٤٣ ح (٦٨٨٨).

(٥) تنوير القلوب ، ص ٤٨٤ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٤٨٨ .

(٧) الغيبة: غيبة القلب عن مشاهدة الخلق بحضوره ، ومشاهدته للحق بلا تغيير ظاهر العبد؛ لأنه انشغل بما ورد عليه ، (انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ٦٩٦) .

المرشد " [١] ؛ بل يكون استحضار صورة الشيخ سبباً لزوال الكرب ، وصرف الخواطر ، قال الكردي: " إذا عرض للذاكر في أثناء الذكر قبض ، أو خطرات فاقت جمعية قلبه فليفتح عينيه فإنه يزول فإن لم يزل فليقل بلسانه: الله ناظري الله حاضري ثلاثا ، فإن استمر ذلك معه فليترك الذكر ، وليلاحظ صورة المرشد ، فإن لم يذهب فليتوضا ، وليصل ركعتين بعد الوضوء والغسل، ولستغفر ويدعو بهذا الدعاء: يا كاشف كل كرب ، ويا مجيب كل دعوة ، ويا جابر كل كسير ، ويا ميسر كل عسير ، ويا صاحب كل غريب ، ويا مؤنس كل وحيد، ويا جامع كل شمل ، ويا مقلب كل قلب ، ويا محول كل حال ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، أسألك أن تجعل لي فرجا ، ومخرجا ، وأن تقذف حبك في قلبي حتى لا يكون لي هم ، ولا في قلبي غم ، وأن تحفظني ، وترحمني برحمتك يا أرحم الراحمين ، فتصرف عنه الخواطر إن شاء الله " [٢] .

الرد على رابطة المرشد :

تعد رابطة الشيخ من صور تعظيم الأولياء ، وقد سبق الرد على تعظيم الأولياء ، ولأهمية الرابطة عند غلاة الصوفية تم إفراد ذكرها في نقطة خاصة بها ، فقد جعلوها من أهم الوسائل للتقرب ، ومن خلال تعريفها عندهم يتبين أن الرابطة بمجملها تعني استحضار صورة الشيخ وتعظيمه ، وهذه الرابطة مبناها على ربط القلب بغير الله أي بالشيخ محبة وطاعة وخضوعا ، وديننا الحنيف جعل الرابطة بالله ، وليس بغيره ، والتعظيم ، والخشية لا تصرف إلا لله ، قال تعالى:﴿ **أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [التوبة:١٣]، وعن مُعَاذِ بْنُ جَبَلٍ ﷺ قال: أَيْ رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي، **قَالَ: " اعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاه ، وَاعْدُدْ نَفْسَك مِنَ الْمَوْتَى ، وَاذْكُرَ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ، وَإِذَا عَمِلْت السَّيِّئَةَ فَاعْمَلْ بِجَنْبِهَا حَسَنَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ** " [٣]، فالنبي ﷺ لم يوجه الصحابة ﷺ لاستحضار صورته ، وحفظها ، وكلما غفل أحدهم استحضرها، أو كلما وقع في مصيبة أرشده بأن يقوم ويجلس مع نفسه ، ويتذكر صورة النبي ﷺ كي تفرج كروبه – كما يزعمون لإزالة كربهم – ؛ بل إن القرآن ربط الصحابة ﷺ بالعلاقة مع الله

---

(١) تنوير القلوب ، ص ٤٨٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٨٥ .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، ٢٠ / ١٧٥ ، وحسنه الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة ، ٤ / ٤٨ ح (١٤٧٤) .

مباشرة ، قال تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦] ، وأوصى النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم بعد ، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا ، فَقَالَ: **يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ ، احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**" [(١)] ، وللرد على ما استدلوا به أقول وبالله التوفيق :

الرد على الاستدلال بآية الوسيلة :

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٣٥] ، بالرجوع لتفسير الآية فإن التفسير يختلف عما ذهب إليه هؤلاء الغلاة ، فقد نقل ابن كثير رحمه الله إجماع المفسرين على أن الوسيلة هي التقرب إلى الله تعالى بطاعته، يقول ابن كثير رحمه الله:" أي تقربوا إليه بطاعته ، والعمل بما يرضيه ، وقرأ ابن زيد: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧] ،وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه " [(٢)]، فالتقرب إلى الله بالوسيلة يكون بالطلب من الله تعالى ، والدعاء منه ، وطاعته ، وليس كما زعم الغلاة استحضار صورة أحد كبار الأولياء ، أو النبي ﷺ .

الرد على الاستدلال بقوله تعالى:﴿ اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] :

بالرجوع لكتب التفسير فقد فسر العلماء الآية خلاف ما فسرها هؤلاء الغلاة ، فقد جاءت الآية في سياق ذكر توبة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وبيان صدق توبتهم فبين الله صدقهم وصدق توبتهم ، والآية عامة في كل من صدق دون تخصيص ، يقول ابن كثير رحمه الله : " أي: اصدقوا و الزموا الصدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ، ويجعل لكم فرجا من

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، و قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب منه ،٦٦٧/٤ ح (٢٥١٦) ، قال الشيخ الألباني: صحيح ، ٦ / ١٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٣ / ١٠٣ .

أموركم " [١] ، فالتزام الصدق يؤدي للخير ، والنجاة من الشر ، ويؤدي إلى أن يكون المسلم من الصادقين ، قال الألوسي: " وكونوا مع الصادقين " أي: مثلهم في صدقهم " [٢] ، وأما ما ذهب إليه الغلاة من تقسيم الصدق إلى الجلوس مع الصادقين حتى يتصف بصفاتهم فقريب من هذه المعاني ، أما القسم الآخر من تفسير الصدق بالوسيلة التي يعنون بها التقرب إلى الله بالشيخ كما سبق فهذا غير مقبول ، ومخالف لما جاء عن أئمة التفسير .

الرد على استدلالهم بحديث ابن مسعود ﷺ : " الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ " [٣] :

الحديث له سبب ورود ، فقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف ترى فى رجل أحب قوما ، ولما يلحق بهم؟، قال رسول الله ﷺ : " **الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** "، يقول النووي رحمه الله: " فيه فضل حب الله ، ورسوله ﷺ ، والصالحين ، وأهل الخير الأحياء والأموات ، ومن فضل محبة الله سبحانه ، ورسوله ﷺ امتثال أمرهما ، واجتناب نهيهما ، والتأدب بالآداب الشرعية ، ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم ، ولا يلزم من كونه معهم أن تكون منزلته ، وجزاؤه مثلهم من كل وجه " [٤] ، فالحديث يبين أمراً للصالح ، والطالح فمن أحب الصالحين تشبه بهم ، وسار في الخير والتقوى ، من المؤمنين الأولياء ، وغيرهم ، ومن أحب الطالحين تشبه بهم ، وسار على منهجهم ، فالمرء على دين خليله ، وهناك سبب ورود آخر للحديث فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ **أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: " مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاة ، وَلَا صَوْم ، وَلا صَدَقَة ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَه ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** " [٥] ، يقول صاحب دليل الفالحين: " المرء مع من أحبّ هو عام ، فمن أحب رسول الله ﷺ أو أحداً من المؤمنين كان معه في الجنة بحسن النية ؛ لأنها الأصل، والعمل تابع لها ، ولا يلزم من كونه معهم كونه في منزلتهم ، ولا أن يجزى مثل جزائهم من كل وجه " [٦] ، و يقول ابن كثير رحمه الله: " فقوله

---

(١) تفسير ابن كثير ، ٤ / ٢٣٠ .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٧ / ٣٩٩ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ٩٢ .

(٤) شرح النووي على مسلم ، ٨ / ١٨٦ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب علامة حب الله ﷻ لقوله:" إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله"، ٨ / ٤٠ ح (٦١٧١) .

(٦) دليل الفالحين ، ٤ / ٥٢ .

في الحديث: " المرء مع من أحب " ، هذا متواتر لا محالة ، والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة؛ بل أمره بالاستعداد لها " [(١)] ، يقول ابن حجر رحمه الله: " قد جمع أبو نعيم طرق هذا الحديث في جزء سماه كتاب المحبين مع المحبوبين، وبلغ الصحابة ﷺ فيه نحو العشرين " [(٢)] ، فهل حديث متواتر رواه جمع من الصحابة رضي الله عنهم فسروه كما فسره الغلاة بالرابطة للمرشد ، وتقديس ، وتعظيم من يحبون ؟! أم أنهم لم يبينوا كيفيتها ؟! ؛ بل كان ذكرهم للحديث بياناً لمنهج أولئك الذين يجب محبتهم ، وطاعتهم بطاعة الله ﷻ، وطاعة نبيه ﷺ ، فمن أفضل المحبة محبة الله ومحبة رسوله ﷺ بامتثال أمرهما ، واجتناب نهيهما ، وهذا ما يُعده المؤمن للقاء الله سبحانه ، وللساعة ، وليس استحضار صورهم ، أما أن يقبل نعال الأولياء ، أو يستحضر صورهم ، ويتفكر فيهم ليتقرب بهذا العمل من الله تعالى فلم يرد لا عن النبي ﷺ ، ولا عن صحابته ﷺ ، الذين كانوا أشد حباً للنبي ﷺ من أنفسهم ، فالذي يحبهم يحشر معهم يوم القيامة ، فهل خفي على شرّاح الحديث ما ادعاه الغلاة من تعظيم الأولياء وتقديسهم أيضاً ؟! فلو صح ما قاله الغلاة لذكره أهل الشرح للحديث الذين رَوَوْهُ بالتواتر كما سبق .

مما سبق لا يعني أن المرء مع من أحب بمعنى أن يستحضر المرء صورته ، ويفكر فيه على الدوام ، ولا ما ذهب له الغلاة من تفسيرات ، ولا الفناء في الشيخ ، الذين فسروها بذلك بهدف طاعة الشيخ ، ولزوم مجلسه ، فالحب المقصود به عند أهل السنة والجماعة هو محبة لله ﷻ، ولرسوله ﷺ ، وللمؤمنين الطائعين ، ويتمنى من الله أن يلحق بهم ، ويرافقهم في الجنة .

---

(١) تفسير ابن كثير ، ٧ / ١٩٧ .

(٢) فتح الباري ، ١٠ / ٥٦٠ .

المطلب الثاني
تحصيل الولاية عند أهل السنة والجماعة

سبق الرد على غلاة الصوفية فيما زعموه من أن تحصيل الولاية يجب أن يكون بالذكر القلبي ، والتعظيم للأولياء ، وغير ذلك من البدع ، وقد ثبت مخالفتهم لمنهج السلف ، ثم إن للسلف منهجاً في تحصيل الولاية وفق المنهج السليم القائم على الأصول العقائدية الصحيحة ، مخالفاً لما ذهب إليه الغلاة .

فولاية الله ﷻ مرتبة عظيمة في الدين ، لا يبلغها إلا من قام بالدين ظاهراً وباطناً ، ولذلك فإن القرآن قد عرف أولياء الله ، ومثال ذلك قول الله ﷻ: ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [يونس:٦٢-٦٤] ، فالعبد الذي آمن بالله ﷻ، وصدق به ، وبما جاء من عنده ، والتزم بالشرع باطناً وظاهرا ، وداوم على ذلك هو ولي الله ﷻ الذي يحبه، وينصره ، ويبشره برضوانه ، فمن حفظ الله ﷻ باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، فقد فاز بمحبة الله ﷻ، ومعيته ، والله ﷻ يتولى من تولاه ، ولا يتخلى ﷻ عمن نصره ، ووالاه .

الطريق الصحيح لتحصيل ولاية الله سبحانه فهو كالتالي :

أولاً: الإيمان :

فأول ما يتصف به أولياء الرحمن أنهم مؤمنون بالله تعالى ، وبالنبي ﷺ ، وبما جاء به ، وهو أساس الولاية ، والناس في الإيمان درجات ، لكنَّ تمام الولاية لله تعالى لا تكون إلا بكمال الإيمان ، فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به ، وبما جاء به نبيه ﷺ ، قال تعالى:﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ*الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [يونس:٦٢]، فأول صفة للأولياء يؤمنون بالله تعالى ، وتعريف الإيمان هو:

لغةً: التصديق ، قال ابن منظور: " والإيمان بمعنى التصديق ضده التكذيب ، يقال آمن به قوم وكذب به قوم ، وأما الإيمان فهو مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن ، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق " [١] .

---

(١) لسان العرب ، ١٣ / ٢١ .

اصطلاحاً : اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالأركان (أي الجوارح) ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية (١) ، والعمل يدخل في مسمى الإيمان ، وهذا ما جعل الولاية تتفاوت لمراتب، ودرجات؛ لأن الأساس يتفاوت ، وهو الإيمان ، قال ابن عبد البر رحمه الله: " أجمع أهل الفقه ، والحديث على أن الإيمان قول وعمل ، ولا عمل إلا بنية ، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، والطاعات كلها عندهم إيمان " (٢) ، ويدل على أن الإيمان شرط للولاية ما أخرجه الطبري ، وابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾، قيل: من هم يا رب ؟ قال:﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ (٣) .

ثانياً: التقوى :

تعد التقوى الشرط الثاني من شروط الولاية ، كما دلت الآية:﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾، والتقوى أمر مهم من أوامر الله تعالى ، وهي أمر للأولين ، والآخرين ، قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللهُ غَنِيًّا حَمِيدًا** ﴾ [النساء:١٣١] ، فكل مؤمن تقي هو لله ولي ، وبقدر تقواه تكون منزلته عند الله ، قال تعالى:﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٣] ، يقول الإمام الطبري رحمه الله: " إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم أشدكم اتقاء له بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة " (٤) ، وقد كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى بعض عماله أما بعد: " فإني أوصيك بتقوى الله ، ولزوم طاعته ، فإن بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه ، وبها تحقق لهم ولايته ، وبها رافقوا أنبياءهم ، وبها نضرت وجوههم " (٥) ، ويعتبر الصلاح والتقوى من العناصر الأساسية في الولاية ، ومن مستلزماتها ، قال تعالى:﴿ **إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال:٣٤] ، فقد حصرت هذه الآية الولاية بالتقوى.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ، ٧ / ١٧٠ ، الإيمان لابن تيمية ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .
(٢) التمهيد لابن عبد البر ، ٩ / ٢٣٨ .
(٣) تفسير الطبري ، ٧ / ١٣٢ .
(٤) المصدر السابق ، ٢٢ / ٣١٢ .
(٥) حلية الأولياء ، ٥ / ٢٧٨ .

والتقوى لغةً: أصلها وقى من الوقاية بمعنى الحفظ ، والصيانة ، يقال: وقاه الله وقيا ، ووقاية ، ووقاه صانه [١] ، وقيل: التقوى: هي الخشية والخوف ، وتقوى الله خشيته ، واجتناب نواهيه [٢].

وأما اصطلاحاً: أحسن وأجمع ما عُرِّفت به التقوى هو قول طلق بن حبيب رحمه الله [٣] حيث قال: " هي العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله ، وترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله " [٤]، ومدح الذهبي هذا التعريف فقال: " أبدع وأوجز ، فلا تقوىَ إلا بعمل، ولا عمل إلا بنور من العلم والاتباع ، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله ، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه ، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها ، ويكون الترك خوفاً من الله ، لا ليمدح بتركها ، فمن دوام على هذه الوصية فقد فاز" [٥]، وفي قوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ قال الطبري رحمه الله: " والصواب من القول في ذلك أن يقال: هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها ، وهو الذي آمن واتقى ، كما قال الله: ﴿ **الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾، قال ابن زيد في قوله: ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾، من هم يا رب ؟ قال:﴿ **الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ ، قال: أَبَى أن يتقبل الإيمان إلا بالتقوى " [٦] ، وكان ﷺ يقول: " **اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا** " [٧] ، وكان من دعائه ﷺ ، وهو مسافر:" **اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى ، وَمِنْ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى** " [٨] ، وهذا إن دل فإنه يدل على أهمية طلبه ﷺ للتقوى ، وسؤاله من الله لها أنها مهمة في حياة المؤمنين .

---

(١) انظر: لسان العرب ، ١٥ / ٤٠١ .

(٢) المعجم الوسيط ، ٢ / ١٠٥٢ .

(٣) طلق بن حبيب العنزي بصري زاهد كبير ، من العلماء العاملين ، حدث عن ابن عباس ، وابن الزبير ، رضي الله عنهما ، عن طاووس قال: ما رأيت أحداً أحسن صوتاً منه ، وعن بكر المزني قال: لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق بن حبيب : اتقوها بالتقوى ، (انظر : سير أعلام النبلاء تأليف: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تحيقيق: مجموعة محققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ٤ / ٦٠١) .

(٤) حلية الأولياء ، ٣ / ٦٤ .

(٥) سير أعلام النبلاء ، ٤ / ٦٠١ .

(٦) تفسير الطبري ، ١٥ / ١١٩ ، تفسير الخازن ، ٣ / ١٩٦ .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ٨ / ٨١ ح (٧٠٨١) .

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب ما يقوله إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ، ٤ / ١٠٤ ح (٣٣٣٩) .

ثالثاً: اتباع أوامر الله ﷻ ظاهراً ، وباطناً :

لأهمية اتباع الأوامر الشرعية التي فرضها الله تعالى فقد ربطت الآيات بين الولاية وبين اتباع الأوامر ، وطاعته ﷻ، ومن هذه الآيات ، قال تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ* إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨-١٩] ، فكل من لم يتبع القرآن ، والسنة كان متبعاً لهواه ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " فالشريعة معلومة ، وكل ذوق ، ووجد ، وتفكير ، ووجهة لا تشهد لها الشريعة فهي من أهواء الذين لا يعلمون ، ولهذا كان أهل السنة والجماعة يعدون كل من خرج عن الشريعة في شيء من الدين من أهل الأهواء ، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء ، ويذمونهم ، ويأمرون بأن لا يَغْتَرَّ بهم وهكذا ، قال يوسف بن عبد الأعلى: قلت للشافعي: تدري يا أبا عبد الله ما كان يقول فيه صاحبنا – يريد الليث بن سعد – كان يقول: لو رأيته يمشي على الماء لا تثقْ به، ولا تعبأْ به ، ولا تكلمْه ، فقال الشافعي رحمه الله: فإنه والله ما قصر " [(١)] ، وقد حذر ﷻ من موالاة ، وطاعة غيره ممن يخالفون شرعه ، قال تعالى:﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠] ، فقد توعد الله تعالى في هذه الآية من يتبع ملة اليهود ، أو النصارى بالتهديد الشديد ، وعدم نصرته ، يقول الطبري : " ليس لك يا محمد من ولي يلي أمرك ، وقيم يقوم به ، ولا نصير ينصرك من الله ، فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته ، ويمنعك من ذلك إن أحل بك ذلك ربك " [(٢)]، فأولياء الله ﷻ لا يعبدون إلا الله ، ولا يطيعون إلا الله ﷻ، ورسوله ﷺ ، فهم يعظمون أمر الله ، ويجتنبون نهيه ، ولا يطيعون الكفار؛ لأنهم اعتصموا بالله فهو ناصرهم ووليهم ، وذلك بالسير على منهجهم وترك منهج غيرهم ممن يدّعون الولاية ، فلو جاء شخص ، وقال: بأنه ولِي ، ورأى في المنام كذا وكذا ، أو رأيت النبي ﷺ قال لي: افعل كذا عن شيء محرم كاستحلاله ، أو تحريم شيء حلال فهذا لا يؤخذ منه تشريع ، فأساس الولاية الحق هو السير على منهج القرآن والسنة ، والتمسك بهما ، قال تعالى:﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

---

(١) الاستقامة ، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق: د . محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة ، الطبعة الأولى (١٤٠٣ هـ) ، ١ / ٢٥٤ .

(٢) تفسير الطبري ، ٢ / ٥٦٤ .

بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ، يقول ابن تيمية رحمه الله: " ولا يصل أحد من الخلق إلى الله، وإلى رضوانه ، وجنته ، وكرامته ، وولايته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً في الأقوال ، والأعمال الباطنة ، والظاهرة في أقوال القلب وعقائده ، وليس لله ولي إلا من اتبعه باطناً وظاهراً فصدقه فيما أخبر به من الغيوب ، والتزم طاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات وترك المحرمات ، فمن لم يكن مصدقا فيما أخبر به ملتزما طاعته فيما أوجب ، وأمر به في الأمور الباطنة التي في القلوب ، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان لم يكن مؤمنا فضلا عن أن يكون ولياً ، ولو حصل له من خوارق العادات ما عسى أن يحصل " [1] .

رابعاً: أداء الفرائض :

أداء الفرائض من شروط الولاية ، من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وغيرها ، فجميع الأوامر التي طلبها الله منا هي فرائض ، فالبدء بالفرائض أولى من الإسراع بالنوافل دون الفرائض ، كما في الحديث: " **مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ** " [2] ، فأولياء الله هم من تقرب إلى الله بالفرائض ، والله ﷻ لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة ، وأفضل الأعمال أداء ما افترض الله ؛ لأن أولياء الله حقيقةً هم من أدوا الفرائض التي عليهم ، فالله تعالى يحب أداء الفرائض قبل النوافل ، فالفرائض مهمة ، واجتناب المحرمات أيضا ، فترك المعاصي من الفرائض التي تندرج في باب الفرائض ، يقول الشوكاني رحمه الله: " واعلم أن من أعظم فرائض الله سبحانه ترك معاصيه التي هي حدوده ، التي من تعداها كان عليه من العقوبة ما ذكره الله ﷻ في كتابه العزيز ، ولا خلاف أن الله افترض على العباد ترك كل معصية كائنة ما كانت ، فكان ترك المعاصي من هذه الحثيثة داخلاً تحت عموم قوله: " **مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ** "؛ بل دخول فرائض الترك للمعاصي أولى من دخول فرائض الطاعات ، كما يدل عليه حديث:" **فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوه ، وإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ** " [3] .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠ / ٤٣١ .

(٢) أخرجه البيهقي في سننه ، كتاب الشهادات ، باب ما ينبغي للمرء ألا يبلغ ، ١٠ / ٢١٢ ح (٢١٥٠٨) .

(٣) انظر: قطر الولي على حديث الولي المسمى ولاية الله والطريق إليها ، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق: د. إبراهيم هلال ، مطبعة حسّان – دار الكتب الحديثة ، ص ٣٦٩ ، والحديث المذكور أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الأخذ بسنة رسول الله ، ٩ / ٩٤ ح (٧٢٨٨) .

وَخَصَصْتُ الفرائض بالذكر بعد اتباع أوامر الله من باب ذكر الخاص بعد العام؛ لأهميتها في باب الولاية ، فحديث الولاية أساسه أداء الفرائض؛ بل هي أحب الأعمال إلى الله تعالى ، قال ابن حجر رحمه الله: " أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله ، قال الطوفي: الأمر بالفرائض جازم ، ويقع بتركها المعاقبة ، وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب فكانت الفرائض أكمل فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقرّباً ، وأيضاً فالفرض كالأصل والأس ، والنفل كالفرع والبناء ، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر ، واحترام الآمر ، وتعظيمه ، بالانقياد إليه ، وإظهار عظمة الربوبية ، وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل" [(١)]، ويقول ابن عثيمين رحمه الله: " الفرائض أحب إلى الله من النوافل ، فالصلوات الخمس مثلا أحب إلى الله من قيام الليل ، وأحب إلى الله من النوافل ، وصيام رمضان أحب إلى الله من صيام الاثنين والخميس، والأيام الست من شوال وما أشبهها ، كل الفرائض أحب إلى الله من النوافل ، ووجه ذلك أن الفرائض أكّدها الله ﷻ فألزم بها العباد ، وهذا دليل على شدة محبته لها ﷻ، فلما كان يحبها حباً شديدا ألزم بها العباد ، أما النوافل فالإنسان حر ، إن شاء تنفل ، وزاد خيراً ، وإن شاء لم يتنفل؛ لكن الفرائض أحب إلى الله ، وأوكد " [(٢)] ؛ بل إن أفضل الأولياء بعد الأنبياء أبو بكر الصديق ﷺ بيّن أهمية الفريضة ، ولم يقتصر الأمر على النوافل في نصيحته لعمر بن الخطاب ﷺ عندما استخلفه على الناس ، يقول ابن الأثير رحمه الله في وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: " ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ ، وأوصاه بتقوى الله، ثم قال: يا عمر إن لله حقاً بالليل لا يقبله في النهار ، وحقاً في النهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة " [(٣)] ، ومن كان مقصرا في الفرائض ، ولا يؤديها فإنه يكون بعيداً عن ولاية الله ﷻ، إذا لم يكن له نوافل تجبرها؛ لأن النوافل تجبر الفرائض ، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُه ، فَإِنْ وُجِدَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّة ، وَإِنْ كَانَ انْتُقِصَ مِنْهَا شَيْءٌ قَال: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ يُكَمِّلُ لَهُ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَةٍ مِنْ تَطَوُّعِه ، ثُمَّ سَائِرُ الأَعْمَالِ تَجْرِي عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ** " [(٤)] ، لذلك نجد حديث الولاية قرن أمرين مهمين بعضهما ببعض الحديث يحث على الفرائض ، ثم أتبعه بالنوافل لبيان أهميتها .

---

(١) فتح الباري ، ١١ / ٣٤٣ .

(٢) شرح رياض الصالحين ، ١ / ١١٥.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ، ٣٠ / ٤١٤ .

(٤) أخرجه النسائي في سننه ، ١ / ٢٥٢ ح (٤٦٥) ، وصححه الألباني ، ٢ / ١١٠ .

خامساً: الإكثار من النوافل :

النوافل في اللغة: التطوع ، والعطايا ، والهبة ، وهي ما كان زيادة على الأصل ، على النصيب، أو على الحق ، أو على الفرض يسمى النافلة ، وسميت صلاة التطوع نافلة؛ لأنها زيادة أجر لهم على ما كتب من ثواب ما فرض عليهم ، فهي زيادة على الفرائض ، ويقال للرجل الكثير النوافل: تنفّل: صلى النوافل " [١] .

إذن النوافل: هي اسمٌ لما شُرع زيادةً على الفرائض ، والواجبات ، وهي المسمّى بالمندوب ، أو المستحب ، أو التطوع [٢] ، فالنوافل كل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من غير الفريضة ، من وجوه الخير من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج ، وعمرة ، ونفع لإخوانه المسلمين ، وإعانة للمحتاجين ، وسعي في قضاء حوائجهم .

ويختلف ثواب النوافل باختلاف أجر عملها ، فمن كان عمله أفضل كان ثوابه أكثر ، والإكثار من هذه النوافل يجعل العبد ينال محبة الله ، كما ورد: " **وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ** " [٣]، ومن حافظ على النوافل فمن باب أولى يكون محافظاً على الفرائض ، ولا يضيعها ، وهؤلاء هم أولياء الله حقا ، فأولياء الله ﷻ هم الذين يتحببون إلى الله ﷻ بما يحببهم إليه ، ويتقربون إليه بما يقربهم منه ﷻ، فعند ذلك لا تتحرك أعضاؤه إلا في طاعة الله ، ولا يرهق سمعه ، ولا يرفع صوته ، ولا يحرك لسانه إلا بالله ، وفيه وفيما يرضيه ، ولا يعمل عملاً يغضب الله ، ولا يسعى برجله إلى أمر فيه معصية الله ، والشوكاني رحمه الله يبين مثال من أسرع بالنوافل في طاعة الله بقوله: " ومثال هذا في الأفعال المشاهدة في ابن آدم أن السيد إذا أمر عبده بأن يقضي له في كل يوم حاجة أو حوائج ، وكذلك أمر من له من المماليك بمثل ذلك ، فكان أحدهم يقضي له تلك الحوائج ، ثم يقضى له حوائج أخرى يعلم أن سيده يحب قضاءها ، وتحسن لديه ، والآخرون لا يقضون له إلا تلك الحوائج التي أمرهم السيد بها ، فمعلوم أن ذلك العبد الذي صار يأتي له كل يوم بما أمره به وبغيره مما يحبه ، يستحق المحبة من السيد محبة زائدة على محبته لكل واحد منهم ، فالمراد من الحديث هذه المحبة الزائدة الحاصلة من فعله لما يحبه سيده من غير أمر منه ، مع قيامه بما قام به غيره من امتثال أمر السيد ، والتبرع بالزيادة التي لم يأمره بها " [٤] .

---

(١) تهذيب اللغة ، ١٥ / ٣٥٦ ، المعجم الوسيط ، ٢ / ٩٤٢ ، لسان العرب ، ١١ / ٦٧٠ .

(٢) القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً ، ص ٣٥٨ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ٢٢ .

(٤) انظر: ولاية الله والطريق إليها ، ص ٤١٩ بتصرف .

سادساً: الذكر :

لأهمية الذكر ، وبيان فضله ، وأجره ، ومكانته في الولاية عند أهل السنة والجماعة ، وبيان اختلافه عن الذكر عند غلاة الصوفية ، فقد جعلته سبباً خاصاً للولاية ، وهو من النوافل التي يتقرب بها إلى الله تعالى ، يقول ابن القيم رحمه الله: " إن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبا بذكره ، فإنه اتقاه في أمره ، ونهيه ، وجعل ذكره شعاره ، فالتقوى أوجبت له دخول الجنة ، والنجاة من النار ، وهذا هو الثواب والأجر ، والذكر يوجب له القرب من الله عز و جل ، و الزلفى لديه ، وهذه هي المنزلة " [(١)] .

الذكر في اللّغة: ذكر يذكره ذكراً بمعنى الحفظ للشيء تذكره ، والذكر أيضاً الشيء يجري على اللسان ، والذكر جري الشيء على لسانك ، وقلبك [(٢)] .

وفي الاصطلاح: " تمجيد الله تعالى ، وتقديسه ، وتسبيحه ، وتهليله ، والثناء عليه بجميع محامده، سواء بالقلب ، أو اللسان أو الجوارح " [(٣)] ، وعرفه المباركفوري بقوله: " الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها ، والإكثار منها ، مثل الباقيات الصالحات ، وهي: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، وما يلتحق بها من الحوقلة ، والبسملة ، والحسبلة، والاستغفار ، ونحو ذلك ، والدعاء بخيري الدنيا والآخرة ، ويطلق ذكر الله أيضا ، ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه ، أو ندب إليه كتلاوة القرآن ، وقراءة الحديث ، ومدارسة العلم ، والتنفل بالصلاة " [(٤)] .

ومن خلال ما سبق من تعريفاتٍ للذكر يتضح حقيقة تقسيم الذكر بين العلماء إلى أقسام ، وهي: ذكر القلب ، وذكر اللسان ، وذكر الجوارح ، وليس كما زعم غلاة التصوف أن الذكر مقصور فقط على ذكر القلب واللسان ، مع المبالغة في ذكر القلب ، يقول ابن القيم رحمه الله: " والذكر منشور الولاية ، الذي من أعطيه اتصل ، ومن منعه عزل ، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً ، وعمارة ، ديارهم التى إذا تعطلت عنه صارت بوراً ، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق ، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق ، ودواء

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م) ، ص ٩٦ .

(٢) انظر: لسان العرب ، ٤ / ٣٠٨ ، سبل السلام ، تأليف: محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الرابعة (١٣٧٩هـ– ١٩٦٠م) ، باب فضل الذكر ، ٤ / ٢١٢ .

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ، ١ / ١٦١٣ .

(٤) تحفة الأحوذي ، ٩ / ٢٢٢ .

أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب ، والسبب الواصل ، والعلاقة التي كانت بينهم ، وبين علام الغيوب ، إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات ، وتهون عليهم به المصيبات ، إذا أظلمهم البلاء فإليه ملجؤهم ، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقبلون ، ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون ، يدع القلب الحزين ضاحكاً مسرورا ، ويوصل الذاكر إلى المذكور؛ بل يدع الذاكر مذكورا ، وفي كل جارحةٍ من الجوارح عبوديةً مؤقتة ، والذكر عبودية القلب ، واللسان ، وهي غير مؤقتة؛ بل هم يأمرون بذكر معبودهم ، ومحبوبهم في كل حال: قياماً ، وقعوداً ، وعلى جنوبهم ، فكما أن الجنة قيعان ، وهو غراسها فكذلك القلوب بور وخراب ، وهو عمارتها ، وأساسها ، وهو جلاء القلوب ، وصقالها ، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها ، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً ازداد المذكور محبةً إلى لقائه ، واشتياقا ، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء ، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء ، به يزول الوقر عن الأسماع ، والبَكم عن الألسن ، وتتقشع الظلمة عن الأبصار ، زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين ، فاللسان الغافل كالعين العمياء ، والأذن الصماء ، واليد الشلاء ، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه ، وبين عبده ، ما لم يغلقه العبد بغفلته " [(١)] ، ومن أعظم ما يتقرب به إلى الله تعالى لمن يريد الوصول إلى مرتبة الولاية: كثرة تلاوة كلام الله، وسماعه بتفكر وتدبر وتفهم ، فعن هلال بن يساف عن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :" **أَحَبُّ الْكَلامِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرْبَع: لا إِلَهَ إِلا اللَّه ، واللَّهُ أَكْبَر ، وسُبْحَانَ اللَّه ، والْحَمْدُ لِلَّهِ لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ** " [(٢)] ، وقال خباب ﷺ لرجل: " تقرب إلى الله ما استطعت ، واعلم أنك لم تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه " [(٣)] ، وإذا ذكر العبد الله تعالى ، ولو بغير القرآن ، فقد تقرب لولاية الله تعالى ، فالله تعالى يقول:﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ [البقرة:١٥٢] ، وقال تعالى:﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا**

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المشهور بابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ – ١٩٧٣ م)، ٢ / ٤٢٣ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، أول مسند البصريين ،من حديث سمرة بن جندب ، ٣٣ / ٣٧٥ ح (٢٠٢٣٦) ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح إن كان هلال بن يساف سمعه من سمرة .

(٣) حلية الأولياء ، ٩ / ١١٩ .

عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥] ، و" أولياء الله هم الذين يذكر الله لرؤيتهم " [(١)] ، وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " **أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُم ، وأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُم ، وأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُم ، وخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَب ، والْوَرِق ، وخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُم ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُم ، ويَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا: بَلَى ، قال: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى**" [(٢)] ، وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ : يقول الله تعالى:" **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُم ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**" [(٣)] ، قال الصنعاني رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: " وهذه معية خاصة تفيد عظمة ذكره تعالى ، وأنه مع ذاكره برحمته ، ولطفه ، وإعانته ، والرضا بحاله " [(٤)] ، والذكر ليس مقصوراً على أشخاص معينين ، أو وقت معين ، فالنبي ﷺ كان يذكر الله تعالى في كل أحيانه ، كما قالت عائشة رضي الله عنها: " **أن النبي ﷺ كَانَ يَذْكُرُ اللهَ فِي كُلِّ أَحْيَانِهِ**" [(٥)] ، وإن كان هناك أذكار مخصوصة بعدد معين ، ووقت معين ، كأذكار الصلاة ، وأذكار الصباح ، وغيرها مما ورد فيها أحاديث صحيحة تبين وقوفها على الشرع دون مغالاة فيها ، أو مبالغة ، فالله تعالى يقول:**﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** [الحشر:٧] ، ويقول النووي رحمه الله: " اعلم أنّ الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها واجبةً كانت ، أو مُسْتَحَبّة ، لا يُحْسَبُ شيء منها ، ولا يُعْتَدُّ بِهِ حتّى يتلفَّظ به بحيث يُسمِعَ نفسَه إذا كان صحيح السمع لا عارض لــه " [(٦)] ، وقال أيضاً رحمه الله: " أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب ، واللسان للمحدث ، والجنب ، والحائض، والنفساء ، وذلك في التسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، والتهليل ،

---

(١) أخرجه أبي نعيم في " الحلية " (١ / ٦) ، وأورده الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة ، قــال الألبــاني:" الحديث حسن ، لاسيما و له شواهد من حديث عمرو بن الجموح ، و سعد بن أبي وقاص و أسماء بنت يزيد .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات عن رسول الله ، باب منه ، ٥ / ٤٥٩ح (٣٣٧٧)، وصــححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ، ٧ / ٣٧٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعــالى " ويحــذركم الله نفــسه " ، ٩ / ١٢١ ح (٧٤٠٥) .

(٤) سبل السلام ، ٤ / ٢١٣ .

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده ، ٨ / ٣٥٥ ح (٤٩٣٧) ، قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح .

(٦) الأذكار ، ص ٢٩ .

والصلاة على رسول الله ﷺ ، والدعاء ، وغير ذلك " [١] ، ولا يقتصر الذكر فقط على التسبيح ، والتهليل ، وغيره باللسان وحده ، أو بالقلب وحده كما يدعي غلاة الصوفية ، فالذكر يشمل ارتباط القلب مع اللسان ، وإن خشي على نفسه الرياء فبالقلب وحده ، قال النووي رحمه الله: " الذكر يكون بالقلب ، ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعا ، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل ، ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء؛ بل يذكر بهما جميعاً ، ويقصد به وجه الله تعالى ، وقال ابن القيم رحمه الله: " الذكر يكون بالقلب واللسان تارة ، وذلك أفضل الذكر ، وبالقلب وحده تارة ، وهي الدرجة الثانية ، وباللسان وحده تارة ، وهي الدرجة الثالثة، فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان ، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده ؛ لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ، ويهيج المحبة ، ويثير الحياء ، ويبعث على المخافة ، ويدعوا إلى المراقبة " [٢] ، وهذا ردٌ على من قال بأن الذكر القلبي مهماً في طريق الولاية ، ولا يقتصر الذكر أيضاً فقط على القلب ، واللسان، أو أحدهما فقط؛ بل يشمل أيضاً الجوارح ، يقول ميمون بن مهران: " ذكر الله باللسان حسن ، وأفضل منه أن يذكر الله العبد عند المعصية فيمسك عنها " [٣] ، فالله تعالى يذكر من ذكره كما سبق في الحديث القدسي: " **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي** ... " الحديث، فالذكر له فوائد عظيمة ، وجليلة ذكرها ابن القيم رحمه الله في كتابه الوابل الصيب ، ومدارج السالكين ، وغيره من علماء السلف .

سابعاً: الموالاة في الله ، والمعاداة فيه :

الولاء والبراء قاعدة من قواعد الدين ، وأصل من أصول الإيمان والعقيدة ، فلا يصح إيمان شخص بدونهما ، فيجب على المرء المسلم أن يوالي في الله ، ويحب في الله ، ويعادي في الله ، فيوالي أولياء الله ، ويحبهم ، ويعادي أعداء الله ، ويتبرأ منهم ويبغضهم؛ لأن الولاء والبراء من لوازم الحب في الله والبغض في الله ، فكيف سيظهر المؤمن محبته لإخوانه دون موالاتهم ؟! ، وكيف سيظهر عداوته وبغضه للكفار ، وللمنافقين دون البراءة من أعمالهم ؟! .

الولاء: من الولاية بمعنى المحبة ، والقرب ، وسبق تعريف الولاية لغة [٤] .

---

(١) الأذكار ، ص ٢٦ .

(٢) الوابل الصيب ، ١ / ١١٧.

(٣) جامع العلوم والحكم ، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ) ، ص ٩٦ .

(٤) سبق تعريف الولي والولاية لغةً في الرسالة ، ص ١٤ .

البراء: من برأ بمعنى التباعد من الشيء ، والتخلص منه [١] .

فالولاء: أن تعطي محبتك ، ونصرتك ، وولاءك لدين الله ﷻ، ولله ، ولرسوله ﷺ ، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥] ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: " **يا أبا ذر أي عرى الإيمان أوثق ؟ قال: الله ورسوله أعلم ، قال:** " **الموالاة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله** " [٢] ؛ بل إن من أسباب حلاوة الإيمان حب المسلم لأخيه المسلم من أجل الله ﷻ، كما جاء عن أنس ؓ عن النبي ﷺ قال: **ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّه ، وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّه ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**" [٣] ، ويجب على المؤمن كي يكون ولياً لله: البراء من الكفار ، والمنافقين ، فالبراء من الكفر ، وأهله من الأسس التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية .

والمقصود من البراء: هو البعد عن الكفار ، وقطع الصلة بهم ، وكره ما يفعلونه ، ومعاداتهم ، والغضب لدين الله ، فلا يصح إيمان المرء حتى يوالي أولياء الله ، ويعادي أعداءه ، ويتبرأ منهم، ولو كانوا أولي قربى ، يقول ابن الجوزي رحمه الله: " ومن أراد أن يعلم هل هو من أولياء الله فلينظر كيف ولاءه لمن أولاه ، وعداوته لمن عاداه " [٤] ، فمن أراد أن ينال ولاية الله، ويتحصل عليها فيجب عليه أن يحب في الله ، ويوالي في الله ، ويبغض في الله ، ويعادي في الله، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنما ينال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان ، وإن كثرت صلاته ، وصومه حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً " [٥] ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة:٢٣] ، فيجب على المسلم موالاة المؤمنين ، ونصرتهم ، والدفاع عنهم ، ومحبتهم ، يقول ابن تيمية رحمه الله:

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ، ١ / ٢٣٦ ، وانظر: تهذيب اللغة ١٥ / ٢٦٩ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ٩٥ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ٩٦ .

(٤) التذكرة في الوعظ ، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي ، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م) ، ص ١٨ .

(٥) جامع العلوم والحكم ، ص ٣٤ .

" ولا يتم لمؤمن ذلك إلا بأن يجمع بين ما جمع الله بينه ، ويفرق بين ما فرق الله بينه ، وهذه حقيقة الموالاة ، والمعاداة التي مبناها على المحبة والبغضة ، فالموالاة تقتضى التحاب والجمع ، والمعاداة تقتضى التباغض والتفرق ، ومن صور الولاء: المحبة بين المسملين ، والتزاور ، والتراحم بينهم ، وتفريج كربهم ، قال تعالى:﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا** ﴾ [الفتح:٢٩]، وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول اللّه ﷻ: " **رحماء بينهم** ": يعني متوادّين بينهم ، يدعو صالحهم لطالحهم ، إذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال: اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير ، وثبته عليه ، وانفعنا به ، وإذا نظر الصالح إلى الطالح من أمة محمد ﷺ قال: اللهم أهده، وتب عليه ، واغفر له " (١) .

ثامناً: الجهاد في سبيل الله:

يعد الجهاد في سبيل الله من أهم أسباب نيل ولاية الله ﷻ، و يتضح ذلـك مـن خـلال الحديث عنه فيما يلي:

الجهاد لغةً: من الجَهد بالفتح وهو الطاقة والمشقة والوسع (٢) .

اصطلاحاً : جمع ابن تيمية رحمه الله في تعريفه للجهاد ليشمل جهاد الكفار وغيرهم؛ لأن المعنى الشائع هو قتال الكفار فقط ، وعليه فتعريف ابن تيمية رحمه الله للجهاد هو:" هو بذل الوسـع – وهو القدرة – في حصول محبوب الحق ، ودفع ما يكرهه الحق" (٣) .

وعليه فيدخل في معنى الجهاد: جهاد الكفار ، وغيرهم من المنافقين ، والفرق الضالة بكل دليل واضح مبني على القرآن والسنة ، وكذلك جهاد النفس على الطاعة ، ومحاربة الهوى ، والشيطان يعتبر من أنواع الجهاد ، فعن فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ ﷺ قَال:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ:" **أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟، مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِم ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِه ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّه ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا**

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، تأليف: محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي ، تحقيق: د .عاصم إبراهيم الكيالي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنـان الطبعة الثانية (١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥ م) ، ٢ / ٢٣٨.

(٢) انظر لسان العرب ، ٣ / ١٣٣ ، معجم مقاييس اللغة ، ١ / ٤٨٧ .

(٣) مجموع الفتاوى ، ١٠ / ١٩٢ .

وَالذُّنُوبَ " [(١)] ، يقول ابن القيم رحمه الله: " لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام ، وقبته ، ومنازل أهله أعلى المنازل فى الجنة ، كما لهم الرفعة في الدنيا ، فهم الأعلون في الدنيا والآخرة ، كان رسول الله ﷺ فى الذروة العليا منه ، واستولى على أنواعه كلها فجاهد في الله حق جهاده بالقلب، والجنان ، والدعوة، والبيان ، والسيف ، والسنان(الرمح) ، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد ، بقلبه ، ولسانه ، ويده، ولهذا كان أرفع العالمين ذكرا " [(٢)] ، فابن القيم رحمه الله بين أن هؤلاء المجاهدين هم أعظم قدرا وأشرف مكانة بين المسلمين ، ومعية الله معهم سواء جهاد بالسيف ، أو غيره من الأنواع ، وقال يحيى بن معاذ في صفة الأولياء: " هم عباد تسربلوا بالأنس بالله تعالى[(٣)] بعد المكابدة ، واعتنقوا الروح بعد المجاهدة،بوصولهم إلى مقام الولاية " [(٤)] فالله تعالى يدافع عن أوليائه المجاهدين الصادقين المتقين الصابرين ، والجهاد دليل المحبة لله تعالى والولاء له ، يقول ابن تيمية رحمه الله في فضل الجهاد: " والنصوص في فضائل الجهاد وأهله كثيرة ، وقد ثبت أنه أفضل ما تطوع به العبد ، والجهاد دليل المحبة الكاملة ، قال تعالى:﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [التوبة:٢٤] ، وقال تعالى في صفة المحبين المحبوبين:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [المائدة:٥٤] ، فوصف المحبوبين المحبين بأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، وأنهم يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، فإن المحبة مستلزمة للجهاد؛ لأن المحب يحب ما يحب محبوبه ، ويبغض ما يبغض محبوبه ، ويوالي من يواليه ، ويعادي من يعاديه ، ويرضى لرضاه ، ويغضب لغضبه ، ويأمر بما يأمر به ، وينهى عما ينهى عنه

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، باقي مسند الأنصار ، مسند فضالة بن عبيد الأنصاري ، ٣٩ / ٣٨٧ ح (٢٣٩٦٧) ، وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) ، ٣ / ٥ .

(٣) الرسالة القشيرية ، ص ١١٧ .

(٤) الأنس بالله : هو الاعتماد عليه ، والسكون إليه ، والاستعانة به ، ولا يتهيأ أن يعبر عنها بأكثر من هذا ، (انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ١٠٤) .

فهو موافق له في ذلك ، وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ، ويغضب لغضبهم ، إذ هم إنما يرضون لرضاه ، ويغضبون لما يغضب له، كما قال النبي ﷺ لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال ﷺ أجمعين:"**يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّك ، فَأَتَاهُمْ أبو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ ؟ قَالُوا:لا ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أُخَيَّ**" (١)، ويؤكد كلام ابن تيمية في آخره حديث الولاية: " **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ** ..." (٢) ، فإن الله تعالى يحارب من يحارب أولياءه ، يقول علي بن أبي طالب ﷺ: " الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء " (٣) ، فالجهاد سبباً لهداية الله تعالى لأوليائه ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" ولهذا كان الجهاد موجباً للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم، كما دل عليه قوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت:٦٩] ، فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى ، ولهذا قال عبد الله بن المبارك ، وأحمد بن حنبل وغيرهما: " إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثَغْر فإن الحق معهم ؛ لأن الله يقول:﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [العنكبوت:٦٩] " (٤) ، ويقول صاحب تفسير الخازن: " وقال أبو بكر الأصم (٥) : أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم ، وتولوا القيام بحق العبودية لله ، والدعوة إليه " (٦) ، والصحابة ﷺ ، وهم أفضل جيل الأولياء بايعوا على الجهاد في سبيل الله ﷻ؛ لأنهم علموا أنه أفضل الأعمال ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ:" أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ **قال: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِه ، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قال: ثُمَّ الْجِهَادُ**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل سلمان وصهيب رضي الله عنهما ، ٧ / ١٧٣ ح (٦٥٦٨) .

(٢) سبق تخريجه ، ص ٢٢ .

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، تأليف: أحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية – بيروت ، ص ٤٢٧ .

(٤) مجموع الفتاوى ، ٢٨ / ٤٤٢ ، معنى الثَغْر: الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار ، (انظر: لسان العرب ، ٤ / ١٠٣) .

(٥) تفسير الخازن ، ٣ / ١٩٧ .

(٦) المصدر السابق ، ٣ / ١٩٧ .

فِي سَبِيلِ اللَّه ، **قِيل: ثُمَّ مَاذَا ؟ قال: ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ** " (١) ، فالجهاد من أفضل الأعمال ، قال الخرقي رحمه الله: " قال أبو عبد الله – أي الإمام أحمد –:" لا أعلم شيئاً من الأعمال بعد الفرائض أفضل من الجهاد " (٢) ، ويقول ابن رجب رحمه الله: " وهذا يدل على أنه– أي الجهاد– أفضل الأعمال بعد الفرائض " (٣) ، والله تعالى تكفل ، وضمن لمن خرج في سبيله، لتبليغ دينه ، وجهاداً فيه أن يحفظه سالماً ، أو يرزقه الشهادة ، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" **انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِه ، لا يُخْرِجُهُ إِلا إِيمَانٌ بِي ، وتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْر ، أَوْ غَنِيمَة ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّة، وَلَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّة، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّه ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَل ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ** " (٤) ، وقال تعالى:﴿ **وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [النساء:١٠٠] ، جاء في تفسير ابن عطية رحمه الله: " فمن خرج من بيته راجيًا فضل ربه ، قاصدًا نصرة دينه ، يجد في الأرض مكانًا ينعم فيه بما يكون سببًا في قوّته ، وذلة أعدائه ، مع السعة في رزقه ، وعيشه، ومن يخرج من بيته قاصدًا نصرة دين الله ، ورسوله ﷺ ، وإعلاء كلمة الله ، ثم يدركه الموت بسبب الشهادة في الجهاد ، فقد ثبت له جزاء عمله على الله ، ووقع له الثواب من الله ﷻ، يقول ابن عطية: " الآية حكم باق في الجهاد ، والمشي إلى الصلاة ، والحج ، ونحوه " (٥)، ويقول النسفي في تفسيره: " كل هجرة لطلب علم ، أو حج ، أو جهاد ، أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة ، أو قناعة ، أو زهدا ، أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله ، ورسوله ، وإن أدركه الموت في طريقه فقد وقع أجره على الله " (٦) ، فالباب مفتوح لمن نصر دين الله ، وليس

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ١٣ / ٣٣ ح (٧٥٩٠) ، تعليق شعيب الأرنئوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٢) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، تأليف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ) ، ٩ / ١٦٤ .

(٣) جامع العلوم والحكم ، ص ٢٧٤ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الجهاد من الإيمان ، ١ / ١٦ ح (٣٦) .

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – لبنان ، الطبعة (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م) ، ٢ / ١٠١ .

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، المسمى تفسير النسفي ، ١ / ٢٣٦ .

مقصوراً فقط على الصحابة ﷺ ، قال تعالى:﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴾ [النساء:٨٤] ، فالمؤمن سنده قوي؛ لأنه يستمد قوته من الله الذي تولاه ، وحفظه ، ورعاه ، والكفر ضعيف؛ لأن وليه الشيطان ، وهكذا يتبين أهمية الجهاد في حياة المسلم ، وأنه من أسباب نيل ولاية الله تعالى .

المبحث الرابع

مكانة الولاية

المطلب الأول: مكانة الولاية عند غلاة الصوفية.

المطلب الثاني: مكانة الولاية عند أهل السنة والجماعة.

المطلب الأول

مكانة الولاية عند غلاة الصوفية

لقد عني غلاة الصوفية بالحديث عن الولاية عناية بالغة ظهرت من خلال أقوالهم ، ومما يدل على ذلك قول الهجويري [١] : " اعلم أن قاعدة ، وأساس طريق التصوف ، والمعرفة تقوم على الولاية ، وإثباتها ؛ لأن جميع المشايخ متفقون في حكم إثباتها ، غير أن كلامهم حول ذلك بعبارات مختلفة " [٢] ، ويعلق صاحب درة الأسرار على قول الهجويري بقوله: " ويدلنا هذا النص ، وأمثاله على أهمية الولاية لدى الصوفية فهي عندهم أساس التصوف ، وجوهره ، وهي غاية من أعظم غاياته حيث يسعى الصالحون المخلصون من الصوفية إلى الوصول إليها ، والتحقق بمقامها ، وقد نظر بعض الباحثين إلى التصوف على أنه مدرسة تخرج الأولياء ، وقد تحدث الصوفية عن الولاية ، وتعريفها، وشروطها ، وطريقها ، وعطاء الله لأصحابها ، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليًا: يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء ، والاستيفاء ، ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء ، والضراء ، وقد تنوعت أقوال الصوفية عن الولاية فبعضهم يلاحظ جانب البدايات ، والأعمال ، والمجاهدات ، وقد يلاحظ بعضهم جانب النهايات ، والثمرات ، والعطاء ، وقال أبو علي الجوزجاني [٣] : " الولي هو الفاني في حاله ، الباقي في مشاهدة الحق سبحانه ، تولى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التولي ، وقال يحيى بن معاذ في صفة الأولياء: هم عباد تسربلوا بالأنس بالله تعالى بعد المكابدة ، واعتنقوا الروح بعد المجاهدة ، بوصولهم إلى مقام الولاية" [٤] ، ويضيف أيضاً: "وقد يأتي حديث بعضهم عن الولاية إجابة على سؤال وتوضيحاً لفكرة ، أو رداً على اعتراض ، وإزالة لشبهة ، وعلى هذا النحو تواردت أفكار الصوفية حول الولاية ، وتكاملت آراؤهم فيها ، وتحددت اتجاهاتهم إزاءها ، ومن

---

(١) هو أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري ، المتوفى تقريباً سنة ٤٦٥ هـ ، عالم الصوفي ، له كتاب كشف المحجوب ، انظر: التصوف المنشأ والمصادر ، ص ٣١ .

(٢) درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ١٤ .

(٣) هو الحَسنُ بن علي ، من كبار مشايخ خُراسان ، له التصانيفُ المشهورة ، تكلَّم في علوم الآفات ، والرِّياضات، والمجاهدات ، وربَّما تكلَّم أيضاً في شيء من علوم المعارف ، والحِكم ، صَحِب محمد بنَ علي التِّرْمِذِي ، ومحمد بنَ الفَضْل ، وهو قريب السِّن منهم ، انظر: طبقات الصوفية ، تأليف أبو عبد الرحمن السلمي، ص ٧٨ .

(٤) درة الأسرار ، ص ١٤ .

هذه المسائل ما يتعلق بأصل الولاية ، وأساسها ، وهل هو الاصطفاء ، والاجتباء المطلق ، أو هو الاصطفاء المرتبط بالعمل ، والمجاهدة ، وهي مسألة تتعلق بالدخول في الطريق ، والترقي في منازله ، ودرجاته " (١) ، والاصطفاء عند غلاة الصوفية أن يفرغ الحق تعالى قلب العبد لمعرفته حتى تنشر معرفته صفاءها فيه ، وجميع المؤمنين الخاص منهم ، والعام سيان في هذه الدرجة من عاصٍ، ومطيع ، وولى ، ونبي ، بحيث يشترك الجميع في الاصطفاء (٢) ، والاجتباء هو حال المحبوب بغير كسب العبد ، فهو منحة من الله سبحانه للعبد ، فيكشف لهم الحجاب ، ويتلذذون في العبادة (٣) ، وقد جعلوا العلم اللدني يتساوى فيه النبي مع الولي ، وينقل لنا الدكتور رفيق العجم ذلك فيقول عنهم ، العلم اللدني: هو علمٌ أقوى ، وأحكم من العلوم المكتسبة المحصلة بالتعلم ، وهو الذي لا واسطة في حصوله بين النفس ، وبين الباري ، ويقع على قلب صافي فارغ لطيف ، ويكون لأهل النبوة والولاية (٤) ، ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في وصف غلاة الصوفية: " العلم اللدني نسبة في زعمهم إلى قوله تعالى عن الخضر: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥] ، وهو بمعنى الفيض عندهم ، ويعنون بكل ذلك انفتاح علم الغيب ، وحقائق الدنيا والآخرة عليهم ، وأن الله سبحانه هو الذي أوحى إليهم بهذا " (٥) .

من خلال ما سبق في بيان مكانة الولاية ، والأولياء عند غلاة الصوفية ، وتعظيم أمر الولي ، وسبق الحديث عن طرق تحصيل الولاية ، والرد عليه ، وكذلك الفرق بين النبوة ، والولاية ، وهنا نجد تعظيم غلاة الصوفية للأولياء وتحصيلهم للاجتباء محصور فقط بطريق المجاهدات والرياضات التي يمارسونها ، وكذلك جعلوا العلم اللدني مشترك بين الأنبياء ، والأولياء ، في حين النبوة اصطفاء ، واجتباء من الله تعالى دون كسب ، فهل يعقل أن يترقى العبد ، وينال رضا الله تعالى بدون عمل ، ولا كسب ، ثم كشف الحجاب يتعارض مع عقيدة المسلم الصحيحة ، التي مبناها على القرآن ، والسنة ، وكذلك التلذذ في العبادة يكون نتيجة الأعمال الصالحة ، وذكر الله قال تعالى : ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، فكيف يتلذذ في العبادة بدون كسب وعمل؟ ، بل الذي يبتعد عن أعمال الخير تكون عيشته ضنكاً ، مصداقاً لقوله تعالى: ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ، وقال تعالى: ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض

---

(١) درة الأسرار ، ص ١٥ .

(٢) انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ٦٦ .

(٣) انظر: المصدر السابق ، ص ٩ .

(٤) انظر: المصدر السابق ، ص ٦٧٣ ، ص ٦٧٤ بتصرف .

(٥) الفكر الصوفي ، ص ٧٨ .

له شيطاناً فهو له قرين ، وسيأتي الحديث عن خصائص الأولياء ، وصفاتهم عند غلاة الصوفية، وسيكون الرد عليهم بإذن الله .

المطلب الثاني

مكانة الولاية عند أهل السنة والجماعة

الولاية لها أهمية كبيرة في الإسلام؛ لأنها علاقة متبادلة بين العبد ، وربه سبحانه ، وقد تحدث القرآن الكريم عن الولاية والأولياء ، وقد وردت ألفاظ الولاية بمشتقاتها في جانب أولياء الله ، وفي جانب أعداء الله ، وقد سبق الحديث عن مكانة الولاية عند غلاة الصوفية ، أما ولاية الله للمؤمنين تعني رحمته ، وإحسانه لهم ، ومحبته ، ونصرته لأوليائه تأييداً منه لهم ، والله تعالى غني عن عباده ، والخلق جميعهم يحتاجون إلى ولاية الله تعالى ، والخلق يحتاجون من ينصرهم ، قال تعالى:﴿ وَقُلِ الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١]، ولأهميتها فقد ورد ذكرها في كثير من آيات القرآن الكريم ، وهنا أشير إلى بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: ولاية الله للمؤمنين بمعنى ولاية حفظ ، ومحبة ، ونصرة للمؤمنين :

فالقرآن الكريم تناول ذكر الولاية بمعنى الحفظ ، والعناية الخاصة بأهل الإيمان ، ومن الآيات التي تناولت هذه الولاية ، قال تعالى:﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[البقرة:٢٥٧]: أي أن الله تعالى وليهم ، ونصيرهم يتولاهم بعونه ، وتوفيقه ، وقال تعالى:﴿ إِنَّ اللهَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: ١١٦] : أي ليس لكم من يتولاكم إذا تخلى عنكم ، وليس لكم من ينصركم إذا خذلكم ، فلذا وجبت طاعته ، والتوكل عليه ، وحرم الالتفات إلى غيره من سائر خلقه ، قال تعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد:١١] ، فالله تعالى مولى المؤمنين ناصرهم ، ومعينهم، والكافرين لا مولى لهم من الله ، ولا ناصر لهم يدفع عنهم ، وللشيخ سيد قطب رحمه الله كلام جميل في مقارنة من يتولاه الله تعالى ، ومن لم يكن الله معه ، حيث يقول: " ومن كان الله مولاه ، وناصره فحسبه ، وفيه الكفاية ، والغنى ، وكل ما قد يصيبه إنما هو ابتلاء وراءه الخير ، لا تخلياً من الله عن ولايته له ، ولا تخلفاً لوعد الله بنصر من يتولاهم من عباده ، ومن لم يكن الله مولاه فلا مولى له ، ولو اتخذ الإنس والجن كلهم أولياء ، فهو في النهاية مضيع عاجز ، ولو تجمعت له كل أسباب الحماية ، وكل أسباب القوة التي يعرفها الناس " (١) ؛ بل إنّ

(١) في ظلال القرآن ، تأليف: سيد قطب إبراهيم ، دار الشروق ـــ القاهرة ، ٦ / ٤٤٥ .

الظالمين محرومون من ولاية الله لهم ، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [الشورى: ٨] ، يقول الطبري رحمه الله: " والكافرون بالله ما لهم من ولي يتولاهم يوم القيامة ، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم ، فينقذهم من عذابه ، ويقتص لهم ممن عاقبهم " [١] .

ثانياً: الولاية سبب للحفاظة من الضلال ، والخذلان :

قال تعالى:﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [الشورى: ٤٤] ، قال الطبري رحمه الله: " ومن خذله الله عن الرشاد ، فليس له من ولي يليه ، فيهديه لسبيل الصواب ، ويسدده من بعد إضلال الله إياه " [٢] ، وقد حرم القرآن الكريم اتخاذ الكافرين أولياء ، ولو كانوا آباءً ، أو إخواناً، أو عشيرة ، قال تعالى:﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨]، فالله تعالى في هذه الآية يحذر من موالاة الكفار ، فقد نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين ، أو يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ، ومن يرتكب ما نهى الله عنه في هذا فقد برئ من الله ، وبريء الله منه ، ولقد حذر الله سبحانه مِن موالاتهم حتى لو كانوا أقرب الأقرباء للإنسان ، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ ﴾ [التوبة: ١٢٣] ، قال القرطبي:" ظاهر هذه الآية أنها خطاب لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين،والكافرين " [٣] ، وحذر القرآن أيضاً من موالاة الظالمين ، قال تعالى:﴿ وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[الجاثية: ١٩] ، كما ذكر القرطبي رحمه الله:" وبما أن الله تعالى ولي المتقين فإنه يحميهم من الظالمين الذين يتوالون ضد أولياء الله ، ومن هم الظالمون ؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أن المنافقين أولياء اليهود " [٤] ، ويقول الطبري رحمه الله: " يقول تعالى ذكره: والله يلي من اتقاه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه بكفايته ، ودفع من

(١) تفسير الطبري ، ٢١ / ٥٠٥ .
(٢) المصدر السابق ، ٢١ / ٥٥١ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ٨ / ٩٣ .
(٤) المصدر السابق ، ١٦ / ١٦٤ .

أراده بسوء ، يقول جل ثناؤه لنبيه ﷺ فكن من المتقين ، يكفك الله ما بغاك ، وكادك به هؤلاء المشركون ، فإنه ولي من اتقاه ، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره، وإن كثر عددهم؛ لأنهم لن يضروك ما كان الله وليك، وناصرك" [١] ، فالله ولي المتقين معهم ينصرهم على من ظلمهم، وحذر من الركون للمشركين الظالمين لأنفسهم ، حيث قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ** ﴾ [هود: ١١٣]، يقول الطبري رحمه الله: " فمن سار على تلك الطريق ، وهي الركون للمشركين من اليهود ، وغيرهم فالله تعالى سيترك ، ولايته ، وعنايته له ، فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله؛ بل يخليكم من نصرته ، ويسلط عليكم عدوكم " [٢] ، ومن يسير في طريق الغواية ، والضلال ، وموالاة غير المؤمنين ، فإن الله تعالى يسلط عليه الشياطين ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾[الأعراف: ٢٧]، فتسليط الشيطان لا يكون على أولياء الله بل على غير المؤمنين ، والشيطان يكون وليه، ويطيعه فيما يزين له، قال الألوسي: " أي قرناء لهم مسلطين عليهم متمكنين من إغوائهم بما أوجدنا بينهم من المناسبة، أو بإرسالهم عليهم، وتمكينهم منهم"[٣]، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ الله فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا**﴾[النساء: ١١٩]، قال الإمام الرازي رحمه الله:" المعنى أنه إذا فعل ما أمره الشيطان به ، وترك ما أمره الرحمن به صار كأنه اتخذ الشيطان ولياً لنفسه ، وترك ولاية الله " [٤] ، وذكر الله تعالى أولياء الشيطان فقال: ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[آل عمران: ١٧٥] ، قال ابن كثير رحمه الله: " أي يخوفكم أولياءه ، ويوهمكم أنهم ذوو بأس ، وذوو شدة ، قال الله تعالى: " **فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** "، أي: إذا سول لكم ، وأوهمكم فتوكلوا علي ، والجئوا إلي ، فأنا كافيكم ، وناصركم عليهم ، كما قال تعالى:﴿ **أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ**﴾ [الزُّمر:٣٦] " [٥] .

---

(١) تفسير الطبري ، ٢٢ / ٧١ .
(٢) المصدر السابق ، ١٥ / ٥٠٠ .
(٣) روح المعاني ، ٦ / ١٤٩ .
(٤) تفسير الرازي ، ١١ / ٤٠ .
(٥) تفسير ابن كثير ، ٢ / ١٧٢ .

ثالثاً: شرف نسبة الولاية لله تعالى :

فالولي المنسوب ولايته لله تعالى يتشرف بنسبه لله تعالى عندما يكون ولياً لله ، كما يقال: عبد الله ، وبيت الله ، وكذا ولي الله ، وأي نسب أعظم من أن ينتسب المسلم لله تعالى ؟! فيوسف عليه السلام ، كما ورد في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام :﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١] ، فالله عز وجل إذا والى عبدًا فإنه يحبه ، وينصره ، ويعزه ، ويكرمه ، ويجعل له مكانة ، ومنزلة عظيمة عنده ، كما قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤] ، يقول ابن كثير رحمه الله: " يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة أن من تولى عن نصرة دينه ، وإقامة شريعته ، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه ، وأشد منعة ، وأقوم سبيلا ، كما قال تعالى:﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٨] " [١]، وأيضاً في حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق: " **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا ...**" بيان مَنْزِلَة الولي ، وعظيم قدره ، وخطورة التعرض له بالأذى والعداء ، فمن عادى أولياء الله بظلم ، أو غيره فقد أعلن الله عليه الحرب ، " **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ** " [٢] ، فمُعاداة الأولياء الأتقياء فيه إعلانُ الحرب من الله على هؤلاء؛ لأنه خالف أمر الله بحربه لأوليائه ، وكل من خالف أمر الله ينال عقاب الله تعالى إن لم يتب .

رابعاً: يخرج الله أولياءه من الظلمات إلى النور :

قال تعالى:﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة:٢٥٧] ، والمقصود يخرجهم من الضلالة للهداية ، وينير لهم الطريق طريق الحق ، والخير ، وهي ثمرة ولايته تعالى للمؤمنين ، وهي إخراجه لهم من الظلمات إلى النور ، يقول ابن كثير رحمه الله: " يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر ، والشك، والريب إلى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير ، وأن الكافرين إنما وليهم الشياطين

(١) تفسير ابن كثير ، ٣ / ١٣٥ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ٢٢ .

تزين لهم ما هم فيه من الجهالات ، والضلالات ، ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر ، والإفك" [(١)].

خامساً: الطمأنينة :

قال تعالى:﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [يونس:٦٢] ، المعنى: " ألا إن أولياء الله الذين صدق إيمانهم ، وحسن عملهم ، لا خوف عليهم من أهوال الموقف ، وعذاب الآخرة ، ولا هم يحزنون على ما تركوا وراءهم من الدنيا؛ لأن مقصدهم الأسمى رضا الله سبحانه ، فمتى فعلوا ما يؤدي إلى ذلك هان كل ما سواه ، والسر في هذه الطمأنينة أن قلوبهم كانت في الدنيا غامرة بمخافة الله ، فأقاموا ليلهم ، وأظمأوا نهارهم ، واستعدوا ليوم الوقوف بين يدي الله ، فقد حكى عنهم ربهم أنهم كانوا يقولون: ﴿ **إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** ﴾ [الإنسان:١٠] ، ومن كان حاله كذلك فإن الله يقيه من شر ذلك اليوم ويؤمنه ، ﴿ **فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا** ﴾ [الإنسان:١١-١٢] " [(٢)] ، يقول سيد قطب رحمه الله: " وكيف يخاف أولياء الله ، أو يحزنون ، والله معهم هكذا في كل شأن ، وفي كل عمل ، وفي كل حركة ، أو سكون ؟ وهم أولياء الله المؤمنون به الأتقياء المراقبون له في السر والعلن " [(٣)] ، فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: **قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ : " **إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاء ، والشُّهَدَاء ، قِيلَ: مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ ؟، قَالَ: قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللهِ** ﷻ **مِنْ غَيْرِ أَرْحَام ، وَلاَ أَنْسَاب ، وُجُوهُهُمْ نُور ، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُور ، لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاس ، وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاس ، ثُمَّ قَرَا: أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** " [(٤)] ، وكلما كان العبد أكثر إخلاصاً لربه تبارك وتعالى كان أكثر أمناً في يوم القيامة ، فالموحدون الذين لم يلبسوا إيمانهم بشيء من الشرك ، لهم الأمن التام يوم القيامة ، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨٢] ، وعَنْ أَنَسٍ ﷺ **أَنَّ النَّبِيَّ** ﷺ **دَخَلَ عَلَى شَاب ، وَهُوَ فِي الْمَوْت ، فَقَال: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَال: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَرْجُو اللَّه،**

---

(١) تفسير ابن كثير ، ١ / ٦٨٥ .

(٢) تفسير الطبري ، ٢١ / ٤٦٧ ، وانظر تفسير ابن كثير ، ٤ / ٢٧٨ .

(٣) في ظلال القرآن ، ٤ / ١٦٧ .

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده ، ١٠ / ٤٩٥ ح (٦١١٠)، وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح .

وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَــوْطِنِ إِلا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو ، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ " [(١)] .

سادساً: البشارة :

فقد أعطى الله تعالى لأوليائه الطمأنينة ، ثم أتبع بعدها البشارة بقوله تعالى:﴿ **لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ الله ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ**﴾ [يونس:٦٤] ، والبشارة: كل خبر صادق تتغير به بشرة الوجه؛ لأن النفس إذا سُرّت انتشر الدم انتشار الماء في الشجرة [(٢)] ، وتستعمل في الخير والشر ، وفي الخير أغلب .

والبشرى في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة تكون بأشياء منها :

١- إعلام الولي بأن الله معه في نصره ، وتأييده :

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَّ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** ﴾ [النحل: ١٢٨] ، وقال تعالى:﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ [غافر: ٥١] ، فالتقوى ، والإيمان أساس الولاية ، ومن كان تقياً مؤمناً كان الله معه ، ففي غزوة أحد جاء أبو سفيان رضي الله عنه قبل أن يسلم أسفل الجبل ، والنبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم فوق الجبل ، ولما تكامل تَهَيُؤْ المشركين للانصراف أشرف أبو سفيان رضي الله عنه على الجبل ، فنادي أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه ، فقال: أفيكم ابن أبي قحافة ؟ فلم يجيبوه ، فقال: أفيكم عمر بن الخطاب ؟ فلم يجيبوه ، وكان النبي ﷺ منعهم من الإجابة ، ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قيام الإسلام بهم ، فقال: أما هؤلاء فقد كُفِيتُمُوهُم ، فلم يملك عمر رضي الله عنه نفسه أن قال: يا عدو الله ، إن الذين ذكرتهم أحياء ، وقد أبقي الله ما يسوءك ، فقال: قد كان فيكم مثلة لم آمر بها ، ولم تسؤني ، ثم قال: أعْلُ هُبَل ، فقال النبي ﷺ : ألا تجيبونه؟ فقالوا: فما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل ، ثم قال: لنا العُزَّى ، ولا عزى لكم ، فقال النبي ﷺ : ألا تجيبونه ؟ قالوا: ما نقول ؟ قال: قولوا: الله مولانا ، ولا مولي لكم " [(٣)] ، فالله تعالى مولى المؤمنين الصابرين المحتسبين ، لا يخذلهم ، أو يتخلى عنهم .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الجنائز عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين، ح (٩٨٣) ، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي ، ٢ / ٤٨٣ .

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ، ١ / ١٣١ .

(٣) انظر: الرحيق المختوم ، تأليف: صفي الدين المبارك فوري ، دار الوفاء للطباعــة والنــشر والتوزيــع – المنصورة – مصر ، الطبعة السابعة عشرة (١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م)، ص ٢٥٠ .

٢- إعلام الولي بما أعده الله ﷻ له في الآخرة من النعيم ، والرضوان :

وهذا يكون في الدنيا من ذكرٍ لنعيم الجنة ، وتشويق المؤمنين لما أعده الله لهم ، كما قال تعالى:﴿ وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾[البقرة: ٢٥] .

٣- الرؤيا الصالحة من البشارات :

فما يراه المؤمن في النوم ، أو يُرى له من الخير ، هي من أنواع البشارات ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **لَمْ يَبْقَ مِنْ النُّبُوَّةِ إلا الْمُبَشِّرَات، قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ ؟ قال: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ** " (١) ، وعن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر قال: سألت أبا الدرداء ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا** ﴾ ، فقال: ما سألني عنها أحد غيرك إلا رجل واحد منذ سألت رسول الله ﷺ فقال: " **مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ مُنْذُ أُنْزِلَتْ فَهِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ** " (٢) ، فالرؤيا الصالحة التي يراها المؤمن هي من المبشرات التي يَسُرُّ الله بها أولياءه ، يسرهم بها ، ويفرحهم ويُبشرهم بها .

٤- ثناء الناس على المؤمن :

فعن أبي ذر ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ : أرأيت الرجل يعمل الخير ، ويحمده الناس عليه ، وفي رواية: يحبه الناس عليه ، قال: " **تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ** " (٣) ، بشرط أن يَسْلم قلبه من الرياء، والعجب ، وعزة النفس .

٥- تبشير الملائكة له عند النزع الأخير وخروج الروح :

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [فصلت: ٣٠] ، فالملائكة بأمرٍ من الله ينصرون عباد الله ، ويُبشرونهم عند احتضارهم بأنه لا خوفٌ عليهم ، ولا هم يحزنون ، وأنهم من أهل الجنة ، لِمَا قاموا عليه من استقامة ، ولزوم طاعة لله سبحانه .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التعبير ، باب المبشرات ، ٩ / ٣١ ح (٦٩٩٠) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الرؤيا عن رسول الله ﷺ ، باب قوله: لهم البشرى في الحياة الدنيا ، ٤ / ١١٩ ح (٢٢٧٣) ، وصححه الألباني في سلسلة صحيح وضعيف الترمذي ، ٥ / ٢٧٣ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أثنى على الصالح فهى بشرى ولا تضره، ٨ / ٤٤ ح (٦٨٩١) .

٦- البشرى بالجنة:

جميع ما سبق من البشارات هي من بشارات الله تعالى لوليه في الدنيا ، أما البشرى في الآخرة فهي الجنة اتفاقا ، فأكبر بشرى للأولياء هي بشارة الله تعالى لعبيده المؤمنين بالجنة ، قال ابن جزي رحمه الله: " أما بشرى الآخرة فهي الجنة اتفاقاً " [(١)]، ويقول ابن كثير رحمه الله: " وأما بشراهم في الآخرة ، فكما قال تعالى:﴿ **لَا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [الأنبياء:١٠٣] ، وقال تعالى:﴿ **يَوْمَ تَرَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ اليَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ...**﴾ [الحديد:١٢] [(٢)] ، فالبشرى في الآخرة هي جنة الله تعالى ، ورضوانه ، والأمان من كل مكروه ، ومن أهوال يوم القيامة .

سابعاً: حب الله للولي :

ففي حديث الولاية المشهور: " **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ...** إلى قوله **حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ ...** " [(٣)] ، إذاً محبة الله ثمرة من ثمرات الولاية ، قال تعالى:﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [آل عمران:٣١] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ **عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيل: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيل ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ** " [(٤)] .

ثامناً: تسديد الله للولي :

إن الله ﷻ يسدد الولي للحق والصواب ، وهذا معنى قوله في الحديث: " **فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها** "، فالله تعالى لا يتخلى عن أوليائه؛ بل يحفظهم ، وينصرهم ، ولا يضرهم أحد؛ لأن الله تعالى حافظهم ، قال تعالى:﴿ **إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾ [الأعراف:١٩٦]، يقول سيد قطب رحمه الله: " وصاحب الدعوة إلى الله يرتكن إلى الله ، فما هذه الأولياء ، والأسناد الأخرى إذن ؟ وماذا تساوي في حسه حتى لو قدرت على أذاه؟! إنما تقدر

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ، تأليف: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أبو القاسم ،تحقيق: محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، طبعة (١٤١٥ هـ)، ١ / ٦٦٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٤ / ٢٨١ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ٢٢ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، ٤ / ١١١ ح (٣٢٠٩) .

على أذاه بإذن ربه الذي يتولاه ، لا عجزاً من ربه عن حمايته من أذاها ﷻ، ولا تخلياً منه سبحانه عن نصرة أوليائه " [(١)] ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما: " أن عمر بن الخطاب ﷺ وجّه جيشاً ورأس عليهم رجلاً يقال له: سارية قال : فبينما عمر بن الخطاب ﷺ يخطب فجعل ينادي : يا سارية الجبل يا سارية الجبل (ثلاثاً) ، ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين هُزِمْنا، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا مناديا: يا سارية الجبل (ثلاثاً) فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله ، قال: فقيل لعمرﷺ: إنك كنت تصيح بذلك " [(٢)].

تاسعاً: النصر :

يقول الله تبارك وتعالى:﴿ **بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ** ﴾ [آل عمران:١٥٠] ، فالمؤمن منصور إذا تولى الله أمره ، وينتقم ممن أذاه ، قال الرازي رحمه الله: " والمعنى أنكم إنما تطيعون الكفار لينصروكم ، ويعينوكم على مطالبكم ، وهذا جهل؛ لأنهم عاجزون متحيرون ، والعاقل يطلب النصرة من الله تعالى؛ لأنه هو الذي ينصركم على العدو ، ويدفع عنكم كيده "[(٣)]، ويقول الإمام الطبري رحمه الله في قوله تعالى: " **بل الله مولاكم** " : أي " وليكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا ،" **وهو خير الناصرين** " : لا من فررتم إليه من اليهود ، وأهل الكفر بالله ، فبالله الذي هو ناصركم ، ومولاكم فاعتصموا ، وإياه فاستنصروا ، دون غيره ممن يبغيكم الغوائل المهالك ، ويرصدكم بالمكاره " [(٤)] ، وقال تعالى:﴿ **إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** ﴾ [الحج:٣٨] ، وقال تعالى:﴿ **وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ** ﴾ [المائدة:٥٦]، وقال تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ** ﴾[الأعراف:١٩٧] ، وفي حديث الولي:" **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ** ... " ، فنوح عليه السلام لما رفع يديه إلى السماء بعد أن استهزأ به قومه كانت نصرة الله معه ، ومع المؤمنين (أولياء الله) ، قال تعالى عنه :﴿ **وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ**

(١) في ظلال القرآن ، ٣ /٣٤٣ .

(٢) قال الألباني : وهذا إسناد جيد حسن كما قال ابن كثير في " البداية " ، السلسلة الصحيحة ، ٣ / ١٨٤ ، فالقصة صحيحة ثابتة ، وهي كرامة أكرم الله بها عمر ، و لكن ليس فيها ما زعمه المتصوفة من الاطلاع على الغيب ، وإنما هو من باب الإلهام .

(٣) تفسير الفخر الرازي ، ١ / ١٢٧٠ .

(٤) تفسير الطبري ، ٧ / ٢٧٨ .

الكَرْبِ العَظِيمِ﴾ [الصَّفات:٧٥-٧٦] ، فالله تعالى لا يتخلى عن أوليائه؛ بل يغضب لهم ، وينصرهم .

عاشراً: استجابة الدعوة :

مما أعد الله سبحانه للولي في الدنيا: استجابة الدعوة ، وهذا الذي تضمنه حديث الولاية " **وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّه ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ** " (١)، يقول النبي ﷺ : " **إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ** " (٢)، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " **رُبَّ أَشْعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ** (٣) **لا يُؤْبَهُ لَه ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّه ، منهم البَراءُ بن مَالك** "، يقول أنس: فلما كان يوم تستر(٤) انكشف الناس ، فقالوا: يا براء أقسم على ربك ، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم ، وألحقتني بنبيك ، وقتل البراء يومئذ شهيداً " (٥)، فالله تعالى استجاب له دعوته ، وفي كتب المناقب والسير من الأمثلة ما يغني عن الذكر .

---

(١) سبق تخرجه ، ص ٢٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب الصلح في الدية ، ٣ / ١٦٧ ح (٢٧٠٣) .

(٣) الطمر: الثوب الخلق البالي ، الطمور: الذي لا يملك شيئاً انظر: تاج العروس ، ١٢ / ٤٣٤ .

(٤) تستر: تستر بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى وراء أعظم مدينة بخوزستان اليوم وهو تعريب شوشـتر وقال حمزة الأصبهاني: الشوشتر مدينة بخوزستان تعريب شوش بإعجام الشينين قال : ومعناه النزه ، والحسن ، والطيب واللطيف ، (انظر: معجم البلدان ، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبـو عبـد الله ، دار الفكـر – بيروت ، ٢ / ٢٩) .

(٥) أخرجه الإمام ابن الأثير في جامع الأصول في أحاديث الرسول ، مجد الدين أبو السعادات المبـارك بـن محمد الجزري ابن الأثير ، تحقيق: بشير عيون ، دار الفكر ، الطبعة الأولـى (١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م) ، ١٢ / ٢٠٨ .

الفصل الثاني

مراتب الأولياء ، وخصائصهم ، وكراماتهم

المبحث الأول

مراتب الأولياء

المطلب الأول / مراتب الأولياء عند غلاة الصوفية.

المطلب الثاني / مراتب الأولياء
عند أهل السنة والجماعة .

المطلب الأول

مراتب الأولياء عند غلاة الصوفية

قسّم غلاة الصوفية الأولياء إلى مراتب ، ومن خلال الوقوف على تلك التقسيمات تبين أن المراتب كالتالي:

الغوث (القطب) ، ثم الأئمة ، ثم الأوتاد الأربعة ، ثم الأبدال الأربعون ، ثم النجباء الثلاثمائة ، ثم النقباء .

والتقسيم السابق منقول عن ابن عربي كما ذكر الشيخ إحسان إلهي بقوله:" وهذا الترتيب مأخوذ عن ابن عربي في فتوحاته كما قال: والمجمع عليه من أهل الطريق أنهم على ست طبقات أمهات: أقطاب ، وأئمة ، وأوتاد ، وأبدال ، ونقباء ، ونجباء " [(١)] ، ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق: " وقد ذهب المتصوفة إلى تقسيم مراتب الولاية عندهم فمنهم من قالوا: إنهم يتقسمون إلى الغوث: وهو أكبر الأولياء جميعاً ، وهو واحد في كل زمان ، وتحته الأوتاد الأربعة ، وكل واحد منهم في ركن من أركان العالم يقوم به ، ويحفظه ، والأقطاب السبعة ، وكل منهم في إقليم من أقاليم الأرض السبعة – أي في قارة من القارات السبع– ، والأبدال ، وزعموا أنهم أربعون: وهم يعيشون في العالم ، وكلما هلك واحد منهم أبدله الله بغيره لحفظ الكون ، والنجباء: وهم ثلاثمائة كل منهم يتولى شأناً من شئون الخلق " [(٢)] ، ويؤكد ما ذهب إليه ابن عربي قول ابن عجيبة ، حيث قسم ابن عجيبة أولياء الله إلى سبعة مراتب ، قال ابن عجيبة:" فقضاهن سبع طبقات ، وهي دوائر الأولياء ، دائرة الغوث ، ثم دائرة الأقطاب ، ثم الأوتاد ، ثم النقباء ، ثم النجباء ، ثم الأبرار ، ثم الصالحين ، وأوحى في كل سماء ، أي: في كل دائرة ما يليق بها من العبادة ، فمنهم من عبادته الشهود ، والعيان ، ومنهم من عبادته الفكرة، ومنهم الركوع والسجود ، ومنهم التلاوة والذكر... إلى غير ذلك من أنواع الأعمال "[(٣)].

ونقل الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق وظيفتهم :" عن ابن عربي بقوله: اعلم أن بالقطب تحفظ دائرة الوجود كله من عالم السكون ، والفساد ، وبالإمامين يحفظ الله تعالى عالم الغيب والشهادة، وهو ما أدركه الحس ، وبالأوتاد يحفظ الله تعالى الجنوب والشمال ، والمشرق والمغرب ، وبالأبدال يحفظ الله الأقاليم السبعة ، وبالقطب يحفظ الله تعالى جميع هؤلاء؛ لأنه هو الذي يدور

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ٢٣١ ، نقلاً عن كتاب الفتوحات المكية لابن عربي ، ٢ / ٤٠ .

(٢) الفكر الصوفي ، ص ٧٦ .

(٣) البحر المديد ، ٦ / ٥٠٣ .

عليه أمر عالم الكون كله ، فمن علم هذا الأمر علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا ، ونظيره من الطب علم تقويم الصحة " (١) .

وهذه المراتب مرتبطة مع بعضها البعض ، يقول الهجويري هم: " أهل الحل والعقد ، وقادة حضرة الحق جل جلاله ، فثلاثمائة يدعون الأخيار، وأربعون آخرون يسمون الأبدال، وسبعة آخرون يقال لهم: الأبرار، وأربعة يسمون الأوتاد، وثلاثة آخرون يقال لهم: النقباء، وواحد يسمى القطب والغوث ، وهؤلاء جميعاً يعرفون أحدهم الآخر، ويحتاجون في الأمور لإذن بعضهم البعض" (٢) .

مفهوم الغوث (القطب) :

ذهب غلاة الصوفية إلى أن القطب ، أو الغوث هو " عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ومكان ، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام " (٣) ، ولا ينال هذه الرتبة إلا إذا علم معاني الحروف المقطعة في أوائل السور ، ولا يتنفس إلا بالتسبيح ، والذكر ، ولا يرتفع عنه الحجاب حال حياته ، ويحفظ الكون ، والأشياء ، ويدلل على ما سبق كلام الشعراني ، وابن عربي، يقول الشعراني نقلا عن ابن عربي: " لا يتمكن القطب من أن يقوم في القطابة إلا بعد أن يحصّل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل ألـم ، وألمص ، ونحوهما ، فإذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ، ومعانيها تعينت له الخلافة ، وكان أهلاً لها " (٤).

وقد نقل المناوي رحمه الله تعريفاً للأقطاب بقوله:" الأقطاب هم الجامعون للأحوال ، والمقامات (٥) ، وقد يتوسع فيسمى كل من دار عليه مقام من المقامات ، وانفرد به في زمانه قطبا ، لكن حيث أطلق القطب لا يكون في الزمان إلا واحدا ، وهو الغوث ، وهو سيد أهل زمنه، وإمامهم " (٦) ، وقال أيضاً في وصفهم: " القطب ، وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء

---

(١) الفكر الصوفي ، ص ٨٠ ، نقلاً عن الياقوت والجواهر لابن عربي ، ٢ / ٨٢ .

(٢) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ٢٣٠ ، نقلاً عن كتاب كشف المحجوب للهجويري ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(٤) الفكر الصوفي ، ص ٧٧ ، نقلاً عن كتاب اليواقيت والجواهر لابن عربي ، ٢ / ٧٩ ، وانظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ٦٩٥ .

(٥) المقامات: هي مقام العبد بين يدى الله في العبادات ، لقوله تعالى" وما منا إلا له مقام معلوم"، وأولها الانتباه، وهى خروج العبد من حد الغفلة ، ثم التوبة ، ثم الإنابة ، ثم الورع ، ثم محاسبة النفس ، وآخرها التوكل ، (انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص٢٩ بتصرف) .

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف ، ص ٨٣ .

الملهوف إليه ، عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى في كل زمـــان " [١] ، ومـــن صفات الغوث أيضا: أنه في كل مكان ، يقول ابن عربي: " فإن قيل هل يكون محل إقامة القطب بمكة دائماً كما هو مشهور ، فالجواب هو بجسمه حيث شاء الله لا يتقيـــد بالمكـــث فـــي مكـــان بخصوصه ، ومن شأنه الخفاء فتارة يكون حدادا ، وتارة تاجراً ، ونحو ذلك " [٢] .

مفهوم الأئمة :

الإمامان: هما بمنزلة الوزيرين للقطب ، وهما الشخصان اللذان أحدهما عن يمين الغوث: أي القطب ، ونظره في الملكوت (العالم الروحاني) ، وهذا الإمام مرآته لا محالة ، والآخر عن يساره، ونظره في الملك (العالم المادي) ، وهذا مرآته ، ومحله ، وهو أعلى من صاحبه ، وهو الذي يخلف القطب إذا مات " [٣] .

مفهوم الأوتاد :

عبارة عن أربعة رجال ، منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم: شرق ، وغرب ، وشمال، وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة [٤] ، ينقل لنا المناوي تعـــريفهم عنـــد الـــصوفية:" الأوتاد أربعة في كل زمان ، لا يزيدون ، ولا ينقصون " [٥] .

مفهوم الأبدال :

الأَبْدال: قَوْمٌ بِهِمْ يُقيمُ الله ﷻ الأرضَ وهم سَبعون: أربَعونَ بالشامِ وثلاثونَ بغيرِها لا يَموتُ أحدُهُم إلاَّ قامَ مكانَه آخَرُ من سائِرِ الناس[٦] ، ونقل الشيخ إحسان أنهم: " سبعة ، ومن سافر من القوم من موضعه ، وترك جسداً على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فُقد ، فذلك هو البدل لا غير، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام " [٧] ، واستدلوا بحديث: " لله ﷻ ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ، ولله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام ، ولله في الخلق سبعة قلوبهم

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ، ص ٥٨٦ .

(٢) الفكر الصوفي ، ص ٧٩ ، نقلاً عن كتاب اليواقيت والجواهر ، ٢ / ٨١ .

(٣) انظر بتصرف: التعريفات ، ص ٥٣ ، التصوف المنشأ والمصادر ، ص ٣٢١ ، شبهات التصوف ، تأليف: عمر بن عبد العزيز قريشي ، دار الهدى – مصر ، ص ١٥٠ .

(٤) انظر بتصرف: التصوف المنشأ والمصدر ، ص ٢٣١ ، شبهات التصوف ، ص ١٥٠ .

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف ، ص ١٠٢ ، وانظـــر: موســـوعة مـــصطلحات التـــصوف الإســـلامي ، ص ١٢٢.

(٦) القاموس المحيط ، ص ١٢٤٧ .

(٧) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ٢٣١ .

على قلب إبراهيم عليه السلام ، ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ، ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ، ولله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام ، فإذا مات الواحد أبدل الله عز وجل مكانه من الثلاثة ، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله تعالى مكانه من الخمسة ، وإذا مات من الخمسة أبدل الله تعالى مكانه من السبعة ، وإذا مات من السبعة أبدل الله تعالى مكانه من الأربعين ، وإذا مات من الأربعين أبدل الله تعالى مكانه من الثلاثمائة ، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله تعالى مكانه من العامة ، فبهم يحيي ، ويميت ، ويمطر ، وينبت ، ويدفع البلاء " [١] ، وبحديث:" إن الأبدال بالشام يكونون ، وهم أربعون رجلا ، بهم تسقون الغيث ، وبهم تنصرون على أعدائكم ، ويصرف عن أهل الأرض البلاء ، والغرق " [٢] .

مفهوم النجباء :

النجباء ثمانية ، وقيل أربعون ، وهم لا يزيدون ولا ينقصون مسكنهم مصر ، يغلب عليهم الأحوال دون اختيارهم ، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق ، وسموا بذلك لنجابتهم " [٣] .

مفهوم النقباء :

النقباء عددهم ثلاثمائة ، ومسكنهم المغرب ، وسُموا بالنقباء؛ لأنهم ينقبوا – يستخرجوا – ما في نفوس الناس مما هو مخبأ عن غيرهم ، وقيل: يستخرجون خبايا الأرض ، وقيل: خرجوا من فضاء الكون إلى فضاء شهود المُكَوِّن [٤] .

الرد على المراتب السابقة عند غلاة الصوفية :

لم يرد لفظ القطب ، ولا غيره في القرآن ، أو في السنة الصحيحة ، أو عن أحد السلف إلا لفظ الأبدال ، فقد ورد في حديث منقطع ليس بثابت ، يقول ابن تيمية رحمه الله: " وكذلك ما يزعمه بعضهم: أن القطب الغوث الجامع يمد أولياء الله ، ويعرفهم كلهم ، ونحو هذا فهذا باطل، فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله ، ولا يمدانهم فكيف بهؤلاء

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ، ١٧٣/٤، قال الألباني: موضوع ، السلسلة الضعيفة ،٣/ ٦٧٠ ح (١٤٧٩) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق ، ١/ ٢٨٩، وقال: هذا منقطع بين شريح وعلي ، فإنه لم يلقه ، وضعفه الإمام الألباني في السلسلة الضعيفة ، تأليف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف- الرياض ، ٦ / ٥٦٤ ح (٢٩٩٣) .

(٣) انظر بتصرف: التوقيف على مهمات التعاريف ، ص ٦٩٢ ، وانظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ١٣٨ ، ص ٩٦٤ .

(٤) انظر بتصرف: التصوف المنشأ والمصادر ، ص ٢٣١ ، شبهات التصوف ، ص ١٥٠ .

الضالين المغترين الكذابين ، ورسول الله ﷺ سيد ولد آدم إنما عرف الذين لم يكن رآهم من أمته بسيما الوضوء ، وهو الغرة والتحجيل ،ومن هؤلاء من أولياء الله من لا يحصيه إلا الله " [(١)] ، وقال أيضا:" أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك ، والعامة مثل " الغوث " الذي بمكة، و" الأوتاد الأربعة " ، و" الأقطاب السبعة "، و" الأبدال الأربعين "، و" النجباء الثلاثمائة : " فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى ، ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ، ولا ضعيف يحمل عليه ألفاظ الأبدال " [(٢)] .

وأما القول بأن القطب لا يكون قطباً إلا إذا علم حقيقة الحروف المقطعة في بداية سور القرآن الكريم ، فهذا مخالف لما سار عليه علماء أهل السنة والجماعة في تفسيرهم للحروف المقطعة في بداية السور ، من أنها سر من أسرار القرآن الكريم التي استأثر الله بعلمها ، ولم يطلع عليها أحداً من خلقه ، يقول الإمام القرطبي رحمه الله: " اختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السور ، فقال عامر الشعبي ، وسفيان الثوري ، وجماعة من المحدثين: هي سر الله في القرآن ، ولله في كل كتاب من كتبه سر ، فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه ، ولا يجب أن يتكلم فيها ، ولكن نؤمن بها ، ونقرأ كما جاءت ، وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وذكر أبو الليث السمرقندي عن عمر وعثمان وابن مسعود ﷺ ، أنهم قالوا: الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر ، وقال أبو حاتم: لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور ، ولا ندري ما أراد الله جل وعز بها ، قلت – القرطبي- : ومن هذا المعنى ما ذكره أبو بكر الأنباري: حدثنا الحسن بن الحباب حدثنا أبو بكر بن أبي طالب حدثنا أبو المنذر الواسطي عن مالك بن مغول عن سعيد بن مسروق عن الربيع بن خثيم قال: إن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء ، وأطلعكم على ما شاء ، فأما ما استأثر به لنفسه فلستم بنائليه فلا تسألوا عنه ، وأما الذي أطلعكم عليه فهو الذي تسألون عنه وتخبرون به ، وما بكل القرآن تعلمون ، ولا بكل ما تعلمون تعملون ، قال أبو بكر: فهذا يوضح أن حروفاً من القرآن سترت معانيها عن جميع العالم ، اختباراً من الله ﷻ، وامتحاناً، فمن آمن بها أثيب وسعد ، ومن كفر وشك أثم وبعد " [(٣)] ، ونقل أيضاً القرطبي رحمه

---

(١) زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، الإدارة العامة للطبع والترجمة – الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ) ، ص ٦٨ .

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١ / ٤٣٣ .

(٣) تفسير القرطبي ، ١ / ١٥٤ .

الله قولاً آخر بقوله: " وقال جمع من العلماء كبير: بل يجب أن نتكلم فيها ، ويلتمس الفوائد التي تحتها ، والمعاني التي تتخرج عليها ، واختلفوا في ذلك على أقوال عديدة " (١) .

وعليه فلو استأثر الله بعلمها دون غيره فكيف علمها القطب ؟ ، هل هي وحي من الله ، أم ماذا ؟! ، ولو من الواجب التكلم في معانيها ، ومعناها يفهمه العلماء ، وقد اختلفوا عليها كما ذكر الإمام القرطبي ، فلماذا يكون معرفتها خاصة بالقطب دون غيره من البشر ؟ فيتضح أن معرفة الحروف المقطعة في بداية السور لا يعتبر معرفتها شرطاً لتحصيل مرتبة القطبية كما يدعون .

وأما وصف القطب ، أو الغوث بأنه موضع نظر الله دون غيره من المؤمنين ، والناس يستغيثون به عند حاجتهم ليقضيها لهم ، وجعلهم واحداً في كل زمان ومكان ، فهذا لا يقبل ، فالله تعالى مع المحسنين ومع المؤمنين أينما كانوا ، قال تعالى:﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١]، ولو جازت الاستغاثة بالنبي ﷺ لوجدنا الصحابة ﷺ فعلوا ذلك مع النبي ﷺ ؛ لأنه أفضل الخلق ، أو حتى بعد وفاة النبي ﷺ ، فلو كان حقيقة ما ذهبوا إليه لفعلوه مع أبي بكر وعمر وهم خيرة الصحابة ﷺ ، أو فعله التابعون مع الصحابة ﷺ الذين هم خيرة القرون بعد الصحابة ﷺ ، وهذا يبطل ما ذهبوا إليه .

وعليه فلم يرد عن النبي ﷺ ، ولا عن الصحابة ﷺ لفظٌ مما سبق إلا لفظ الأبدال ، يقول ابن تيمية رحمه الله:" ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ (الأبدال) " (٢) .

و أما الاستدلال بالحديثين السابق ذكرهما (٣) فقد حكم العلماء بضعفهما ، وعدم قبولها يقول ابن تيمية رحمه الله: " وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً ، وأنهم بالشام وهو في المسند من حديث علي ﷺ ، وهو حديث منقطع ليس بثابت " (٤) ، ويقول صاحب كتاب أسنى المطالب: " حديث الأبدال:" في هذه الأمة ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً " رواه أحمد عن عبادة بن الصامت وله روايات وطرقها ضعيفة " (٥) ، ويقول أيضاً: " أحاديث الأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد لم يصح

---

(١) تفسير القرطبي ، ١ / ١٥٥ .
(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١٠١ .
(٣) انظر في هذا البحث ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .
(٤) مجموع الفتاوى ، ١١ / ١٦٧ .
(٥) أسنى المطالب ، ص ١٤٤ .

منها شيء " [١]، وحكم الإمام الألباني رحمه الله على حديث الثلاثمائة السابق [٢] بأنه حديث موضوع [٣] ، وعليه فلا يصح الاستدلال به في مرتبة الأبدال .

والناظر إلى المراتب السابقة يجد أنها عبارة عن ألفاظ ومصطلحات لم ترد على لسان السلف الصالح ، ولم يأتِ ذكرها في القرآن الكريم ، وسيما أن ابن تيمية ردّ على هذه المراتب بأنها لم ترد في القرآن ، ولم تصح عن رسول الله ﷺ ، يقول ابن تيمية رحمه الله:" من زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ، ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة ، والثلاثمائة إلى السبعين ، والسبعون إلى الأربعين ، والأربعون إلى السبعة ، والسبعة إلى الأربعة ، والأربعة إلى الغوث ، فهو كاذب ضال مشرك " [٤] ، فهل يصح الطلب والغوث من العباد أياً كانت مرتبتهم ؟ فالنبي ﷺ وهو أفضل الخلق أخبر رب العزة عن حاله فقال على لسان نبيه ﷺ في القرآن:﴿ **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف:١٨٨] ، وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" **مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إلا اللَّه ، لا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إلا اللَّه، وَلا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إلا اللَّهُ** [٥]، **وَلا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إلا اللَّه ، وَلا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوت ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إلا اللَّهُ** " [٦] ، وفي الحديث الذي يرويه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" **مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّة ، فَقِيل: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال: وَلا أَنَا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ** " [٧] .

فإذا كان أفضل الخلق هذا حاله ، فهل الأقطاب أو الأبدال أو غيرهم من المراتب أفضل من النبي ﷺ ؟! ، ويقول ابن تيمية رحمه الله: " كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة

---

(١) أسنى المطالب ، ص ٩٨ .

(٢) انظر ص ١٤١ .

(٣) أخرجه الألباني في السلسلة الضعيفة ، ٣ / ٦٧٠ ح (١٤٧٩) .

(٤) مجموع الفتاوى ، ١١ / ٤٣٨ .

(٥) تغيض معناها: تنقص، انظر : كشف المشكل من حديث الصحيحين ، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دار الوطن – الرياض ، تحقيق: علي حسين البواب ، طبعة (١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) ، ص ٦٦٥.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله:"الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام " ، ٦ / ٤٩ ح (٤٦٩٧) .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى ، ٨ / ١٣٩ ح (٧٢٨٩) .

الأولياء، والأبدال ، والنقباء ، والنجباء ، والأوتاد ، والأقطاب ، مثل: أربعـــة ، أو ســـبعة ، أو اثني عشر...، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ، ولم ينطق السلف بـــشيء مـــن هـــذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال ، وروى فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً وأنهم بالشام وهو في المسند من حديث علي ﷺ ، وهو حديث منقطع ليس بثابت " [١] ، وقال ابن الجوزي رحمه الله معلقاً علـــى ذكر تلك الألفاظ: " وليس في هذه الأحاديث شيء يصح " [٢] ، ويقول صـــاحب كتـــاب المنـــار المنيف معلقاً أيضا: " ومن ذلك أحاديث الأبدال والأقطاب و الأغوات والنقباء والنجباء والأوتـــاد كلها باطلة على رسول الله ﷺ ، وأقرب ما فيها لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم البدلاء كلمـــا مـــات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلاً آخر ذكره أحمد ، ولا يصح أيضاً فإنه منقطع " [٣] .

(١) مجموع الفتاوى ، ١١ / ١٦٧ .

(٢) الموضوعات ، للعلامة السلفي الإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشى ، ضبط وتقديم ، وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، الطبعة الأولى (١٣٨٦ هـــ - ١٩٦٦ م) ، ٣ / ١٥٢ .

(٣) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمـــشقي ، تحقيـــق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، سنة النشر(١٤٠٣ هـــ) ، ص ١٣٦ .

المطلب الثاني

مراتب الأولياء عند أهل السنة والجماعة

الولاية ليست على مرتبة واحدة ، والأولياء متفاوتون؛ وذلك لأنّ شرطيّ الولاية الإيمان، والتقوى ، قال تعالى:﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] ،وبما أن كلاً من الإيمان ، والتقوى يزيد وينقص حسب إيمان العبد ، فإن المراتب تتفاوت ، فالولي قد يكون عنده بعض نقص في الإيمان والتقوى ، ولكنّ هذا لا يخرجه من ولاية الله ﷻ ، وإن كانت تتفاوت بين المؤمنين .

مراتب الأولياء :

مما سبق يتبين أن الأولياء مراتب ، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] ، ومن خلال الآية السابقة يتضح أن مراتب الأولياء بالتفاضل هم: الرسل والأنبياء ، الصديقون ، الشهداء ، الصالحون .

المرتبة الأولى: الرسل ، والأنبياء :

الرسالة والنبوة منزلة عظيمة ، وهبة من الله تعالى يخص بها الأنبياء دون غيرهم من الناس – كما سبق بيان الفرق بين النبوة والولاية – [(١)] ، وبما أن الإيمان يتفاوت فكذلك الولاية، فإن الولاية درجات ، وأفضل درجات الولاية هي الرسالة ، والنبوة؛ لأنهما اصطفاء من الله تعالى ، ودرجة يرفع بها الله تعالى عباده على غيرهم من البشر ، ولِما خصهم الله تعالى به من خصائص على غيرهم ، وحصل لهم ما لم يحصل لغيرهم ، فالنبوة منزلة لا تعدلها منزلة ، فنبي واحد أفضل من جميع الأولياء من دون الأنبياء ، حتى أفضل من الصحابة ﷺ أجمعين رغم مكانتهم العظيمة؛ لأن النبوة مرتبة عظيمة لا ينالها إلا من اصطفاه الله تعالى ، يقول الطحاوي رحمه الله في تقرير هذا المبدا:" ولا نُفضِّل أَحدًا من الأولياء على أَحدٍ من الأنبياء عليهم السلام، ونَقُول: نَبِيٌّ وَاحِد أَفْضل من جميع الأولياء" [(٢)] .

---

(١) سبق الحديث عنه في الرسالة ، ص ٥٠ .

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، ٣ / ٢٠٠ .

وقد سبق ذكر صفات الأنبياء في الحديث عن الفرق بين النبوة والولاية [(١)]، يقول ابن تيمية رحمه الله:" ومن كان رسولاً فقد اجتمعت فيه ثلاث صفات: الرسالة ، والنبوة ، والولاية ، ومن كان نبياً فقد اجتمع فيه الصفتان ، ومن كان ولياً فقط لم يكن فيه إلا صفة واحدة " [(٢)] ، ويقول أيضاً: " اتفق سلف الأمة ، وخلفها من أهل السنة والجماعة على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ، وأنه لا يجوز تفضيل أحدٌ من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء" [(٣)] .

المرتبة الثانية: الصديقون :

أولياء الله بعد بعثة النبي ﷺ لا يكونون أولياءَ لله حقيقة إلا باتباع نبيه ﷺ ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ فَقَالَ:" **أَمُتَهَوِّكُونَ** [(٤)] **فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً ، لا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعَنِي**" [(٥)] ، وعليه فأولياء الله هم من ساروا على نهج النبي ﷺ ظاهراً وباطناً ، وصدقوه ، ونصروه في دعوته ، ودافعوا عنه حين خذله الناس، فأتباع عيسى عليه السلام هم حواريون كانوا معه ، ونصروه ، وقد مدحهم القرآن الكريم ، قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ** ﴾ [الصَّف:١٤]، قال قتادة والضحاك: "سموا بذلك؛ لأنهم كانوا خاصة الأنبياء" [(٦)] ، هذا في زمن عيسى عليه السلام ، والصديقون في زمن النبي ﷺ هم صحابته رضي الله عنهم ، وهم أفضل الأولياء بعد الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهم هم الذين شاهدوا التنزيل ،

---

(١) سبق الحديث عنها في الرسالة ، ص ٥٠ .

(٢) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ، تأليف: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار ابن القيم ، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) ، الدمام - السعودية ، ٢ / ٢٣ .

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ٥ .

(٤) أمتهوكون معناها: أمتحيرون في الإسلام ؟ ، لا تعرفون دينكم ، حتى تأخذونه عن اليهود والنصارى؟ ، (انظر: غريب الحديث ، ٢ / ٥٠٤ ، وشرح السنة للبغوي ، ١ / ٢٧١) .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٣ /٣٨٧ ، ح (١٥١٩٥)، وحسنه الإمام الألباني في ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة لابن أبي عاصم ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي- بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤١٢ هـ) ، ١ / ٢١ ح (٥٠) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، ٤ / ٩٨ .

ولازموا النبي ﷺ ، وهاجروا ، وجاهدوا معه بالمال والنفس ، أعظم ثوابا ، وإيماناً ممن جاؤوا بعدهم ، وأعظم في ولاية الله ممن تولى الله بعدهم ، وهم خير قرن لما حباهم الله به من خصائص ، قال تعالى عنهم:﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠] ، وقال تعالى:﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٧] وقال تعالى:﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:١٨]، و قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩] ، فهذه صفاتهم في القرآن الكريم ، نالوا شهادة الرضوان، وهم يمشون على الأرض ، ألا يستحقون أن يكونوا أفضل الأولياء ؟، وفي الحديث: عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم ، قَالَ عِمْرَان: فَلا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْن ، أَوْ ثَلاثًا ، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُون ، ولا يُسْتَشْهَدُون ، وَيَخُونُون ، ولا يُؤْتَمَنُون ، وَيَنْذُرُون ، ولا يَفُون، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَن** " [١]، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِي:ﷺ " **لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم ، ولا نَصِيفَهُ** " [٢] ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: " **إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ** ﷺ **خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِه ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِه ، خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَاد ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّه ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ**" [٣] ، وقد نقل الإمام النووي رحمه الله عن القاضي عياض إجماع الجمهور على تفضيل الصحابة ﷺ على غيرهم ، قال الإمام النَّووي رحمه الله: " قال القاضي: ويؤيد هذا ما قدمناه في أول باب فضائل الصحابة عن الجمهور من تفضيل الصحابة ﷺ كلهم على جميع من بعدهم ، وسبب تفضيل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، ٨ /١٤١ ح (٦٦٩٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا ، ٥/ ٨ ح (٣٦٧٣) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد مسنده ، ١ /٣٧٩ ح (٣٦٠٠) ، وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط .

نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة ، وضيق الحال بخلاف غيرهم؛ ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمايته ، وذلك معدوم بعده ، وكذا جهادهم ، وسائر طاعتهم ، وقد قال الله تعالى:﴿ **لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً** ...﴾ [الحديد:١٠] ، هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة ، والتودد ، والخشوع ، والتواضع ، والإيثار ، والجهاد في الله حق جهاده ، وفضيلة الصحبة ، ولو لحظة ، لا يوازيها عمل ، ولا تنال درجتها بشئ ، والفضائل لا تؤخذ بقياس ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء " (١) ، وأفضل الصحابة ﷺ أهل بيت النبي ﷺ بعد الخلفاء الأربعة ، يقول ابن تيمية رحمه الله:" وأما الخلفاء ، والصحابة ﷺ فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان ، والإسلام ، والقرآن ، والعلم ، والمعارف ، والعبادات ، ودخول الجنة ، والنجاة من النار ، وانتصارهم على الكفار ، وعلو كلمة الله ، فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة ﷺ الذين بلغوا الدين ، وجاهدوا في سبيل الله ، وكل مؤمن آمن بالله فللصحابة ﷺ عليه فضل إلى يوم القيامة " (٢) ، وسمى النبي ﷺ منهم حواريين ، ففي الحديث عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ": **مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟- يَوْمَ الأَحْزَابِ ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ** ﷺ : **أَنَا ، ثُمَّ قال: مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ ؟ قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا ، قال: مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ الزُّبَيْرُ** ﷺ : **أَنَا ، قال: لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِي ، وإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ** " (٣)، وأفضل الصحابة ﷺ على الإطلاق أبو بكر الصديق ﷺ ، عن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " **ما طلعت الشمس ، ولا غربت على أحد أفضل ، أو أخير من أبي بكر إلا أن يكون نبي** " (٤) .

وعليه فرغم عظم مكانة الصحابة ﷺ عامة ، وأبي بكر ﷺ خاصة ، إلا أن الصحابة ﷺ لم يعظموهم ، كما عظم الصوفية أولياءَهم ، ولم يطلبوا حاجاتهم منهم .

المرتبة الثالثة: مرتبة العلماء :

العلماء لهم الأفضلية على من سواهم ، فقد أضاف ابن تيمية رحمه الله طبقة العلماء إلى الأولياء رغم أنهم لا يتميزون بكثرة نوافل ، لكنها تتقرب إلى الله بكثرة التعلم ، والتعليم ،

---

(١) شرح النووي ، ٨ / ٩٣ .

(٢) منهاج السنة النبوية ، ٦/ ٢٥٣ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٣ / ٣٦٥ ح (٤٩٧٨)، قال الشيخ الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٤) أخرجه عبد بن حميد في مسنده المنتخب من مسند عبد بن حميد ، تأليف: عبد بن حميد تحقيق: مصطفى ابن العدوي ، دار بلنسية – الرياض ، الطبعة الثانية (٢٠٠٢م) ، ٢ / ١٦٨ ، ح (١٠٨٩) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ، ٤ / ٣٧٦ ح (١٨٧٧) .

ودعوة الخلق إلى الهدى ، واقتفاء الأثر ، والنهي عن المحدثات ، فإنه بعد أن ذكر طبقة السابقين المتقربين إلى الله بالنوافل ، صرح بأن من كان داعياً غيره إلى الله ، هادياً للخلق ، كان أفضل من غيره من أولياء الله ، كما قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[المجادلة: ١١] ، وبعد ذكر الصحابة ﷺ في مرتبة الولاية ، ذكر بعدها مرتبة العلماء ، يقول الشيخ عبد الرحمن دمشقية: " ولئن كان العلماء هم ورثة الأنبياء ، فإن أول الوارثين أبو بكر ، ثم عمر ، رضي الله عهما؛ لكونهما الأرسخ في العلم ممن سواهما ، فالعلماء الراسخون- من صحابة وغيرهم- مرتبتهم في الولاية تلي مرتبة الأنبياء " [١] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما في بيان مكانة العلماء : " للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام " [٢] .

المرتبة الرابعة: الصالحون :

قال الزجاج:" الصالح هو الذي يؤدي ما افترض عليه ، وإلى الناس حقوقهم " [٣] ، و قال الألوسي: "وأن المراد بالصالحين الصارفين أعمارهم في طاعة الله تعالى ، وأموالهم في مرضاته سبحانه " [٤] ، ومن خلال استعراض الآيات التالية يتبين أن هناك أقسام للأولياء الصالحين إضافة لما سبق ، والآيات هي: قال تعالى:﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ [الواقعة: ٨-١٤]، وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢] ، فالآيات السابقة تحدثت عن ثلاث مراتب للصالحين ، وهم: السابقون المقربون ، وأصحاب اليمين ، والظالم لنفسه .

---

(١) أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمفهوم السني ، ص ١٩ .

(٢) مختصر منهاج القاصدين ، تأليف: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، دار البيان – مؤسسة علوم القرآن ، طبعة (١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م) ، ص ١٣ .

(٣) تفسير البحر المحيط ، ٢ / ٤٦٨ .

(٤) روح المعاني للألوسي ، ٤ / ١٢٦ .

أولاً: السابقون :

قال تعالى:﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾[الواقعة:١٠-١١]، وقال تعالى:﴿ **وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ**﴾[المطففين:٢٧-٢٨]، وقال تعالى:﴿ **فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ**﴾[الواقعة:٨٨-٨٩]، قال ابن القيم رحمه الله في وصف السابقين بالخيرات:" وجملة الأمر أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله ، وغمرت بمحبته ، وخشيته، وإجلاله ، ومراقبته ، فسرت المحبة في أجزائهم ، فلم يبق فيها عرق ، ولا مفصل إلا وقد دخله الحب ، قد أنساهم حب ذكره غيره ، ، وأوحشهم أنسهم به ممن سواه ، قد فنوا بحبه عن حب من سواه ، وبذكره عن ذكر من سواه ، وبخوفه ، ورجائه ، والرغبة إليه ، والرهبة منه ، والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، والسكون إليه ، والتذلل ، والانكسار بين يديه ، عن تعلق ذلك منهم بغيره " (١) ، وقال ابن كثير رحمه الله في وصف السابقين بعد ذكر أقوال كثيرة عنهم في تفسيره: " وهذه الأقوال كلها صحيحة ، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا ، كما قال تعالى:﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[آل عمران:١٣٣] ، وقال:﴿ **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾[الحديد:٢١] ،فمن سابق إلى هذه الدنيا وسبق إلى الخير ، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة ، فإن الجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تدان ، ولهذا قال تعالى:﴿ **أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ [الواقعة: ١١-١٢] (٢) ، فالسابقون هم أطاعوا الله ﷻ، وباعوا أنفسهم، ومالهم ، وحياتهم من أجل الله ﷻ، فكانوا قريبين من الله سبحانه ، ولهم جزاء من الله تعالى ذكرته الآيات ، قال تعالى:﴿ **عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ* مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ* يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ* بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ*لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ* وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ* وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ* وَحُورٌ عِينٌ* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ* جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الواقعة: ١٥ -٢٤].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، تأليف: ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام ، الطبعة الثانية(١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م)، ص ٣٢٠ .
(٢) تفسير ابن كثير ، ٧ / ٥١٧ .

ثانياً: أصحاب اليمين :

قال تعالى:﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ...﴾، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾[الواقعة: ٩٠ – ٩١] ، وقال تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾[المدثر: ٣٩-٤٠] ، يقول ابن كثير رحمه الله:" لما ذكر تعالى مآل السابقين – وهم المقربون– عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين – وهم الأبرار – كما قال ميمون بن مهران: أصحاب اليمين منزلة دون المقربين " [١] .

ثالثاً: الظالم لنفسه :

قال تعالى:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِير ﴾ [فاطر:٣٢] ، قال الإمام ابن الجزي رحمه الله: " قال عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وكعب ، وعائشة ، رضي الله عنهم ، وأكثر المفسرين هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ : فالظالم لنفسه العاصي ، والسابق التقي ، والمقتصد بينهما ، وقال الحسن: السابق من رجحت حسناته على سيئاته ، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته ، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته ، وجميعهم يدخلون الجنة " [٢] ، وقد بين ابن كثير رحمه الله الأصناف الثلاثة التي ذكرتهم الآية السابقة بقوله: " يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم ، المصدِّق لما بين يديه من الكتب ، الذين اصطفينا من عبادنا ، وهم هذه الأمة ، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع ، فقال:" فمنهم ظالم لنفسه"، وهو: المفرّط في فعل بعض الواجبات ، المرتكب لبعض المحرمات ،" ومنهم مقتصد "، وهو: المؤدي للواجبات ، التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ، ويفعل بعض المكروهات ،" ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله " ، وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات ، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات " [٣] ، ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: " هم أمة محمد ﷺ ورّثهم الله كل كتاب أنزله ، فظالمهم يغفر له ، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيرا ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب " [٤] ، وقال ابن تيمية رحمه الله: " وأما الظالم لنفسه فهو من أهل الإيمان ، فمعه ولاية بقدر إيمانه ، وتقواه كما معه من ولاية الشيطان بقدر فجوره ، إذ الشخص الواحد يجتمع فيه

---

(١) تفسير ابن كثير ، ٧ / ٥٢٥ .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ، ص ١٦٣٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ، ٦ / ٥٤٦ .

(٤) المصدر السابق ، ٦ / ٥٤٦ .

الحسنات والسيئات ، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب ، وهذا قول جميع الصحابة ﷺ ، وأئمة الإسلام ، وأهل السنة " (١) .

وعليه فالظالم لنفسه رغم تقصيره ، لكن تناله رحمة الله ومغفرته؛ لوجود الإيمان في حياته، فالله تعالى جعله في بداية المصطفين ، كي لا يقنط من رحمة الله ، ورضوانه .

(١) مختصر الفتاوى المصرية ، ٢ / ٥١ .

المبحث الثاني

خصائص الأولياء

المطلب الأول / خصائص الأولياء عند غلاة الصوفية.

المطلب الثاني / الرد على خصائص الأولياء عند غلاة الصوفية .

المطلب الأول

خصائص الأولياء عند غلاة الصوفية

لقد غالى غلاة الصوفية في الأولياء ، ووصفوهم بأوصاف كثيرة ، وجعلوا لهم خصائص تميزهم عن غيرهم من البشر؛ بل بالغوا في بعضها كثيرا ، وفي هذا المبحث إن شاء الله تعالى سيكون الحديث عن بعض الخصائص التي وصفوا بها أولياءَهم ومن هذه الخصائص:

أولاً: عصمة الأولياء :

يقول ابن عربي: " والنبوة ، والولاية مقامان وراء طور العقل ليس للعقل فيهما كسب بل هما اختصاصان من الله تعالى لمن شاء " [١] ، وبمثل ذلك قال أبو الحسن الشاذلي: " إن من خواص القطب إمداد الله له بالرحمة ، والعصمة " [٢] ، ويقول أبوبكر الواسطي[٣]: " الناس على ثلاث طبقات، الطبقة الأولى: منّ الله عليهم بأنوار الهداية ، فهم معصومون من الكفر ، والشرك، والنفاق ، والطبقة الثانية: منّ الله عليهم بأنوار العناية فهم معصومون من الصغائر ، والكبائر ، والطبقة الثالثة: منّ الله عليهم بالكفاية ، فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة ، وحركات أهل الغفلة " [٤] .

ثانياً: نزول الوحي على أولياء الصوفية ، وكلامهم معهم :

ادعى غلاة الصوفية نزول الوحي عليهم ، والكلام مع الملائكة ، ومن ذلك ، يقول ابن عربي: " ومنها – يعني خصائص الولي – : مكالمته للعالم الأعلى ، ومحادثته لهم " [٥] ، وليس عامة الملائكة فحسب ، بل جبريل عليه السلام أيضاً كما ينص على ذلك الشعراني ناقلاً عن

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ٣١٩ ، نقلاً عن كتاب التراجم لابن عربي ، ص ٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٩ .

(٣) هو محمد بن موسى وأصله من فرغانة وكان يعرف بابن الفرغاني ، من قدماء أصحاب الجنيد وأبي الحسين النوري وهو من علماء مشايخ القوم لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثل ما تكلم هو وكان عالما بالأصول وعلوم الظاهر ، مات سنة ٣٢٠ هـ . (انظر: طبقات الصوفية ، تأليف: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت، طبعة (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) ، ص ٢٣٢ .

(٤) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ٢٣٥ .

(٥) صوفيات خطاب مفتوح إلى حضرة السماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، تأليف: عبد الرحمن الوكيل ، ص ٣٥ ، نقلاً عن كتاب مواقع النجوم لابن عربي ، ص ٨١ .

الشيخ عبد الغفار القوصي أنه قال في كتابه المسمّى بالتوحيد: " أنّ الشيخ تاج الدين بن شعبان كان إذا سأله إنسان في حاجة يقول له: اصبر حتى يجيء جبريل " (١) ، وأما ابن عربي فيجعل لعروجه محاكياً المعراج النبوي الشريف ، ويقول: "بينما أنا نائم ، وسر وجودي متهجد قائم جاءني رسول التوفيق ، ليهديني سواء الطريق ، ومعه براق الإخلاص ، عليه لبد الفوز ، ولجام الإخلاص ، فكشف عن سقف محليّ ، وأخذ في نقضى وحليّ ، وشق صدري بسكين السكينة ، وقيل لي: تأهب لارتقاء الرتبة المكينة ... " (٢) ، وقال أيضا:" اعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار مني ، ولا عن نظر فكري ، وإنما الحق تعالى يملي لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره " (٣) .

ثالثاً: علم الغيب :

ادعى غلاة الصوفية أن أوليائهم يكشف لهم الحجب ، ويطلعون على الغيب ، ولهم أقوال، وقصص كثيرة على ذلك ، فعن أبي سعيد الخراز قال: " دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان فقلت في نفسي: هذا وأشباهه كَلٌّ على الناس ، فناداني ، وقال:﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾[البقرة:٢٣٥] ، فاستغفرت الله في سري فناداني، وقال:﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الشُّورى:٢٥] " (٤) ، و"وسئل الدباغ (٥) أن علماء الظاهر من المحدثين ، وغيرهم اختلفوا في النبي ﷺ ، هل كان يعلم الخمس المذكورات في قوله:﴿ **إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان:٣٤] ؟ ، فقال الدباغ : كيف يخفى أمر الخمس عليه ، والواحد من أهل التصوف

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ١٦٦ ، نقلاً عن كتاب الأخلاق المتبولية للشعراني ، ١ / ٤٥٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٩ ، نقلاً عن كتاب الإسراء لابن عربي ص ١٨ .

(٣) الفكر الصوفي ، ص ٨٥ ، نقلاً عن كتاب اليواقيت والجواهر ٢ / ٢٥ .

(٤) الرسالة القشيرية ، ص ١٠٨ .

(٥) هو أبو فارس عبد العزيز بن مسعود الدباغ الحسني ، (١٠٩٠ - ١١٣٢ هـ) (١٦٧٩ - ١٧٢٠ م) ، متصوف من الأشراف ، ولد وتوفي بقرية فاس ، كان أمياً لا يقرا ، ولا يكتب ، ولأتباعه مبالغةً في الثناء عليه، ونقل الخوارق عنه ، وصنف أحمد بن مبارك اللمطي كتاب " الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز " في شمائله، وما دار بينهما من محاورات ، في جزأين ، (انظر: معجم المؤلفين ، تأليف:عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى- دار إحياء التراث العربي- بيروت ، ٥/٢٦٢ ، وانظر: الأعلام للزركلي ، ٤ / ٢٨) .

من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس " [١] ، من ذلك تصرف الشيخ عبد الله الدهلوي [٢] في باطن المريدين ، وإلقاء الفيوضات ، والأسرار في صدورهم ، ومن كراماته أيضاً أن زوجة أحد أصحاب هذا الشيخ قد مرضت ، فالتمس من حضرته أن يدعو الله تعالى بتخفيف مرضها فلم يفعل ، فألحّ عليه ، فقال له: لا تبقى هذه المرأة أكثر من خمسة عشر يوماً، فبقدرة الله تعالى توفيت يوم الخامس عشر " [٣] ، أما أحمد الرفاعي [٤] فنقلوا عنه أنه قال: " إن العبد ما يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث، ثم ترتفع صفته إلى أن تصير صفة من صفات الحق ، فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ، ولا تخضر ورقة إلا بنظره ، ويتكلم هناك عن الله بكلام لا تسعه عقول الخلائق " [٥] .

رابعاً: الكشف :

بما أن غلاة الصوفية يقروا مبدأ الإطلاع على الغيب فإنهم كذلك يؤمنون بقضية الكشف، والتلقي عن الله مباشرة دون واسطة ، وذلك كالتالي :

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ١٧٩ ، نقلاً عن كتاب الإبريز ، ص ١٦٧ .

(٢) هو الشيخ عبد الله بن محمد الدهلوي ، من أهل دلهي له العباب في شرح اللباب في النحو ، وشرح تنقيح الأصول للمحبوبي ، الهندي المعروف بشاه غلام علي ، وهو شيخ إرشاد وسلوك عند الصوفية ، وهو شيخ مشايخ السادة النقشبندية ، توفي (٧٥٠ هـ – ٦٣٤٩ م)، انظر: (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، تأليف: عبد الرزاق البيطار ، ص ٤١٠) .

(٣) الطريقة النقشبندية ، للشيخ عبد الرحمن محمد سعيد دمشقية ، ص ٩٣ ، نقلاً عن كتاب جامع كرامات الأولياء، ٢ / ١٢٩ ، تم تحميل الكتاب من موقع الفرقان www.frqan.com .

(٤) هو أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني ، أبو العباس: الإمام الزاهد ، مؤسس الطريقة الرفاعية ، ولد في قرية حسن (من أعمال واسط – بالعراق)، (٥١٢ – ٥٧٨ هـ ، ١١١٨ – ١١٨٢ م)، وتفقه وتأدب في واسط ، وتصوف فانضم إليه خلق كثير من الفقراء كان لهم به اعتقاد كبير ، وكان يسكن قرية أم عبيدة بالبطائح (بين واسط والبصرة) ، وتوفي بها ، وقد صنف كثيرون كتباً خاصة به وبطريقته وأتباعه ، (انظر: الأعلام للزركلي ، ١ / ١٧٤) .

(٥) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ١٧٩ ، نقلاً عن كتاب قلادة الجواهر ، ص ١٤٨ .

تعريف الكشف الصوفي :

لغةً: الكشف رفعك الشيء عما يواريه ، ويغطيه ، كشفه يكشفه كشفا ، وكشفه فانكشف ، يقال: تكشف البرق إذا ملأ السماء ، وكشف الأمر يكشفه كشفا أظهره ، والكشف مصدر الأكشف ، وهو الذي لا ترس معه كأنه منكشف غير مستور (١) .

اصطلاحاً: جاء في التعريفات للكشف أنه : " الاطلاع على ما وراء الحجب من المعاني الغيبية ، والأمور الحقيقية وجودا ، أو شهوداً " (٢) ، وأيضاً : "هو العلم الصحيح ، وهو ما يقذفه الله في قلب العالم ، وهو نور إلهي يختص به من يشاء من عباده ، من ملك ، أورسول ، أو نبي ، أو ولي ، ومؤمن ، ومن لا كشف له لا علم له ، حيث يكشف الله للمختلي جميع أشياء الكون في السماوات والأرض من المخلوقات جميعا ، ونبات ، وحيوان ، عالم علوي ، وعالم سفلي" (٣) ، أو هو : " رفع الحجب أمام قلب الصوفي ، وبصره ليعلم ما في السماوات ، والأرض جميعا ، فلا تسقط ورقة إلا بنظره ، ولا تقع قطرة ماء من السماء إلا بعلمه ، ولا يولد مولود ، أو يعقد معقود ، أو يتحرك ساكن ، أو يسكن متحرك إلا بعلم الصوفي ، ولا يحدث شيء إلا بعلمه ، ويكون الكشف في غالب الأحيان أثناء اليقظة التامة غالبا ، أو أثناء المنام " (٤) ، ويدلل على تعريف الكشف ما تناقله الغلاة من أقوال عنه منها ، يقول الشعراني: "(فإن قلت) فما صورة وصول الأولياء إلى العلم بأحوال السماوات (فالجواب): يصل الأولياء إلى ذلك بانجلاء مرآة قلوبهم كما يكشفون عن أحوال أهل الجنة ، وأهل النار بحكم الإرث لرسول الله ﷺ لما رأى الجنة ، والنار في صلاة الكسوف ، ورأى في النار عمرو بن لحي ، الذي سيب السوائب " (٥) ، وقال أبو سعيد الخراز: " إذا أراد الله أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره ، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس، ثم جعله على كرسي التوحيد، ثم رفع

---

(١) لسان العرب ، ٩ / ٣٠٠ .

(٢) التعريفات ، ص ٢٣٧ .

(٣) (انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ص ٧٩٠) .

(٤) انظر بتصرف: الفكر الصوفي ، ص ٤٨ .

(٥) الفكر الصوفي ، ص ٦٠ ، نقلاً عن كتاب اليواقيت والجواهر ، ص ٨٨ ، السوائب: جمع سائبة ، وهي الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها إلا ولدها ، أو الضيف حتى تموت فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعاً (انظر: لسان العرب ، ١ / ٤٧٧) .

عنه الحجاب، وأدخله دار الفردانية " [(١)] ، وكشف له حجاب الجلال والعظمة ، وإذا وقع بصره على الجلال ، والعظمة بقي بلا هو فحينئذ يصير العبد زمنا فانيا " [(٢)] ، وفي القشيرية ما نصه:" أن الله يفتح للعارف ، وهو على فراشه مالا يفتح لغيره ، وهو قائم يصلي " [(٣)] ، ويقول ابن عجيبة :" إن الحق سبحانه قسّم الخلق قسمين ، وفرقهم فرقتين: قسم اختصهم بمحبته ، وجعلهم من أهل ولايته ، ففتح لهم الباب ، وكشف لهم الحجاب ، فأشهدهم أسرار ذاته ، ولم يحجبهم عنه بآثار قدرته " [(٤)] ، وقال ابن عربي:" اعلم أن علومنا، وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر، وإنما هي من الفيض الإلهي " [(٥)] ، ويقول ابن عربي: " ورب حديث يكون صحيحاً عن طريق رواته حصل لهذا الكاشف الذي عاين هذا المظهر فسأل النبي ﷺ عن هذا الحديث فأنكره ، وقال له: لم أقله ، ولا حكمت به فيعلم ضعفه فيترك العمل به على بينة من ربه ، وإن كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه ، وهو في نفس الأمر ليس كذلك.. " [(٦)]، ويقول أبو الحسن الشاذلي: " من اتقى الشرك في التوحيد ، والمحبة في أول خطواته عزم الله بالمدد العزيز في أواخر ما مر به ، ثم لا يحجب عن الله ، ولا يدخل عليه خلل في عزائمه " [(٧)] .

خامساً: رؤية الله ، ومناجاته :

يعتقد غلاة الصوفية بأنهم يرون الله تعالى ، إما يقظةً ،أو مناما ، وذلك لما سبق من تقرير مبدأ الكشف ، وعلم الغيب ، ومن الأدلة التي تقرر هذا الاعتقاد ما ذكره القشيري قال: " وقيل: رأى أحمد بن خضروية [(٨)] ربه في المنام ، فقال: يا أحمد ، كل الناس يطلبون مني ، إلا

---

(١) التفريد: هو كل إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم ، لا تسعها العبادة ، وقد يطلق بإزاء النفس الناطقة ، انظر: موسوعة مصطلح التصوف الإسلامي ، ص ١٨٧ .

(٢) تنوير القلوب ، ص ٥١٠ .

(٣) الرسالة القشيرية ، ص ١٤٢ .

(٤) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ١٧٧ ، نقلاً عن كتاب إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص ٧٧ .

(٥) الفكر الصوفي ، ص ٥٨ ، نقلاً عن كتاب اليواقيت والجواهر لابن عربي ، ٢ / ٢٤ ، مصطلح الفيض : عبارة عمّا يُفيد التجلّي الإلهي ويتعين ذلك ويتقيد بحسب المتجلي ، والتجلّي ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، (انظر بتصرف : التعريفات للجرجاني ، ص ٢١٨) .

(٦) الصوفية والوجه الآخر ، تأليف الدكتور: محمد جميل غازي ، ص ٢٦ .

(٧) درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ١٣٨ .

(٨) هو أبو حامد أحمد بن خضروية البلخي ، توفي سنة ٢٤٠ه ، و هو من كبار مشايخ خُراسانَ. صحب أبا تُرابٍ النَّخْشَبِي ، و حاتماً الأصم ، وأبا يزيد البسطامي ، وهو من مَذكوري مشايخ خُراسانَ بالفُتُوَّة. (انظر: سير أعلام النبلاء ، ١١ / ٤٨٨) .

أبا يزيد فإنه يطلبني " (١) ، ويقول إبراهيم الدسوقي:" أنا في السماء شاهدت ربي ، وعلى الكرسي خاطبته ، أنا بيدي أبواب النار أغلقتها ، وبيدي جنة الفردوس فتحتها ، من زارني أسكنته جنة الفردوس ، وما كان ولي متصلاً بالله إلا ، وهو يناجي ربه كما كان موسى يناجي ربه " (٢) ، وقول ابن عربي:" حدثني قلبي عن ربي ، في كتبه ، ورسائله ، وما صنفت كتاباً عن تدبير ، واختيار إلا بأمر من الله ، وإرشاده " (٣) ، ويقول الدباغ: " وكلام الحق سبحانه يسمعه المفتوح عليه إذا رحمه الله ﷻ سماعاً خارقا للعادة فيسمعه من غير حرفه ، ولا صوت ، ولا إدراك لكيفية ، ولا يختص بجهة دون جهة ، بل يسمعه من سائر الجهات " (٤) ، وحكي عن أبي يزيد أنه قال: " رأيت رب العزة في المنام ، فقلت: يا رب كيف الطريق إليك ؟ فقال: خلّ نفسك، وتعال " (٥) .

سادساً: الجلوس مع النبي ﷺ :

وينقل الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه عن عبد العزيز الدباغ قوله:" واعلم وفقك الله أن الولي المفتوح عليه يعرف الحق ، والصواب ، ولا يتقيد بمذهب من المذاهب ، ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة ، وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي ﷺ طرفة عين، ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله في أحكامه التكليفية ، وغيرها " (٦) ، وينقل لنا صاحب تنوير القلوب قصة بقوله: " ومن ذلك ما تواتر عن القطب الرفاعي حتى صار معلوماً بالضرورة في حالة زيارته للقبر الشريف من قوله:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبّل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

ويزعم أتباعه أن النبي ﷺ خرج من قبره ، ومد له يده من بين حديد شباك القبر فقبلها الرفاعي، وشاهد ذلك الحاضرون من العارفين " (٧) .

---

(١) الرسالة القشيرية ، ص٣٦٩ .
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ،١ / ١٨٠ .
(٣) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ١٧٥ ، نقلاً عن كتاب تنبيه المغترين للشعراني ، ص ١٣٦ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٧٥ ، نقلاً عن كتاب الإبريز ، ص ١٥٦ .
(٥) تنوير القلوب ، ص ٤٤٧ .
(٦) الفكر الصوفي ، ص ١٠٤ ، نقلاً عن كتاب الإبريز ص ١٩٢ .
(٧) تنوير القلوب ، ص ٨٢ .

سابعاً: الجلوس مع الخضر عليه السلام **:**

يعتقد غلاة الصوفية بأن الخضر عليه السلام حي ، ويلتقون معه ، ويحدثهم ، ومن الأدلة على ذلك يقول الجيلي: " واعلم أن الخضر عليه السلام قد مضى ذكره فيما تقدم ، خلقه الله تعالى من حقيقته:﴿ **ونفخت فيه من روحي**﴾، فهو روح الله ، فلهذا عاش إلى يوم القيامة ، اجتمعت به وسألته ، ومنه أروي جميع ما في هذا البحر المحيط " [(١)] ، وعن عمر بن سنان قال: اجتاز بنا إبراهيم الخواص فقلنا: حدثنا بأعجب ما رأيت في أسفارك ، فقال: لقيني الخضر عليه السلام فسألني الصحبة فخشيت أن يفسد علي توكلي بسكوني عليه ففارقته " [(٢)] ، " إن للصوفية في الخضر عليه السلام اعتقاداً شاذاً وغريباً.. فهم يقولون أنه ولي لا نبي ، كما يزعمون أنه مازال حياً يرزق ، وعلى هذه العقيدة الفاسدة أقاموا مزاعمهم التي تؤكد أن الولي أعلم من النبي ، لماذا ؟ ؛ لأن موسى عليه السلام ذهب إلى الخضر ليتعلم منه ، وأنه قد تعلم منه فعلاً أموراً قد فصلتها سورة الكهف" [(٣)] ، يقول صاحب كتاب الفكر الصوفي: زعموا أن الخضر حي إلى أبد الدهر ، وأنه صاحب شريعة وعلم باطني يختلف عن علوم الشريعة الظاهرية ، وأنه وليّ وليس بنبي ، وأن علمه علم لدني موهوب له من الله بغير وحي الأنبياء ، وأن هذه العلوم تنزل إلى جميع الأولياء في كل وقت قبل بعثة الرسول محمد ﷺ وبعد بعثته ، وأن هذه العلوم أكبر وأعظم من العلوم التي مع الأنبياء؛ بل وعلوم الأنبياء لا تدانيها ولا تضاهيها ، فكما أن الخضر وهو وليّ فقط في زعمهم كان أعلم من موسى فكذلك الأولياء من أمة محمد هم أعلم من محمد ﷺ ؛ لأن محمداً عالم بالشريعة الظاهرة فقط ، والولي عالم بالحقيقة الصوفية ، وعلماء الحقيقة أعلم من علماء الشريعة ، وزعموا كذلك أن الخضر يلتقي بالأولياء ، ويعلمهم " [(٤)] .

ثامناً: سقوط التكاليف الشرعية :

بما أن غلاة الصوفية يكشف لهم الحجاب ، ويلتقون الملائكة ، والنبي ﷺ ، ويشاهدون الخضر عليهم السلام ، فلا غرابة أن يدعي بعضهم سقوط أحكام الشريعة عنهم ، يقول أبو الحسن الأشعري رحمه الله:" وفى النساك قوم يزعمون العبادة تبلغ بهم إلى منزلة تزول عنهم العبادات ، وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم من الزنا ، وغيره مباحات لهم ، وفيهم من يزعم أن العبادة تبلغ بهم أن يروا الله سبحانه ، ويأكلوا من ثمار الجنة ، ويعانقوا الحور العين

---

(١) الفكر الصوفي ، ناقلاً الكلام عن الجيلي ص ٥٤ .

(٢) تنوير القلوب ، ص ٤٥٣ .

(٣) الصوفية والوجه الآخر ، ص ٣٢ .

(٤) انظر بتصرف: الفكر الصوفي ، ص ٤٤ .

في الدنيا ، ويحاربوا الشياطين ، ومنهم من يزعم أن العبادة تبلغ بهم إلى أن يكونوا أفضل من النبيين ، والملائكة المقربين " [١]، وما قاله أحد غلاتهم: " يبلغ الولي مبلغاً يقال له أصحبناك السلامة ، وأسقطنا عنك الملامة فاصنع ما شئت " [٢]، ويقول الدباغ في بيان الرخصة للولي في هذا الباب : " واعلم وفقك الله أن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ، ولا يتقيد بمذهب من المذاهب ، ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة ، وكيف لا ؟ ، وهو الذي لا يغيب عنه النبي ﷺ طرفة عين ، ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله في أحكامه التكليفية، وغيرها ، وإذا كان كذلك فهو حجة على غيره ، وليس غيره حجة عليه؛ لأنه أقرب إلى الحق من غير المفتوح عليه " [٣] ، وينقل الشيخ إحسان ظهير عن سقوط التكاليف عند غلاة الصوفية: " فإن المحافظة على الجمع ، والجماعات من علامات الولاية، لا كما يظن الصوفية الذين يرون الشيخ يتخلف عن الجمع ، والجماعات ، ويظنون فيه ولاية الله كالشيخ محمد العدل الذي بقي سنة كاملة لا يحضر جمعة ولا جماعة ، والشيخ الشربيني الذي كان لا يحضر الصلوات أبداً ، ولما طلب منه جماعة من الفقهاء أن يذهب معهم لصلاة الجمعة اعتذر، وقال: ما لي عادة بذلك، فلما أنكروا عليه ، قال: نذهب اليوم لأجلكم ، ويذكر الشعراني صوفياً آخر صاحب كشف، فيقول: " سيدي شريف كان يأكل في نهار رمضان، ويقول أنا معتوق، أعتقني ربي " [٤] .

تاسعاً: الأولياء عندهم أحياء في قبورهم :

ذكر الشعراني أن غالب الأولياء لهم السراح والإطلاق في قبورهم ، وأنهم يذهبون ، ويجيئون متى شاءوا ، ثم حكى عن نفسه: " أنه ذهب إلى قبر ابن الفارض فلم يجده في قبره ، ثم جاء ابن الفارض ، وقال له: أعذرني فإني كنت في حاجة " [٥] ، و يقول الشعراني: "إن سبب حضوري مولد أحمد البدوي كل سنة أن شيخي العارف بالله تعالى محمد الشناوي أحد أعيان بيته رحمه الله قد كان أخذ علي العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد ، وسلمني إليه بيده ، فخرجت اليد الشريفة من الضريح ، وقبضت على يدي ، وقال: يا سيدي يكون خاطرك عليه ،

---

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تأليف: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، تحقيق: هلموت ريتر ، ص ٢٨٩ .

(٢) درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ١٠٣ .

(٣) الفكر الصوفي ، ص ١٠٤ ، نقلاً عن كتاب الإبريز للدباغ ، ص ٢٠٣ .

(٤) التصوف المنشأ والمصادر ، ص ٢٧٣ ، وطبقات الشعراني ، ٢ / ١٥١ .

(٥) انظر: أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمفهوم السني ، ص ٨٠ ، نقلاً عن كتاب لطائف المنن ، ص ٢٣٢ .

واجعله تحت نظرك ، فسمعت سيدي أحمد من القبر يقول: نعم " (١) ، وعن أبي يعقوب السوسي يخبره أنه سيموت غداً ظهرا ، وأوصاه بدفنه ، فلما وضعه في اللحد فتح عينيه ، فقال أبو يعقوب: أحياة بعد الموت ؟ فقال: أنا حي ، وكل محب لله حي " (٢) ، ويقول صاحب تنوير القلوب: " إن الله يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج ، وتارة يخرج الولي من قبره ، ويقضيها بنفسه " (٣) ، ويقول: " وأما تصرف الموتى وصدور أمور منهم بقدرة الله تعالى فقد روى أن رسول الله ﷺ بعد قتل جعفر قال: " عرفت جعفراً في رفقة من الملائكة يبشرون أهل بيشة بالمطر " رواه ابن عدي وبيشة بكسر الباء بلدة باليمن" (٤) ، ويذكرون أن الأولياء بعد الموت لهم حرية التصرف كما لو أنهم أحياء ، يقول الكردي:" إن الأولياء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم " (٥) .

عاشراً: التوسل بالأولياء ، والصالحين ، وأهل القبور:

من الطامات الكبرى في عقيدة الغلاة ، الاستغاثة بالأموات ، وأهل القبور ، والصالحين، وأحياناً الأنبياء ، وهذا ضلال كبير ، والعياذ بالله ، ومن قصصهم ، واستدلالاتهم ، يقول ابن عجيبة: " فإن تعذر على المريد الوصول إلى الشيخ ، وقد عرض له مرض ، أو أمر ، فليشخص شيخه بين عينيه بصفته ، وهيئته ، ويشكو له فإنه يبرأ بإذن الله ، وإن كان مع جماعة، واستحيا ، فليشتكي إليه في قلبه " (٦)، ويقول الصيادي الرفاعي: " إن السلف الصالح ﷺ صح عندهم التوسل بأهل بيت رسول الله ، وأولياء الله ، واتخذوا زيارة مقابرهم ، والتوجه إليهم ، والتوسل إلى الله بجاههم ذريعة لقضاء حوائجهم " (٧) ، وينقل صاحب تنوير القلوب عن أحد الشيوخ فيقول: " لما جلست بين يدي رسول الله ﷺ في هذه الزيارة تذكرت ما يعانيه أهل مصر ، وأهل الحجاز من هذين الجريئين – يقصد والي ظالم بمكة ، وبمصر عالم مشهور – فغلبني البكاء ، ورفعت الأمر بالقلب إلى رسول الله ﷺ ، واستغثته على هذين العاديين ، ودامت

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ، ١ / ١٦١ .

(٢) الرسالة القشيرية ، ص ١٤٠ ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تأليف: محمد الكلاباذي أبو بكر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، طبعة (١٤٠٠ هـ) ، ص ١٥٨ .

(٣) تنوير القلوب ، ص ٣٩٩ .

(٤) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير وزيادته ، ١ / ٨١٥ ح (٨١٤٥) ، وضعفه الإمام الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير ، ١٧ / ٢٩٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .

(٦) صوفيات حجازية ، ص ٥١ ، نقلاً عن كتاب الفتوحات الإلهية ، ٣٣٩ .

(٧) أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمفهوم السني ، ص ١١٧ ، نقلاً عن كتاب قلادة الجواهر، ص ٤٣٩ .

هذه الجلسة ساعات من الليل ، وأنا بحمد الله مستغرق في أنواره ، متمتع بمطالعة ما شاء الله من بوارق جماله ﷺ ، طالب من همته العلية النظر في هذا الشأن الخطير ... " [١] ، ويقول الشاذلي في الطلب بجاه النبي ﷺ ، وغيره من الأنبياء ، والصالحين: " اللهم إني أسألك بجاه سيدنا محمد المصطفى ، وإبراهيم الذي وفى ، وبحرمة كل نبي ، ورسول ، وصديق ، وولي ، وشهيد ، وصالح ، وتقي ، وبحرمة عظيم الأسماء ، والأسماء كلها " [٢] ، ويذكر الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق عن معتقدهم: " وللقبر شأن عظيم عند غلاة الصوفية عموما ، فهو الوسيلة إلى الله ، وهو موطن البركات ، وموضع قضاء الحاجات ، والمتوجه إليه في الدعوات " [٣].

---

(١) تنوير القلوب ، ص ٣٧ .

(٢) درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ١١٨ .

(٣) الطريقة النقشبندية ، ص ١٧ ، نقلاً عن كتاب الأنوار القدسية ، ص ٧ .

المطلب الثاني

الرد على خصائص الأولياء عند غلاة الصوفية

سبق الحديث عن ذكر صفات الأولياء عند غلاة الصوفية ، وأما خصائص الأولياء عند السلف سيكون بالرد علي غلاة الصوفية فيما ذهبوا إليه ، واشتطّوا فيه بذكر الأدلة من القرآن والسنة ، وأقوال السلف الصالح .

أولا: الرد على العصمة:

وقد سبق في موضوع الرسالة الحديث عن العصمة في بيان الفرق بين النبوة ، والولاية، وتم الرد عليه (١) .

ثانياً: الرد على نزول الوحي ، والملائكة عليهم:

لقد انقطع الوحي ، ولم ينزل جبريل بعد النبي ﷺ ، ولا ينزل إلا على نبي ، أما في ليلة القدر فينزل هو ، والملائكة عليهم السلام ، ويشهد بذلك القرآن الكريم ، قال تعالى:﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ** ﴾ [القدر:٤] ، و قال الله ﷻ:﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ [الأحزاب:٤٠] ، و قال النبي ﷺ : " **وَلاَ نَبِيَّ بَعْدِي** " (٢) ، فإن كان المقصود بنزول جبريل عليه السلام نزوله بالوحي ، فهذا غير صحيح؛ لأن الوحي – وحي النبوة – قد انقطع بوفاة الرسول ﷺ ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: **قَالَ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه **بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ** رضي الله عنه : **انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَت ، فَقَالا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ ، فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنْ السَّمَاء ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا** " (٣) ، أما نزوله ليلة القدر فهذا ثابت كما سبق ، أما أن جبريل ينزل على أولياء الصوفية ، أو غيرهم فهذا مرفوض ، وبخصوص رؤية بعض الناس للملائكة قد تقع أحيانا لحكمة أرادها الله تعالى على شكل رجال طبيعيين ، فقد رأى الصحابة رضي الله عنهم، وهم عند النبي ﷺ جبريل على هيئة رجل حسن الهيئة ، كما

---

(١) سبق الحديث عن العصمة في الرسالة ، ص ٥٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ٤ / ١٦٨ ح (٣٤٥٠) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أم أيمن ، ٧ / ١٤٤ ح (٦٤٧٢) .

في حديث الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، فقال النبي ﷺ عنه لصحابته الكرام :" **فإنَّه جبريل أتاكم يُعلِّمُكم دينَكُمْ** " [(١)] ، ورأى بعض الصحابة ﷺ الملائكة تقاتل في غزوة أحد ، فعَنْ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: " **رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ ، عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيَاضٍ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْل ، ولا بَعْد ، يَعْنِي جِبْرِيل ، ومِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَام** " [(٢)] ، وقد ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ :" **أَنَّ رَجُلا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَال: أَيْنَ تُرِيد ؟ قَال: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، قَال: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ، قَال: لا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ ﷻ ، قَال: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**" [(٣)] ، أما ما يدّعيه غلاة الصوفية من رؤيتهم للملائكة ، وجلوسهم معهم فهذا يلزمه سند صحيح يثبت صحة ما يدعون ، فرؤية الصحابة ﷺ للملائكة كانت برؤيتهم على هيئة بشر ، والصحابة ﷺ أفضل الأولياء كانوا لا يرون الملائكة على صورتها الحقيقية فكيف تثبت لمن بعدهم ، وعلى هيئتها الحقيقية ، فهذا يفتقر إلى دليل مسند .

ثالثاً: الرد على علم الغيب :

يعتبر الإيمان بالغيب من أصول الدين ، وقواعد الإيمان ، ويجب على المسلم أن يعتقد أن الغيب لا يعلمه إلا الله وحده ﷻ، وأنه يُطْلع سبحانه من شاء من الغيب على ما يشاء من أنبيائه ، ورسله فقط ، والأنبياء كسائر البشر لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله إياه ، فقد قال ﷻ لرسوله:﴿ **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف:١٨٨] ، وقال ﷻ:﴿ **عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾ [الجنّ:٢٦-٢٧] ، وقال تعالى:﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾ [الأنعام: ٥٩] ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: " **مفَاتِحُ**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، ١ / ٢٨ ح (١٠٢) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب ال فضائل ، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي يوم أحد ،٧ / ٧٢ ح (٦١٤٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب في فضل الحب في الله ،١٢/٨ح (٦٧١٤).

الْغَيْبِ خَمْس ، لا يَعْلَمُهَا إلا اللَّه ... الحديث " (١) ، والحديث يقرر قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٣٤] ، وعَنْ مَسْرُوقٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ ؟ فَقَالَتْ:" **لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْت ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلاثٍ؟ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَب ، مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا** ﷺ **رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَب ، ثُمَّ قَرَأَت:** ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشُّورى:٥١]، **وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَب ، ثُمَّ قَرَأَتْ:** ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان:٣٤] ، **وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَب ، ثُمَّ قَرَأَتْ:**﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧] ، **وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ** عليه السلام **فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ**"(٢)، وعَنْ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ ﷺ يَقُول: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُول: " **أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْض ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْه ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا ، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُم ، ويَعْرِفُونِي ، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي ، وبَيْنَهُم ، قَالَ أَبُو حَازِم: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاش ، وأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا ، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلا؟ فَقُلْت:نَعَم ، قَال: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ قَالَ إِنَّهُمْ مِنِّي ، فَيُقَال: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُول: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي**" (٣) ، فلا يعلم الغيب في السموات والأرض في الماضي، أو الحاضر ، أو المستقبل إلاَّ الله تعالى .

فالآيات ، والأحاديث قاطعة بأنه لا يعلم أحد في السموات ، والأرض الغيب إلا الله لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، وأنه لا يعلم أحد من هؤلاء الغيب إلا ما أطلعه الله سبحانه عليه، يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق: " فهاهم الملائكة يخلق الله آدم ، ولا يعلمون الحكمة من خلقه ، ويعرض الله عليهم مسميات معينة ، ويقول لهم أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، فيقولون: ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]، ويُعلّم الله آدم النبي الأسماء فيعلمها لهم ، وهؤلاء الأنبياء لا يعلمون الغيب بنص القرآن ، وبمئات بل بآلاف

---

(١) سبق تخريجه ، ص ١٤٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب وقال مجاهد ذو مرة ، ٦ / ١٤٠ ح (٤٨٥٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في قول الله تعالى:" واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " ، ٩ / ٤٦ ح (٧٠٥٠) .

الوقائع ، فنوح عليه السلام لم يعلم أن ابنه ليس من أهله ، وأن زوجته على غير دينه ، وإبراهيم عليه السلام لم يعلم بأنه يولد له ولد من زوجته سارة إلا بعد أن جاءته الملائكة ، ولقد جاءته الملائكة في صورة بشر فذبح لهم عجلا ، وقربه إليهم ، وهو لا يعلم حقيقتهم حتى أعلموه ، ولم يكن يعرف مقصدهم حتى أعلموه أنهم ذاهبون لتدمير قرى لوط ، وأما لوط عليه السلام فإنه ساءته رؤية الملائكة علماً أنهم قد أتوا لإنجائه وإنجاء أهله ، ولم يعلم حقيقة أمرهم إلا بعد أن علموه ، ولم يكن له كشف خاص ، ولا علم خاص يستطيع أن يعرف من القوم ، وأما محمد ﷺ فقد حدث له مئات بل آلاف الوقائع التي تدل يقيناً أنه لم يكن يعلم في الغيب إلا ما أعلمه الله إياه.. " [١] ، وبادّعائهم علم الغيب فيه ضرب من الكهانة، والعرافة ، وهذا نهى عنه النبي ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **من أتى كاهناً ، أو عرافاً ، فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ " [٢] ، وعَنْ صَفِيَّةَ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " **مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً** " [٣] ، والقصص التي تناقلوها لا تخلو من خرافات ، ومزاعم باطلة ، يرفضها العقل ، والشرع .

رابعاً: الرد على الكشف عند الصوفية :

يعتبر الكشف من صفات الأولياء التي يعتقدها غلاة الصوفية ، ويؤمنون بها ، والكشف الذي يزعمه الصوفية فيه مبالغة عظيمة ، ويظهر ذلك من خلال كلامهم عنه ، وقصص كراماتهم، وهذا الكشف نتج عنه ادّعاء علم الغيب في حين أفضل الخلق ، وهم الأنبياء ، والصحابة رضي الله عنهم لم يستدلوا بالكشف على وقائعهم ، وعلمهم بالمسائل؛ بل إن النبي ﷺ كان لا يجعلهم يعتمدون على وحي الكشف كما يزعم الغلاة ، ومن هذه الدلائل ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَجُلا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطُفُ**[٤] **السَّمْن ، والْعَسَل ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِل ، وَإِذَا سَبَبٌ وَاصِلٌ مِنْ الأَرْضِ إِلَى السَّمَاء ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْت ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلا بِه ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلا بِه ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَع ، ثُمَّ وُصِل ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه : **يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَاللَّهِ لَتَدَعَنِّي فَأَعْبُرَهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ : **اعْبُرْهَا قَال: أَمَّا الظُّلَّةُ فَالإِسْلام ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطُفُ مِنْ الْعَسَل ، والسَّمْن ، فَالْقُرْآنُ حَلاوَتُهُ تَنْطُفُ فَالْمُسْتَكْثِرُ مِنْ الْقُرْآن ، والْمُسْتَقِل ،**

---

(١) الفكر الصوفي ، ص ٤٧ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٢ / ٢٩ ح (٩٥٣٢) ، قال الأرنؤوط: حسن رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، ٧ / ٣٧ ح (٥٩٥٧) .

(٤) تنطف: تقطر ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، الجزري ابن الأثير ، ٥ / ١٢٦ .

وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْض ، فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللَّه ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِه ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِه ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِه ، ثُمَّ يُوَصَّلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْت ، أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ ؟ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا ، قال: فَوَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَتُحَدِّثَنِّي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ قال: لا تُقْسِمْ " (١) ، فأبو بكر ﷺ فسر الرؤيا دون كشف فلو كانت كشفاً لما رده النبي ﷺ في بعض التفسير ، ولقبل منه تفسيره؛ لأنه كشف من الله تعالى ، ولقد رأى الصحابة ﷺ رجلاً من المسلمين يقاتل المشركين بقوة حتى أعمل فيهم القتل ، فأعجبوا لشجاعته وأثنوا عليه ، فقال النبي ﷺ :" **إن هذا من أهل النار**" ويدل على ذلك من أحاديث النبي ﷺ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِه ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلى عَسْكَرِهِم ، وَفِي أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لا يَدَعُ لَهُمْ شاذَّةً وَلا فَاذَّةً إِلاَّ اتَّبَعَهَا يَضْرِبُها بِسَيْفِه ، فَقالُوا ما أَجْزَأَ مِنّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَما أَجْزَأَ فُلان ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَما إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَقالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنا صَاحِبُهُ قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّما وَقَفَ وَقَفَ مَعَه ، وَإِذا أَسْرَعَ أسرع مَعَه ، قَالَ فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْض ، وَذُبابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحامَلَ عَلى نَفْسِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ قَالَ: وَما ذَاكَ ؟ قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِك ، فَقُلْتُ: أَنا لَكُمْ بِه ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِه ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْت ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْض ، وَذُبابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْه ، ثُمَّ تَحامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِك : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيما يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّار، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيما يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهْوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ** " (٢) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلا فِضَّةً إِلا الأَمْوَالَ وَالثِّيَابَ وَالْمَتَاعَ فَأَهْدَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ يُقَالُ لَهُ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ غُلامًا يُقَالُ لَهُ: مِدْعَمٌ، فَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى وَادِي الْقُرَى ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِوَادِي الْقُرَى بَيْنَمَا مِدْعَمٌ يَحُطُّ رَحْلاً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَهْمٌ عَائِرٌ فَقَتَلَه ، فَقَالَ النَّاس: هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّة ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " **كَلا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ، أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ، أَوْ شِرَاكَانِ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التعبير ، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب ، ٩ / ٤٣ ح (٧٠٤٦) .

(٢) سبق تخريجه ، ص ٥٨ .

مِنْ نَارٍ" [(١)] ، فلو كان الكشف مصدر التلقي لعلم الصحابة ﷺ حقيقة هذا الرجل؛ لأنهم أولياء الله تعالى ويكشف لهم ، فدل على أن هذا مرفوض أيضاً .

أما الاستدلال بقصة سارية الذي أخبره عمر بن الخطاب ﷺ بأن الجيش يحيط به [(٢)] رغم أن عمرَ ﷺ كان ملهماً، إلا أنه لم يكن يستدل بالكشف على الاستدلال بأحكام الشرع ، ومحاسبة الناس ، فقد ورد عنه ﷺ قوله: " **إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَع ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاه ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْء ، اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِه ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْه ، وَلَمْ نُصَدِّقْه ، وَإِنْ قَالَ:إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ** " [(٣)] ، وما قام به عمرﷺ كرامة من الله تعالى ليس وحياً ، أو كشفاً ، وعمر ﷺ كان محدثاً [(٤)] .

وقد سبق في أقوالهم قول ابن عربي عن الحكم على الحديث بمجرد الكشف كونه صحيحاً، أو ضعيفاً ، وبزعمه هذا يكون قد أسقط أصل عظيم من أصول الدين ألا وهو السند ، فالسند يعتبر ميزان صحة ، أو ضعف الحديث ، يقول ابن القيم رحمه الله:" ومن أحالك على غير أخبرنا ، وحدثنا فقد أحالك إما على خيال صوفي ، أو قياسٍ فلسفي ، أو رأيٍ نفسي ، فليس بعد القرآن ، وأخبرنا ، وحدثنا إلا شبهات المتكلمين ، وآراء المنحرفين ، وخيالات المتصوفين ، وقياس المتفلسفين ، ومن فارق الدليل ضل عن سواء السبيل ، ولا دليل إلى الله ، والجنة سوى الكتاب والسنة ، وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة فهي طريق الجحيم ، والشيطان الرجيم " [(٥)] ، وبزعمهم هذا تعطيل لصفة طلب العلم التي حث عليها القرآن ، قال تعالى:﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [طه:١١٤] ، وقوله تعالى:﴿ **يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [المجادلة:١١] ، وعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **يا أيها الناس ، إنما العلم بالتعلم ، والفقه بالتفقه ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، وإنما**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأيمان ، باب هل يدخل في الأيمان والنذور الأرض والغنم والزروع والأمتعة ٨ / ١٤٣ ، ح (٦٧٠٧) .
(٢) سبق ذكرها في البحث ، ص ١٣٥ .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب الشهداء العدول ، ٣ / ١٦٩ ح (٢٦٤١) .
(٤) المحدث : هو الرجل الصادق الظن ، وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد ، قاله ابن حجر رحمه الله ، وقال القرطبي: المحدثون المُلهمون يحدثون في ضمائرهم بأمور صحيح من نوع الغيب فتظهر على نحو ما وقع لهم وهي كرامة من الله تعالى بكرم بها من شاء من صالح عباده (انظر: فتح الباري ، ٧ / ٥٠) .
(٥) مدارج السالكين ، ٢ / ٤٦٨، ٤٦٩ .

يخشى الله من عباده العلماء " [١] ، **يقول لقمان الحكيم موصياً ابنه:" يَا بُنَيَّ جَالِسْ الْعُلَمَاء ، وزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتَيْك، فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ كَمَا يُحْيِي اللَّهُ الأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ "** [٢] .

خامساً: الرد على رؤيةِ الله :

تنقسم رؤية الله إلى قسمين: رؤية الله في الآخرة ، ورؤية الله في الدنيا.

١- رؤية الله في الآخرة :

رؤية الله في الآخرة ثابتة عند أهل السنة والجماعة ، وتواترت النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وما ذهب إليه السلف الصالح من إثبات رؤية الله في الآخرة للمؤمنين ، يراه المؤمنون يوم القيامة ، ويرونه في الجنة ، كما قال ﷻ:﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] ، وقال سبحانه:﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس:٢٦] ، فقد فسر النبي ﷺ الزيادة بأنها: النظر إلى وجه الله ، وتواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة ، أما الكفار فهم عنه محجوبون ، كما قال سبحانه:﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطَّففين:١٥] ، فالكفار محجوبون عن الله يوم القيامة ، يقول ابن تيمية رحمه الله: " رؤية الله بالأبصار هي للمؤمنين في الجنة ، وهي أيضاً للناس في عرصات القيامة، كما تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ، وقد تلقاها السلف والأئمة بالقبول ، واتفق عليها أهل السنة والجماعة "[٣]، ومن هذه الأحاديث ، عن جرير بن عبد الله قَالَ: **كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ** ﷺ ، **فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً ، يَعْنِي الْبَدْرَ ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذَا الْقَمَرَ ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ، ثُمَّ قَرَأَ:**﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ** ﴾ [٤] .

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ، ١٩ / ٣٩٥ ح (٩٢٩) ، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع ١٠ / ٤٠ ح (٤٠٩٣) .

(٢) موطأ الإمام مالك ، ٥ / ١٤٥٨ .

(٣) مجموع الفتاوى ، ٣ / ٣٩١ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، ١ / ١١٩ ح (٥٧٣) .

٢- رؤية الله في الدنيا :

أجمعت الأمة على أنه لا يرى الله تعالى أحد في الدنيا بعينيه ، قال ﷻ:﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقد أخبر النبي ﷺ أنه لن يرى أحد ربه حتى يموت لما ذكر الدجال قال: " **تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ** ﷻ **حَتَّى يَمُوتَ** " (١) ، ولما سئل رسول الله ﷺ : "**هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ** " (٢) ، يقول شارح الطحاوية: " وإنكار عائشة رضي الله عنها أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه ، وأنها قالت حين سألها: هل رأى محمد ربه ؟ فقالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب " (٣) ، وعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ ، قُلْتُ:مَا هُنَّ ؟ قَالَت: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ ، قَال: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي ، وَلَا تَعْجَلِينِي ، أَلَمْ يَقُلْ اللَّه ﷻ:﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ**﴾ [التَّكوير:٢٣] ، ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ [النَّجم:١٣] ؟ فَقَالَت: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ** عليه السلام **لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ** فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ:﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٠٣]، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُول:﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشُّورى:٥١] ، قَالَت: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة:٦٧] ، قَالَت: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، واللَّهُ يَقُولُ:﴿ **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ**﴾ " (٤) ، فالدنيا ليست محل الرؤية؛ لأن الرؤية نعيم ، رؤية الله أعلى نعيم أهل الجنة ، وهذه الدار ليست دار النعيم؛ بل دار الأكدار ، ودار الأحزان ، ودار التكليف ، فلا يُرى في الدنيا لكنه يُرى في

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر ابن صياد ، ٨ / ١٩٣ح (٧٥٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب فى قوله عليه السلام: نور أنى أراه ، ١ / ١٦١ ح (١٧٨) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، ص١١٦ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معنى قول الله ﷻ: ولقد رآه نزلة أخرى ، ١/ ١١٠ ح (٤٥٧) .

الآخرة يراه المؤمنون؛ ولأن الرؤية أعظم نعيم للرائي فادخرها الله لعباده المؤمنين في دار الكرامة وفي يوم القيامة ، يقول ابن أبي العز: " اتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينيه ، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة " (١) ، ونقل الإجماع كل من ابن القيم ، والسفاريني ، وغيرهما (٢) ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " قد اتفق أئمة المسلمين على أن أحداً من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا ، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ خاصة ، مع أن جماهير الأمة اتفقوا على أنه لم يره بعينه في الدنيا ، وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ ، والصحابة ﷺ ، وأئمة المسلمين ، ولم يثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ولا عن الإمام أحمد رحمه الله ، وأمثالهما، أنهم قالوا: إن محمداً رأى ربه بعينه " (٣) .

وأما مسألة الكلام مع الله تعالى فقد بين الله تعالى طرق الوحي ، وبيان مراتب الوحي التي تدلل على نوع كلام الله تعالى مع أنبيائه في سورة الشورى ، قال تعالى:﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾[الشُّورى:٥١] .

وعليه فمسألة رؤية الله في الدنيا لم تثبت للأنبياء ، فكيف تثبت لأولياء غلاة الصوفية ؟! فإن من عقائدهم أن مريدهم يتمكن من رؤية الله ، وكذلك مسألة الكلام مع الله تعالى فإنها ثبتت للأنبياء فقط ، وبذكر ما سبق من الأدلة ، وأقوال أهل السنة والجماعة يثبت بطلان ما ذهبوا إليه.

سادساً: الرد على رؤية النبي ﷺ ، والجلوس معه :

الإيمان بالنبي ﷺ من الأشياء المسلم بها في ديننا الحنيف ، وكذلك خبر وفاته ﷺ تلقته الأمة بالقبول ، حيث قال تعالى لنبيه ﷺ :﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾ [الزمر: ٣٠] ، وقوله تعالى:﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ** ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ، ولقد أنكر أبو بكر ﷺ على من قال أن النبي ﷺ لم يمت ، فقد نقل الخضري قصة

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، ص١٩٦ .

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، المشهور بابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ص٤٢٢ ، لوامع الأنوار البهية ، ١ / ٢٨٥ ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص٤٦ ، مجموع الفتاوى ، ٥ /٧٩ .

(٣) مجموع الفتاوى ، ٢ / ٢٣٥ .

وفاة النبي ﷺ : " فلما أقبل أبو بكر ﷺ ، وأُخبر الخبر دخل بيت عائشة ، وكشف عن وجه رسول الله ، فجثا يُقَبِّلُه، ويبكي ، ويقول: توفي والذي نفسي بيده ، صلوات الله عليك يا رسول ، ثم قال: بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا ، قال: ثم رد البرد على وجه رسول الله ﷺ ، ثم خرج ، وعمر ﷺ يكلم الناس فقال: على رسلك يا عمر أنصت، فأبى إلا أن يتكلم فلما رآه أبو بكر ﷺ لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه ، وتركوا عمر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال: أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال ثم تلا هذه الآية:﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران:١٤٤] ، قال: فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر ﷺ يومئذ، قال: وأخذها الناس عن أبي بكر ﷺ فإنما هي في أفواههم ، قال: فقال أبو هريرة ﷺ : قال عمر ﷺ والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر ﷺ تلاها ، فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي ، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات " [(١)] ، فكيف يكون النبي ﷺ يلتقي بأولياء الغلاة ؟! ، و ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن ابن أبى جمرة نقل عن جماعة من المتصوفة أنهم رأوا النبي ﷺ في المنام ، ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة ، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك "، ثم تعقب الحافظ ذلك بقوله: " وهذا مشكل جدًا ، ولو حُمِل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة ، ويعكر عليه أن جمعًا جمًا رأوه في المنام ، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة ، وخبر الصادق لا يتخلف "[(٢)] ، وعليه فإن الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ، ولا يتصل بأحد من الناس ، ولا يحضر اجتماعاتهم؛ بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة، حياة خاصة به ، وكذلك جميع الأنبياء فهم أحياء في قبورهم ، حياة خاصة بهم ، وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة ، كما قال الله تعالى في سورة المؤمنون:﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١٥- ١٦] ، وقال النبي ﷺ : " **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَة ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْر، وَأَوَّلُ شَافِع ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**" [(٣)] ، فهذا يدلل على أن النبي ﷺ ، وغيره من الأموات إنما

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، تأليف: محمد بن عفيفي الخضري ، تحقيق: هيثم هلال ، دار المعرفة بيروت- لبنان ، طبعة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) ، ص ٩١ .

(٢) فتح الباري ، ١٢ /٣٨٥ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق ،٧ / ٥٩ ح (٦٠٧٩) .

يخرجون من قبورهم يوم القيامة ، ولو صح زعم غلاة الصوفية فيما يدعون فإن كلامهم ، وزعمهم أنهم يلتقون مع النبي ﷺ فيه مخالفة لصريح القرآن ،ولما ورد عن خيرة الأولياء ، وهم الصحابة ﷺ .

أما استدلالهم بحديث أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " **مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ ، وَلا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي**" [١] ، لا يفهم منه أنه يلزم رؤيته يقظة؛ بل للحديث فقه، فقد قال المناوي رحمه الله:" رؤية خاصة في الآخرة بصفة القرب، والشفاعة " [٢]، وقال أبو الطيب: " أي يوم القيامة رؤية خاصة في القرب منه ، أو من رآني في المنام ، ولم يكن يهاجر يوفقه الله للهجرة إلي ، والتشرف بلقائي ، ويكون الله تعالى جعل رؤيته في المنام علما على رؤياه في اليقظة ، وعلى القول الأول ففيه بشارة لرائيه بأنه يموت على الإسلام، وكفى بها بشارة ، وذلك لأنه لا يراه في القيامة تلك الرؤية الخاصة باعتبار القرب منه إلا من تحققت منه الوفاة على الإسلام كذا في شرح القسطلاني لصحيح البخاري " [٣] .

سابعاً: الرد على حياة الخضر عليه السلام :

يعتقد غلاة الصوفية بأن الخضر عليه السلام ولي من أولياء الله تعالى ، وليس نبي ، وأنه لا يزال حيٌّ لم يمت؛ بل بعضهم لقيه ، وجلس معه ، وبنوا على ذلك أن الولي يجوز له الخروج عن الشريعة كما خرج الخضر عليه السلام عن شريعة موسى عليه السلام حسب زعمهم الباطل ، والذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة على الأرجح أن الخضر عليه السلام نبي ، ذكره الله تعالى في سورة الكهف حيث رافقه سيدنا موسى عليه السلام ، ومن أدلة إثبات ما قاله الجمهور قوله تعالى: ﴿**فوجدا عبداً من عِبَادِنَآ ءاتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً**﴾[الكهف: ١٦] على أن الرحمة في الآية المشار إليها هي رحمة النبوة ، قال أبو السعود في التفسير:﴿ **آتيناه رحمة من عندنا**﴾[الكهف: ١٦] هي: الوحي ، والنبوة " [٤] ، ومن أوجه الاستدلال على نبوته ، قوله تعالى:﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] ، بمعنى أن الله أمره بهذا الأمر يعني وحياً ، يقول

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التعبير ، باب من رأى النبي ﷺ في المنام ، ٩ / ٣٣ ح (٦٩٩٣) .

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ، تأليف: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي ، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض ، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) ، ٢ / ٨١٠ .

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية (١٤١٥) ، ١٣ / ٢٤٩ .

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، تأليف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٥ / ٢٥٤ .

ابن كثير رحمه الله:﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾أي : لكني أُمِــرتُ به ووقفت عليه ، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر ﷺ " [(١)] ، وقال القرطبي رحمه الله:" يدل – أي قول الخضر ﷺ: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ على نبوته ، وأنه يوحى إليه بالتكاليف والأحكام ، كما أُوحي إلي الأنبياء عليهم السلام غير أنه ليس برسول " [(٢)] ، وقال العلامة محمد الشنقيطي رحمه الله: " وبهذا كله تعلم أن قتل الخضر ﷺ للغلام ، وخرقه للسفينة ، وقوله:" وما فعلته عن أمري دليل ظاهر على نبوته " [(٣)] ، ومنها قوله تعالى:﴿ **عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً**﴾ [الجن:٢٦-٢٧] ، فلما أُظْهِرَ الخضر ﷺ على علم الغيب ، كإعلامه أن الغلام طُبع يوم طُبع كافراً دل على أنه رسول بنص الآية المذكورة؛ لأنه تعالى خص إظهار علم الغيب ، وحصره في المرسلين ، وغيرهم لا يطلعه على شيء من علم الغيب ، وحديث النبي قوله ﷺ في الحديث: " **فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ** " [(٤)]، يقول ابن كثير:" خصه بعلم لم يطلع موسى ﷺ عليه " [(٥)] ، ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: " فإن قلنا: إنه نبي فلا إنكار في ذلك ، وأيضاً فكيف يكون غير النبي أعلم من النبي؟ " [(٦)] ، وقال أيضاً في الفتح تحت قوله: " **هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ** ":" ظاهرٌ في أن الخضر ﷺ نبي بل نبي مرسل ، إذ لو لم يكن كذلك للزم تفضيل العالي على الأعلى ، وهو باطل من القول" [(٧)] .

أما موته فالأدلة أيضاً من القرآن ، ومن السنة تدلل على وفاته ، منها قوله تعالى:﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**﴾[الأنبياء:٣٤] ، قال ابن كثير رحمه الله :

---

(١) تفسير ابن كثير ، ٣ / ١٦٢ .
(٢) تفسير القرطبي ، ١١ / ٣٩ .
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تأليف: الشيخ محمد المختار الــشنقيطي ، دار الفكــر للطباعــة والنشر – بيروت ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، طبعة (١٤١٥هــ – ١٩٩٥م)، ٤ / ١٧٧ .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلــى الله ، ١ / ٣٦ ح (١٢٢) .
(٥) تفسير ابن كثير ، ٣ / ١٠١ .
(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار الجيــل – بيروت ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى (١٤١٢ هــ) ، ٢ / ٢٨٨ .
(٧) فتح الباري ، ١ / ٢٦٥ .

" يقول تعالى: "**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ** ": يا محمد "**الْخُلْدَ** " أي: في الدنيا؛ بل ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾ [الرَّحمن: ٢٦ – ٢٧] ، وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام مات ، وليس بحي إلى الآن؛ لأنه بشر " [١] ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت ، وأنه لم يدرك الإسلام ، ولو كان موجوداً في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ، ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه ، وعلى غيره ، ولكان يكون في مكة ، والمدينة ، ولكان حضوره مع الصحابة رضي الله عنهم للجهاد معهم ، وإعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم ، ولم يكن مختفياً عن خير أمة أخرجت للناس ، وهو قد كان بين يدي المشركين ، ولم يحتجب عنهم ، ثم ليس للمسلمين به ، وأمثاله حاجة لا في دينهم ، ولا في دنياهم ، فإن دينهم أخذوه عن الرسول النبي الأمي ﷺ الذي علمهم الكتاب والحكمة...، وإذا كان الخضر حياً دائماً فكيف لم يذكر النبي ذلك قط ، ولا أخبرت به أمته ، ولا خلفاؤه الراشدون؟ " [٢] ، ويذكر ابن القيم رحمه الله كلاماً بخصوص حياة الخضر منه: " الأحاديث التي يذكر فيها الخضر ، وحياته كلها كذب ، ولا يصح في حياته حديث واحد ، فحديث أن رسول الله ﷺ كان في المسجد ، فسمع كلامًا من ورائه ، فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر ، وحديث: يلتقي الخضر ، وإلياس كل عام ، وحديث: يجتمع بعرفة جبريل ، وميكائيل ، والخضر ، وسئل إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر وأنه باق ، فقال: ما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان ، وسئل الإمام البخاري عن الخضر وإلياس هل هما أحياء ؟ فقال: كيف يكون هذا ؟ وقد قال النبي ﷺ : " **أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ** " [٣] ، ويقول صاحب كتاب أسنى المطالب: " اختلف فيها – يعني أحاديث حياة الخضر – العلماء ، وأثبتها الأولياء ، والصالحون ، ولم يرد في حياته شيء يعتمد عليه ، نعم ورد أنه يجتمع مع إلياس عليه السلام كل عام في الموسم ، ولكن سنده لم يصح ، وقال المناوي: ضعيف ، وقال ابن حجر ، والسخاوي: منكر ، وعلى فرض صحته فيدل لحياة إلياس ، وهو باطل أيضاً " [٤] .

---

(١) تفسير ابن كثير ، ٣ / ١٨٧ .

(٢) انظر بتصرف: مجموع الفتاوى ، ١٧ / ١٠٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب السمر في العلم ، ١ / ٣٤ ح (١١٦)، المنار المنيف ، ص ٦٧ .

(٤) أسنى المطالب ، ص ٣٥٦ .

مما سبق يتبين أن الخضر عليه السلام نبي من الأنبياء خصه الله تعالى بعلم منه ، وقد مات ، ولو كان حياً لالتقى مع النبي ﷺ، أو صحابته رضي الله عنهم ، أو التابعين ، ولناصرهم في دعوتهم ، ولو كان كذلك لسُمّيَ صحابياً ، أو تابعياً ، فالصحابي من لقي النبي مؤمناً ، ومات على ذلك ، والتابعي من لقي الصحابة مؤمناً ، ولا يجوز القول بأنه ولي ، إذ لو أنه ولي لما جاز له قتل الغلام الذي بيَّنَ لموسى عليه السلام أنه كافر فقال:﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** ﴾ [الكهف:٨٢] بمعنى ليس من تلقاء نفسه ، ولكن وحيٌ من الله ، فدل على عصمته ، وقد مات لورود الأدلة التي سبق الاستدلال بها .

ثامناً: الرد على سقوط التكاليف الشرعية :

القول بسقوط التكليف لغلاة الصوفية ، مخالف صراحة لشرعنا الحنيف ، ولما جاء به النبي ﷺ ؛ بل إن السلف الصالح رحمهم الله كانوا دائماً على خوف ، ووجل من الله تعالى من عدم قبول أعمالهم ، قال ابن تيمية رحمه الله: " ولكن كثيراً منهم يزعمون سقوط بعض الواجبات عنهم ، أو حلّ بعض المحرمات لهم ، منهم من يزعم أنه سقطت عنه الصلوات الخمس لوصوله إلى المقصود ، وربما قد يزعم سقوطها عنه إذا كان في حال مشاهدة ، وحضور ، وقد يزعمون سقوط الجماعات عنهم استغناء عنها بما هو فيه من التوجه ، والحضور ، ومنهم من يزعم سقوط الحج عنه مع قدرته عليه؛ لأن الكعبة تطوف به ، أو لغير هذا من الحالات الشيطانية ، ومنهم من يستحل الخمر في رمضان لغير عذر شرعي زعما منه استغناؤه عن الصيام ، ومنهم من يستحل الخمر زعما منه أنها تحرم على العامة الذين إذا شربوا تخاصموا ، وتضاربوا دون الخاصة العقلاء، ويزعمون أنها تحرم على العامة الذين ليس لهم أعمال صالحة ، فأما أهل النفوس الزكية ، والأعمال الصالحة فتباح لهم دون العامة " [(١)] ، وقال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله: " ادّعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء ، والرسل، وقالوا: من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، وغير ذلك، وحلت له المحرمات كلها من الزنا ، والخمر ، وغير ذلك ، واستباحوا بهذا نساء غيرهم، وقالوا بأننا نرى الله ، ونكلمه، وكل ما قذف في نفوسنا فهو حق" [(٢)] .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١ / ٤٠٣ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تأليف : الحافظ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ٤ / ١٧٠ .

تاسعاً: الرد على حياة الأولياء في القبور :

حياة الميت في قبره غير حياته الدنيوية؛ بل هي حياة خاصة برزخية ، ليست من جنس حياته في الدنيا التي يحتاج فيها إلى الطعام والشراب ونحو ذلك ، وفي القبر ترجع روحه له ، وهي حياة خاصة ، والعذاب ، والنعيم للروح ، والجسد جميعاً في القبر ، وأما بخصوص كلام الأموات مع الأحياء أثناء زيارتهم ، أو العكس ، فهذا لم يرد لا في القرآن ، ولا في السنة الصحيحة ، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله عندما سئل عن علم الموتى بحال الأحياء ، فقال رحمه الله: " لا أعلم في الشرع ما يدل على ذلك " (١) .

أما حياة الأولياء في القبور فلم يثبت حديث صحيح في ذلك ، يقول صاحب كتاب أسنى المطالب: "حياة المؤذنين ، والأولياء ، والعلماء ذكرها كثير من أهل العلم بغير دليل ، وكأنهم قاسوها على حياة الشهداء لكن هذا لا يثبت بالقياس بل بالنص ، وإن العلماء تحشر في زمرة الشهداء لا يلزم منه حياتهم ، ومع ذلك فالحديث ضعيف باتفاق أهل العلم تقدم الكلام على حديث يوزن دم الشهداء ، ومداد العلماء فيرجح مداد العلماء ، وأنه لا يصح ، ولا مانع أن الله يكرمهم بالحياة المذكورة إذ كل مزية غير النبوة جائزة في حق العباد ، ولكن ثبوتها يحتاج نص خاص" (٢) ، ويقول الشيخ فخر الدين أبو سعيد عثمان الجياني: " ومن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله ، واعتقد بذلك فقد كفر " (٣) .

وعليه فلا يصح نقل القصص التي تدلل على كلام الأموات مع الأحياء كما يزعمه غلاة الصوفية .

عاشراً: الرد على التوسل بالأنبياء ، والأولياء ، والصالحين ، وأهل القبور :

إن التوسل الحقيقي المشروع هو الذي يكون عن طريق طاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله ﷺ بفعل الطاعات ، واجتناب المحرمات ، وعن طريق التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة ، وسؤاله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، فهذه هي أداة القربى إلى الله ﷻ، والطريق الموصلة إلى رحمته ، ومرضاته ، أما التوسل إلى الله عن طريق الفزع إلى قبور الموتى ، والطواف عليها ، وتقديم النذور لأصحابها ، والتوسل بجاه النبي ﷺ ، فإن هذا ليس توسلاً مشروعاً؛ بل

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب ، ٩ http://www.islam-qa.com/ar/ref/ ، مجموع فتاوى الشيخ ابن باز، ١٣ / ١٧٠ .

(٢) أسنى المطالب ، ص ٣٥٥ .

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، تأليف: زين الدين ابن نجيم الحنفي ، طبعة (٩٢٦هـ) ، دار المعرفة- بيروت ، ٣ / ٩٤ .

هذا هو الشرك ، والكفر ، والعياذ بالله ، وأما ما جاء في توسل عمر بن الخطاب بالعباس رضي الله عنهما، الذي يحتجون به ، فإن عمر توسل بدعاء العباس لا بشخصه ، ويؤيد أن المقصود الدعاء تفسير قصة الاستسقاء برواية صحيحة كلام للعباس ﷺ يوضح ذلك ، فقد جاءت رواية عن ابن حجر رحمه الله في الفتح حيث قال: " وقد بين الزبير بن بكار في "الأنساب" صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة ، والوقت الذي وقع فيه ذلك ، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، وقد توجّه القوم بي إليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا إليك بالتوبة ، فاسقنا الغيث ، قال: فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض ، وعاش الناس " [(١)] .

والتوسل بالميت الذي يذهب إليه السائل ليسأل الله ببركته ، ويطلب منه العون قد أصبح بعد موته لا يملك لنفسه شيئا ، ولا يستطيع أن ينفع نفسه بعد موته فكيف ينفع غيره ؟ ، وقد نفى النبي ﷺ قدرة الإنسان على فعل أي شيء بعد موته ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَة: إلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَة ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِه ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** " [(٢)] ، فتبين من الحديث أن الميت هو الذي بحاجة إلى من يدعو له ، ويستغفر له ، وليس الحي هو الذي بحاجة إلى دعاء الميت ، وإذا كان الحديث يقرر انقطاع عمل ابن آدم بعد موته ، فكيف يعتقد المسلم أن الميت حي في قبره حياة تمكنه من الاتصال بغيره ، وإمداده بأي نوع من الإمدادات ، أو كيف يعتقد ذلك ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، ولا يمكن لأي عاقل ذو فطرةٍ سليمة أن يصدق أن الميت يمكنه القيام بأي عمل بعد أن خرجت روحه من بدنه ، وبطلت حركته ، وأكل الدود جسمه ، وأصبح عظاماً بالية ، والطلب من الميت دعاء ، والدعاء ، والطلب عبادة ، والعبادة لا تكون إلا لله ، يقول تعالى:﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة:١٨٦]، فليس بين الله ، وبين عباده ما يمنع من مناجاته ، واللجوء إليه ، وطلب الحاجة منه مباشرة حتى يلجأ الإنسان إلى قبور الموتى يتوسل بهم؛ بل يجب على الإنسان أن يلجأ إلى ربه مباشرة ، وأن يسأله ، وأن يعتقد أنه لا يستطيع أي إنسان مهما عظم شأنه عند الله ، أو عند الناس أن يضر أحداً ، أو ينفعه بشيء لم يكتبه الله له ، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: **يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَات ، احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْك ، احْفَظْ اللَّهَ**

---

(١) فتح الباري ، ٢ / ٤٩٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، ٥ / ٧٣ ح (٤٣١٠) .

تَجِدْهُ تُجَاهَك ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّه ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّه ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَك ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْك ، رُفِعَتْ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ " [(١)] ، فإذا كانت الأمة كلها لو اجتمعت على أن تنفع الإنسان ، أو تضره لم تستطع ذلك إلا بشيء قد كتبه الله ، فالفرد سواءً كان حيا ، أو ميتاً من باب أولى أنه لن ينفع ، ولن يضر أحداً إلا بشيء قد كتبه الله ، يقول ابن تيمية رحمه الله موضحاً التوسل غير المشروع: " فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام ، وبالنقل المتواتر ، وبإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرع هذا لأمته ، وكذلك الأنبياء قبله لم يشرعوا شيئاً من ذلك ، ولا فعل هذا أحد من أصحابه ﷺ ، والتابعين لهم بإحسان ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ، ولا غيرهم ، ولا ذكر أحد من الأئمة لا في مناسك الحج ، ولا غيرها أنه يستحب لأحد أن يسأل النبي ﷺ عند قبره أن يشفع له ، أو يدعو لأمته ، أو يشكو إليه ما نزل بأمته من مصائب الدنيا ، والدين ، وكان أصحابه ﷺ يبتلون بأنواع البلاء بعد موته ، فتارة بالجدب ، وتارة بنقص الرزق ، وتارة بالخوف ، وقوة العدو ، وتارة بالذنوب ، والمعاصي ، ولم يكن أحد منهم يأتي إلى قبر الرسول، ولا قبر الخليل ، ولا قبر أحد من الأنبياء ، فيقول: نشكوا إليك جدب الزمان ، أو قوة العدو ، أو كثرة الذنوب ، ولا يقول: سل الله لنا ، أو لأمتك أن يرزقهم ، أو ينصرهم ، أو يغفر لهم؛ بل هذا ، وما يشبهه من البدع المحدثة التي لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين ، فليست واجبة ، ولا مستحبة باتفاق أئمة المسلمين ، وكل بدعة ليست واجبة ، ولا مستحبة فهي بدعة سيئة ، وضلالة باتفاق المسلمين " [(٢)] .

ومن أنواع التوسل المشروع [(٣)] :

١. التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى ، أو صفة من صفاته العليا: ودليل مشروعية هذا التوسل قوله ﷻ:﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف:١٨٠] ، وعن مِحْجَنَ بْنَ الأَدْرَعِ حَدَّثَهُ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلاَتَه ، وَهُوَ يَتَشَهَّد ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ

(١) سبق تخريجه ، ص ١٠٣ .

(٢) مجموع الفتاوى ، ١ / ١٦٢ .

(٣) نقلت الكلام عن أنواع التوسل بتصرف من كتاب التوسل ، انظر: التوسل أنواعه وأحكامه ، تأليف: الإمام الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، تنسيق: محمد عيد العباسي ، ص ٢٩ وما بعدها .

الأَحَدُ الصَّمَد ، الَّذِى لَمْ يَلِد ، ولَمْ يُولَد ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد ، أَنْ تَغْفِرَ لِى ذُنُوبِى ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيم ، قَال: فَقَالَ ﷺ :" **قَدْ غُفِرَ لَه ، قَدْ غُفِرَ لَهُ ثَلاثًا** " [1] .

٢. التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي: كأن يذكر الداعي عملاً صالحاً قام به خوفاً من الله سبحانه ، وطاعةً له جل شأنه ، ثم يتوسل به إلى ربه في دعائه ليكون أرجى لقبوله ، وإجابته ، قال تعالى:﴿ **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران:١٦]، وقوله تعالى:﴿ **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران:٥٣] ، ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار ، عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" **انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَار ، فَدَخَلُوه ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَل ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَار ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُم ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُم: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَان ، وكُنْتُ لا أَغْبِقُ** [2] **قَبْلَهُمَا أَهْلا وَلا مَالا ، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا ، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْن ، وكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلا أَوْ مَالا ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْر ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَة ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوج ، قَالَ النَّبِيُّ** ﷺ : **وَقَالَ الآخَر: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَي ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنْ السِّنِين ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَار ، عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي ، وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَت ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا ، قَالَت: لا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا بِحَقِّه ، فَتَحَرَّجْتُ مِنْ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا ، وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَي ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا ، قَالَ النَّبِيُّ** ﷺ : **وَقَالَ الثَّالِث: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاء ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَب ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَال ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَال: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي ، فَقُلْتُ لَه: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنْ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيق ، فَقَال: يَا عَبْدَ اللَّهِ لا تَسْتَهْزِئُ بِي فَقُلْت: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ بِك ، فَأَخَذَهُ كُلَّه ، فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا ،**

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول بعد التشهد ، ١ / ٣٧٤ ح (٩٨٧) ، و صححه الإمام الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود ، ٢ / ٤٨٥ ح (٩٨٥) .

(٢) أغبق: أي ماكنت أقدم عليهما أحداً في شرب نصيبهما من اللبن الذي يشربانه والغبوق شرب آخر النهار ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٣ / ٣٤١ .

اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيه ، فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَة ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ" [(١)] ، ويتبين من هذا الحديث أن هؤلاء الرجال المؤمنين الثلاثة حينما اشتد بهم الكرب، وضاق بهم الأمر ، ويئسوا من أن يأتيهم الفرج من كل طريق إلا طريق الله تبارك وتعالى وحده فلجأوا إليه ، ودعوه بإخلاص واستذكروا أعمالا لهم صالحة فتوسلوا إليه سبحانه بتلك الأعمال ، فاستجاب سبحانه دعاءهم ، وكشف كربهم ، وأكرمهم الله بتوسلهم بهذه الأعمال .

٣. التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الحي: وقد ثبت هذا التوسل في سيرة السلف الصالح ، طلب الدعاء من الغير من باب التوسل بدعائهم لا بشخصهم؛ لأن التوسل بذوات الأشخاص لم يكن معروفاً في عهد النبي ﷺ ، وأصحابه ﷺ، وهو من صور الشرك.

وعليه فلا يجوز التوسل بذات النبي ﷺ ، ولا بجاهه ، ولا بغيره من الصحابة ﷺ، أو الأولياء الأحياء ، أو الأموات ، ومن الأدلة التي يستدل بها على التوسل بدعاء الغير ، وليس بذاتهم ما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قال: " أَصَابَ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَال: فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَال: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ وَمَا نُرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً [(٢)] فَثَارَ سَحَابٌ أَمْثَالُ الْجِبَال، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْنَا الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ [(٣)] فَذَكَرَ الْحَدِيثَ " [(٤)] ، ومن ذلك ما رواه أَنَس بْن مَالِكٍ "**أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِب ، فَقَال: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا ﷺ فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا ، قَالَ:فَيُسْقَوْنَ**" [(٥)] ، فهذا الحديث ليس فيه توسل بالعباس ﷺ ، أو بجاهه كما يزعم غلاة الصوفية، وإنما معنى قول عمر: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا أننا كنا نقصد نبينا ﷺ ، ونطلب منه أن يدعو لنا ونتقرب إلى الله بدعائه ، والآن وقد انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس ، ونطلب منه أن يدعو لنا ، وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائهم: اللهم بجاه نبيك اسقنا ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته ﷺ : اللهم بجاه العباس اسقنا؛ لأن مثل هذا دعاء مبتدع ليس له أصل في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيراً فترك الأجير أجره ، ٣ / ٩١ ح (٢٢٧٢) .

(٢) قزعة: أي قطعة من الغيم وجمعها قزع ، (النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٤ / ٥٩) .

(٣) يتحدر: ينزل ويقطر من الحدور ضد الصعود ، (المصدر السابق ، ١ / ٣٥٣) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٢١ / ٢٥٨ ح (١٣٦٩٣) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب دعاء النبي ﷺ اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ، ٢ / ٢٧ ح (١٠١٠) .

الكتاب ، ولا في السنة ، ولم يفعله أحد من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم ، يقول الصنعاني رحمه الله:" ومن نادى الله ليلاً ونهارا ، وسراً وجهاراً ، وخوفاً ، وطمعاً ، ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة ، فإن الدعاء من العبادة ، وقد سماه الله تعالى عبادة في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] " (١) .

(١) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ، ص ١٩ .

المبحث الثالث

كرامات الأولياء

المطلب الأول / كرامات الأولياء
عند غلاة الصوفية ، ومناقشتها .

المطلب الثاني / كرامات الأولياء
عند أهل السنة والجماعة .

المطلب الأول

كرامات الأولياء عند غلاة الصوفية

إن أول انحراف صوفي يلقاه الباحث عندما يقرأ أي كتاب من كتب التراث الصوفي هو اعتمادهم الكلي على الخوارق، واهتمامهم في مناهجهم على المبالغة في نشر خوارق الشيوخ، وتركيزهم على اختلاق قصص خيالية، وأساطير كثيرة بالية ليرفعوا بها ما للشيوخ ، والأولياء من مكانة ، ومنزلة في نفوس الأتباع، ويحملوهم على الإذعان لهم ، وتقديسهم ، وتعظيمهم لدرجة العبادة فكان من نتائج هذا الاهتمام أن حملوا شيوخهم على طرق كل باب بحثاً عن الخوارق لعلمهم أن الصوفي كل ما كان أكثر خوارق ، وأشد اتصافاً بالمدهشات كان أعظم عند الناس في باب الولاية والقرب.

مكانة الكرامة عند غلاة الصوفية :

يرى بعض المتصوفة اشتراط حصول كرامة للولي ، وهذا الرأي عند الشعراني القائل:" إن من شرط صحة بداية المريد في دخوله الطريق أن يمشي على الماء ، والهواء ، وتطوى له الأرض، ومن لم يقع له ذلك فليس له في مقام الإرادة قدم "، وبعضهم يرى أن ظهور الكرامة دلالة على الولاية والصدق؛ لأن الكاذب لا تظهر عليه الكرامة " (١) ، وذكر اللقاني على شرح جوهرة التوحيد أن: " من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق" (٢) ، أما الكرامات فهم يقرون بها ، وبظهورها على أيدي الأولياء ، ولكن فيه بعض المبالغات ، فيقولون: " وظهور الكرامات على الأولياء جائز عقلا ، وواقع نقلا ، أما جوازه عقلاً؛ فلأنه ليس بمستحيل في قدرة الله تعالى بل هو من قبيل الممكنات كظهور معجزات الأنبياء ، ولا يلزم من جوازها ، ووقوعها محال ، وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع ، وهي ثابتة لهم في الحياة ، وبعد الموت ، ولذا قيل: من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق ، قال بعض المشايخ: إن الله يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج ، وتارة يخرج الولي من قبره ، ويقضيها بنفسه " (٣)، فهل هذا صحيح ؟ أن الولي يقضي حاجات الناس عن طريق القبر ، وبتسخير ملك معه ؟! ثم عباراتهم توحي بعدم وقوع المعصية من الولي تحت ستار مسمى الحفظ ، والعناية من الله تعالى للولي ، فيقولون: " والكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون

---

(١) أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمفهوم السني ، ص ٦٠ ، نقلاً عن كتاب لطائف المنن ، ص ٥٧٨ .

(٢) جوهرة التوحيد ، للبيجوري ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ص ١٥٣ .

(٣) درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ١٤ .

بدعوى النبوة ، ولا هو مقدمة لها ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي مكلف بشريعة مصحوب بصحيح الاعتقاد ، والعمل الصالح علم بها ، أو لم يعلم ، ثم علم أن الولي ليس بمعصوم ، إذ العصمة للنبي لا للولي؛ بل هو محفوظ ، ومعنى الحفظ في حقه: أنه لا يفعل معصية ، وإن فعلها ندم من فوره ، وتاب توبة ، وعرف زلة نفسه ، وأما من دام فعله للمعصية، أو كان الأغلب عليه فليس من هؤلاء القوم ، ولا من أتباعهم ولم يشم شيئاً من روائح إخوانهم؛ بل يحصرون الكرامة بخوارق العادات يقولون نقلاً عن أحدهم: " واعلم أن الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس إلا إن كانت لنصرة دين ، أو جلب مصلحة؛ لأن الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم "[١] .

أمثلة على كرامات أولياء غلاة الصوفية ، ومناقشتها :

بالغ غلاة الصوفية في كثير من كراماتهم ، وحُكيت قصص عن أوليائهم كثيرة منها للخيال أقرب منه للحقيقة ، ومن هذه القصص ، مع الرد على كل واحدةٍ منها :

١. يقول الشعراني في ترجمة يوسف العجمي الكوراني: وكان إذا خرج من الخلوة يخرج ، وعيناه كأنهما قطعة جمر تتوقد فكل من وقع نظره عليه انقلبت عينه ذهباً خالصاً ، ولقد وقع بصره يوماً على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب ، إن وقف وقفوا ، وإن مشى مشوا ... ، ووقع له مرة أخرى أنه خرج من خلوة الأربعين فوقع بصره على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب ، وصار الناس يهرعون إليه (إلى الكلب) في قضاء حوائجهم ، فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب يبكون ، ويظهرون الحزن عليه ، فلما مات أظهروا البكاء والعويل ، وألهم الله تعالى بعض الناس فدفنوه فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا " وعلق عليها الشعراني بقوله : (فهذه نظرة إلى كلب فعلت ما فعلت ، فكيف لو وقعت على إنسان؟!) [٢] .

سبحان الله ! وهل هذه كرامة ؟ ذهبٌ ، وكلاب ، ثم ترك الناس التضرع إلى الله من أجل كلب – والعياذ بالله – فهذا مخالف لمنهج النبي ﷺ من عدة أمور أهمها :

١. فيه نسبة النفع والضر بيد هذا الكوراني في حين النفع والضر بيد الله وحده يصيبنا ، وأي تأثير وقع منه بواسطة عينيه جعلها تحول أعين الناس ذهباً ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة :٥١].

---

(١) درة الأسرار وتحفة الأبرار ، ص ١٤.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ، ٢ / ٦٦ .

٢. هروع الناس إلى الكلب، أو إلى الشيخ ، وترك سؤال الله تعالى يُعد كفراً ، وشركاً بالله؛ لأن العبادة ، والسؤال لا يكونان إلا لله سبحانه .

٣. فيه مخالفة لهدي النبي ﷺ ، فالنبي ﷺ نهى عن اصطحاب الكلب إلا لحراسة ، أو لصيد، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " **مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا إِلاَّ كَلْبَ مَاشِيَةٍ ، أَوْ ضَارِى نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ** " (١) .

٢. وقال الشعراني في ترجمة شمس الدين محمد الحنفي : " ... ولما دنت وفاته بأيام كان لا يغفل عن البكاء ليلاً ، ولا نهاراً ، وغلب عليه الذلة ، والمسكنة ، والخضوع حتى سأل الله تعالى قبل موته أن يبتليه بالقمل ، والنوم مع الكلاب ، والموت على قارعة الطريق ، وحصل له ذلك قبل موته فتزايد عليه القمل حتى صار يمشي على فراشه ، ودخل له كلب فنام معه على الفراش ليلتين وشيئاً ، ومات على طرف حوشه ، والناس يمرون عليه في الشوارع " (٢) .

وهذه أيضاً من الطامات التي تخالف الهدي النبوي ، وذلك من حيث :

١. سؤال الشيخ للبلاء ، لماذا سأل اللهَ البلاء ، ولم يسأله العافية ؟ أليس الأولى له أن يسأل الله العافية ؟ ، فالقمل كانت ابتلاء لبني إسرائيل ، وعقاب من الله لهم ، فكيف يجعلها الإنسان نعمة من الله عليه ، وخاصة في نهاية عمره ، فخيركم من طال عمره وحسن عمله .

٢. وأين أهل بيته من نظافة المنزل والفراش ؟ ، والكلب كلنا يعلم نجاسته ، وصعوبة إزالتها، فكيف يوضع علي الفراش ، وينام معه ؟ ، والنائم لا يدري أين تبيت يده ، ثم الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلبٌ أو صورة ، فعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : **وَاعَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِى سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا ، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ ، وَلَمْ يَأْتِهِ ، وَفِى يَدِهِ عَصًا ، فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ : " مَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلاَ رُسُلُهُ ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ فَقَالَ : " يَا عَائِشَةُ مَتَى دَخَلَ هَذَا الْكَلْبُ هَا هُنَا ؟ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب المساقاة ، باب الأمر بقتل الكلاب ، وبيان نسخه ، وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد ، أو زرع أو ماشية ، ونحو ذلك ، ٥ / ٣٦ ح (٤١٠٦) ، الضاري : الكلب المعلم على الصيد، انظر : الديباج على شرح مسلم ، ٤ / ١٧٥ .

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ، ٢ / ٨٨ .

دَرَيْتُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ فَجَاءَ جِبْرِيلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَاعَدْتَنِى فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ،فَقَالَ: مَنَعَنِى الْكَلْبُ الَّذِى كَانَ فِى بَيْتِكَ إِنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ ، وَلاَ صُورَةٌ " (١).

٣. ثم أين إعطاء حق الطريق فالنبي ﷺ أوصى بمساعدة الآخرين ، وعندما يمرون عليه الناس في الشوارع لا يلتفتون إليه وهو رجل مسن ، فهل هذا من خلق المسلمين ؟ .

٣. وقال الشعراني أيضاً في ترجمة الشيخ إبراهيم العريان : " ...وكان يطلع المنبر ، ويخطب عرياناً فيحصل للناس بسط عظيم " (٢) .

لا أعلم كيف وضعت مثل هذه القصص في كتاب الطبقات الذي يغني به غلاة الصوفية ، ويجعلونه مصدراً من مصادرهم الأصيلة ، فهذه القصة تحمل مخالفات عظيمة لشرعنا الحنيف :

١. أين هذا الشيخ من آداب المساجد ، وأخذ الزينة وقت الصلاة ، وخاصة يوم الجمعة ؟ .
٢. وأين هو من ستر العورة ، وكيف يصلي بالناس مكشوف العورة ؟ ومخالفة نهج النبي في نهيه عن نظر الرجل إلى عورة الرجل ، والمرأة إلى عورة المرأة .
٣. أي بسط عظيم الذي يحدث للناس؟ أهو نشر الرذيلة ، والفاحشة ، ومخالفة هدي النبي ﷺ الذي قال الله في حقه:﴿ **وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾ .

٤. وقال أيضاً في ترجمة الشيخ محمد الغمري ، أحد أعيان أصحاب أحمد الزاهد ، كان من العلماء العاملين ، والفقراء الزاهدين المحققين سار في الطريق بسيرة صالحة ، وكانت جماعته في المحلة الكبرى ، يضرب بهم المثل في الأدب والاجتهاد ، قال: ودخل عليه محمد بن شعيب الخيسي يوماً الخلوة فرآه جالساً في الهواء ، وله سبع عيون ، فقال له: الكامل من الرجال يسمى أبا العيون " (٣).

البشر جميعاً بما فيهم أفضل الخلق ، وهم الأنبياء ، كان لهم عينين اثنتين ، ومنهم سيدنا محمد ﷺ كان له عينين اثنتين ؛ بل أنكر المشركون عليه بشريته ، والله تعالي خلق الناس جميعاً في أحسن تقويم ، كافرهم ومسلمهم ، ولو رأينا شخصاً غريب الخلقة ، كأن فقد يداً أو رجلاً ، فإنا نقول عنه : مشوه الخلقة ، فكيف بشخص يكون له سبع عيون ؟ وأحسن التقويم بينه القرآن ، قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ** ﴾ [البلد : ٨ – ١٠] ، وكمال الإنسان يكون بما

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب اللباس والزينة ، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ، ٦ / ١٥٥ ح (٥٦٣٣) .
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ، ٢ / ١٤٢ .
(٣) المصدر السابق، ٢ / ٨٧ .

وضعه الله سبحانه فيه من أحسن صورة ، وأجمل هيئة ، بدليل قوله تعالى :﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين :٤] .

٥. يقول صاحب تنوير القلوب: " ومنها أنه كان من أصحابه شيخ صالح كلما رزق ولداً مات في اليوم السابع بمرض فجائي ، فاتفق أن زاره فوجده يبكي ، وحدّثه بالخبر ، فقال له: لا خوف على ولدك إن شاء الله ، وكان للشيخ ابنة في سن هذا الغلام فتمنى على الله أن يأخذ ابنته ، ويبقي غلام صاحبه ، فكان ما تمناه ، فما ذهب إلى منزله حتى وجدها قد ماتت ، وعاش الغلام سالماً ببركة دعائه ، وتوجهه " [(١)].

من خلال القصة السابقة فإن فعل ذلك الشيخ الموسوم بالولاية مخالف لنهج النبي ﷺ الذي كان ينهى عن الدعاء على الولد ، كما في الحديث ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُم، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُم، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُم، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ** "[(٢)]، وكان الأولى بهذا الشيخ أن يدعو الله تعالى لبقاء غلام صاحبه دون تمني الموت لابنته .

٦. ويذكر عن أحد شيوخهم كما يقول صاحب تنوير القلوب: " ومن هذا النوع من كراماته أنه سقط من نافذة من الطبقة الرابعة غلام في السنة الثالثة من عمره لأحد أصحابه الأعزاء من منزله بالقاهرة فظن ظان أنه قد مات ، فأسرع إلى الشيخ ، وأخبره بذلك فأطرق برأسه مغمضاً عينيه ، وسكت قليلاً ، ثم رفع رأسه منشرح الصدر ، يقول: ما مات صَعْدتُ بروحي عدة سموات؛ لأنظر روحه مع الأرواح المنتقلة في هذا اليوم فلم أرها ، فقلت: ما لك ، وللسماء ارجع إلى الأرض فرجعت ، وذهبت إلى منزل والده فإذا هو حي مضطجع في مكان كذا من المنزل ، وسيعافى إن شاء الله " [(٣)] .

في هذه القصة بيان واضح من غلاة الصوفية في أمر مهم ألا وهو علم الغيب ، وموت ، وحياة البشر ، والاطلاع على أمور السموات ، والعالم العلوي ، وما فيه من مغيبات ، فأفضل الخلق ، وهم الأنبياء لم يعرجوا إلى السموات العلى لمعرفة ما يريد معرفته هذا الولي ، ثم أفضل الخلق لم يصعد إلى السموات العلى إلا في رحلة المعراج ، فكيف اطلع هذا الولي في حادثة كتلك التي

---

(١) تنوير القلوب ، ص ١٨ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الوتر ، باب النهى عن أن يدعو الإنسان على أهلــه ومالــه ، ١ / ٥٦٣ ح (١٥٣٤) ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود ، ٤ / ٣٢ .

(٣) تنوير القلوب ، ص ٢٥ .

حدثت ، وعلم أمر غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى؟ ، ثم ذهب لمنزل والد الغلام ووجده حيا ، وأنه سيعافى ؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله .

٧. ومنها: " قال الشيخ: لما جلست بين يدي رسول الله ﷺ في هذه الزيارة تذكرت ما يعانيه أهل مصر ، وأهل الحجاز من هذين الجريئين– يقصد والي ظالم بمكة ، وعالم مشهور بمصر– فغلبني البكاء ، ورفعت الأمر بالقلب إلى رسول الله ﷺ ، واستغثته على هذين العاديين ، ودامت هذه الجلسة ساعات من الليل ، وأنا بحمد الله مستغرق في أنواره متمتع بمطالعة ما شاء الله من بوارق جماله ﷺ ، طالب من همته العلية النظر في هذا الشأن الخطير ... " (١) .

من المعلوم في عقيدتنا أنه لا يجوز الاستغاثة بغير الله تعالى ، حتى لو كان النبي ﷺ ، لقوله تعالى:﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة:١٨٦] ، والنبي ﷺ علمنا السؤال فقال: " **إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّه ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**... " (٢) ، فلم يقل النبي ﷺ استعن بي ، أو استغث بي عندما تريد شيئا من الله تعالى ، ولم يفعله الصحابة ﷺ ، فكيف لنا أن نفعل ذلك ونستغيث بغير الله ؟، وقد سبق الكلام مفصلاً في هذا الباب في مشروعية التوسل (٣) .

٨. ومنها: " ما تواتر عند الطائفة الرفاعية قول القطب الرفاعي حتى صار معلوماً بالضرورة في حالة زيارته للقبر الشريف من قوله :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها *************** تقبّل الأرض عني وهي نـــائبتي

وهذه دولة الأشباح قـــد حـــضرت**************** فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد له ﷺ يده الشريفة فقبلها وشاهد ذلك الحاضرون من العارفين " (٤) .

من أخطر العقائد التي يعتقدها الصوفية عقيدة الجلوس مع النبي ﷺ ، ورؤيته يقظة لا مناماً فقط ، وفي هذه القصة يقرر غلاة الصوفية عقيدة رؤية النبي ﷺ يقظة؛ بل والكلام معه وتقبيل يده ؟! ، ويثبتون نقل هذه القصة بالتواتر مما يدلل على أنها تفيد العلم القطعي الثبوت ، بمعنى أن من أنكرها فقد كفر ، وهذا غير مقبول ، وقد سبق الحديث عن هذا الباب أيضاً عند الرد على الجلوس مع النبي ﷺ (٥) ، وأما استدلالهم بالقصة فإن أحداً من الشراح لم يزعم ما

---

(١) تنوير القلوب ، ص ٣٧ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ١٠٣ .

(٣) انظر: ص ١٨١ من هذا البحث .

(٤) تنوير القلوب ، ص ٨٢ .

(٥) انظر: ص ١٧٣ من هذا البحث .

يزعمون، فحياة النبي التي هي كحياة الأنبياء عامة؛ الله تعالى حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، والحديث لم يبين أن النبي ﷺ يخاطب من يصلي عليه ، ويرد الشخص خطابه بل حياة خاصة به، يقول ابن عثيمين رحمه الله تعليقاً على الحديث: " أن النبي ﷺ أمر أن نكثر من الصلاة عليه يوم الجمعة ، وأخبر بأن صلاتنا معروضة عليه تعرض عليه ، فيقال: صلى عليك فلان بن فلان ، أو تعرض عليه يقال: صلى عليك رجل من أمتك الله أعلم هل يعين المصلي أم لا ، المهم أنها تعرض على النبي ﷺ ، فقالوا: **يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْك ، وقَدْ أَرَمْت:يَعْنِي بَلِيت ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ** " (١)، فالأنبياء عليهم السلام مهما بقوا في الأرض فإن الأرض لا تأكلهم ، أما غير الأنبياء فإنها تأكلهم لكن قد يكرم الله تعالى بعض الموتى فلا تأكلهم الأرض ، وإن بقوا " (٢) .

٩. ويروي أصحاب طبقات الصوفية أن علي بن محمد الدينوري (٣) أوتي حرف [كن] ؛ لكنه قال:" تركت قولي للشيء كن فيكون تأدبا مع الله " (٤)، وهذا الاعتقاد مبني عندهم على ما قاله الشعراني أن الله يقول:" يا بني أدم أطيعوني أطعكم ، واختاروني أختركم ، وأحبوني أحبكم ، وراقبوني أراقبكم، وأجعلكم تقولون للشيء كن فيكون " (٥) .

يجيب ابن تيمية رحمه الله على ذلك فيقول:" ومن قال إن أحداً من أولياء الله يقول للشيء كن فيكون فإنه يستتاب ، فإن تاب ، وإلا قتل ، فإنه لا يقدر أحد على ذلك إلا الله ﷻ " (٦) .

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب في فضل الجمعة ، ١ / ٥٢٤ ح (١٦٣٦) ، وصححه الإمام الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه ، ٣ / ٨٥ .

(٢) شرح رياض الصالحين ، ١ / ١٦٠٣ .

(٣) هو أبو الحسن بن الصائغ الدينوري واسمه علي بن محمد بن سهل ، من كبار المشايخ الصوفية ، أقام بمصر ومات بها سنة ٣٣٠ هـ ، (انظر: طبقات الصوفية للسلمي ، ص ٢٤٠) .

(٤) أولياء الله بين المفهوم الصوفي والسني ، ص ٧٧ نقلاً عن كتاب جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٥٨.

(٥) الطبقات الكبرى للشعراني ، ١/ ١٤٢ .

(٦) مختصر الفتاوى المصرية ، ص ٥٨٩ .

المطلب الثاني

كرامات الأولياء عند أهل السنة والجماعة

تعريف الكرامة لغةً :

قال الفيروزآبادي: " والكرم: ضد اللؤم. وأكرمه كرمه: عظمه ونزهه ، والكريم: الصفوح ورجل مكرام: مكرم للناس ، وأكرمه يكرمه بالجملة فالكرامة ضد الإهانة" (١) ، قال ابن منظور:" الكريم من صفات الله ، وأسمائه ، وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه " (٢) .

تعريف الكرامة عند أهل السنة والجماعة :

يعرفها كثير من العلماء ، وأهل الأصول ، وغيرهم بأنها:" كل أمر خارق للعادة يظهرها الله على يد عبد مؤمن صالح متبع لشرع الله ﷻ، وشرع نبيه ﷺ ،غير مدّع للنبوة " (٣).

حكم الإيمان بالكرامات :

الإيمان بكرامات الأولياء حق ، وعقيدة ثابتة ، وتقع للأولياء ، وهي من عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد دل عليها الكتاب ، والسنة ، والآثار المتواترة عن الصحابة ﷺ، والتابعين، قال تعالى مخبراً عن مريم عليها السلام:﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وأخبر عن أهل الكهف ، فقال : ﴿ **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا** ﴾ [الكهف: ١٠ - ١٢] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" **رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ** " (٤) وقول النبي ﷺ:" **لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا**

---

(١) القاموس المحيط ، ص ١٤٨٩ .

(٢) لسان العرب ، ١٢ / ٥١٠ .

(٣) لوامع الأنوار البهية ، ٢ / ٣٩٢ ، انظر بتصرف: التعريفات ، ص ٢٣٥ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الضعفاء والخاملين ، ٨ / ٣٦ ح (٦٨٤٨) .

أَنْبِيَاء ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ " [(١)] ، يقول الإمام الطحاوي رحمه الله: " ونؤمن بما جاء من كراماتهم ، وصح عن الثقات من رواياتهم" [(٢)] ، ويقول القنوجي رحمه الله [(٣)] :" ومن أصول السنة التصديق بكرامات الأولياء ، وما يجري الله على أيديهم من خوارق ، وعادات في أنواع العلوم ، والمكاشفات ، والتأثيرات كالمأثور عن سلف الأمة ، وأئمتها ، وسالف الأمم في سورة الكهف ، وسورة مريم ، وغيرها ، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة ﷺ ، والتابعين ، وسائر قرون الأمة ، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة ، والكشف ، والكرامة ليس بحجة في أحكام الشريعة المطهرة ، وخاصة فيما يخالف ظاهر الكتاب ، والسنة ، ولا يمتاز صاحب الولاية ، والكرامة عن آحاد المسلمين في شيء من الزي ، والعمل ، والقول ، ولا يختص بالنذر ، وغيره مما ينبغي لله سبحانه قال محمد بن ناصر الحازمي: الذي يحب للأولياء المتبعين لا المبتدعين هو المحبة ، والتوقير ، والتعظيم ، والاتباع ، والدعاء ، والاستغفار ، والاقتفاء بهم في محاسن الأقوال ، والأفعال بما اقتضى الكتاب ، والسنة ، وإثبات الكرامة اللازمة كما وقع لبعض الصحابة ﷺ، والتابعين لهم بإحسان ، ولا يتجاوز بهم " [(٤)] .

الحكمة من الكرامات :

للأولياء كرامات جعلها الله سبحانه خاصة بهم ، ولها حكم عظيمة ، وأنها لا تحصل عبثاً، وسببها الإيمان الصادق ، والعمل الصالح ، فلا تنال بمعصية الله تعالى ، ومن هذه الحكم:

١- **الدلالة على كمال قدرة الله تعالى ، ونفوذ مشيئته:** فكما أن لله سننا ، وأسباباً تقتضى مسبباتها الموضوعة لها شرعاً ، وقدراً فإن لله أيضاً سنناً أخرى لا يقع عليها علم البشر ، ولا تدركها أعمالهم وأسبابهم ، منها كرامات الأولياء ، التي تدل دلالة واضحة أن الأمر كله لله ، والتقدير ، والتدبير كله لله " [(٥)] ، ومن ذلك قصة العزير التي ذكرت في القرآن الكريم ، قال

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب مناقب عمر بن الخطاب ، ٥ / ١٢ ح (٣٦٨٩) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٣٠ .

(٣) هو الإمام العلامة المحقق محيي السنة ، وقامع البدعة ، أبو الطيب محمد صديق بن حسن بن علي بن لطف الله القِنَّوجِي ، ولد في بلدة " بريلي " موطن جده من جهة الأم عام (١٢٤٨ هـ)، ونشأ في بلدة " قِنَّوْج " موطن آبائه بالهند ، وتلقى الدروس على صفوة من علماء قِنَّوْج ، مات رحمه الله عام (١٣٥٧ هـ) .

(٤) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، تأليف: محمد صديق حسن خان القنوجي ، عالم الكتب – بيروت ، تحقيق: د.عاصم بن عبدالله القريوتي ، الطبعة الأولى (١٩٨٤ م) ، صفحة ٩٩ .

(٥) انظر: التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة ، تأليف: الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي، دار طيبة – الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) ، ص ٩٩ بتصرف .

تعالى:﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آَيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٥٩] ، فالآية دلالة واضحة على بيان عظيم قدرة الله سبحانه .

٢- **وقوع الكرامات للأولياء في الحقيقة فيها دعوة للإيمان:** فالكرامات تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسل (١) .

٣- **تقويةً لإيمان العبد ، وتثبيتاً له:** تعد الكرامات ابتلاء لثبات المؤمنين ، كما قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥] ، وقال الله تعالى:﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آَمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢] ، فالملائكة قاتلت مع المؤمنين في بدر ، وجاءت مثبتةً لهم، يقول ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية: " وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ، ليشكروه عليها، وهو أنه تعالى أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ، ودينه ، وحزبه المؤمنين ، يوحي إليهم فيما بينه ، وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا " (٢) .

٤- **إقامة الحجة على العدو:** كما حدث لخالد بن الوليد رضي الله عنه عندما أكل السّم ، وكان قد حاصر حصناً فامتنعوا عليه حتى يشربه ، فشربه وفتح الحصن (٣) ، وفي هذا نصرة لدين الله ، ورفعة لكلمته إحقاقاً للحق ، وإبطالاً للباطل ، وتأييداً لما جاء به النبي ﷺ .

٥- **بشرى معجلة في الدنيا** ، كما قال تعالى:﴿ لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [يونس:٦٤] ، وهي " كل أمر يدل على ولايتهم ، وحسن عاقبتهم ، ومن ذلك الكرامات " (٤) .

---

(١) انظر: النبوات ، ص ١٩ .
(٢) تفسير ابن كثير ، ٤ / ٢٥ .
(٣) انظر في هذا البحث : ص ١٩٩ .
(٤) التنبيهات اللطيفة ، ص ١١٠ .

أمثلة على كرامات الأولياء :

أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات كرامات الأولياء ، وقد حدثت الكرامات في زمن الأمم السابقة ، وفي زمن النبي ﷺ، وفي زمن الصحابة ﷺ ، وهي ثابتةٌ لكل مؤمن متبع نهج الأنبياء ، ومن أمثلة هذه الكرامات:

أولاً: كرامات الأولياء في الأمم السابقة :

لقد حدثت الكرامات للأمم السابقة ، من هذه الكرامات ما ذكرها القرآن ، ومنها ما ذكرت في السنة :

* **قصة أصحاب الكهف** : فقد قص الله تعالى علينا في كتابه العزيز عن صالحي المؤمنين الذين لم يكونوا أنبياء ، وكراماتهم المتنوعة ، ومن هؤلاء قصة الفتية الذين آمنوا بربهم ، وثبتوا على إيمانهم وسط تلك البيئة الكافرة بعيدين عن المداهنة ، وذُكرت قصتهم في القرآن ، قال تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آَيَاتِنَا عَجَبًا* إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آَتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا* فَضَرَبْنَا عَلَى آَذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف:٩ – ١١] .

* **قصة مريم عليها السلام** : قال تعالى:﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧] ، وعن قتادة عن الآية السابقة قال: "حُدثنا أنها كانت تؤتى بفاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء "[(١)] ، فهذه كرامة لها .

* **قصة جريج العابد** : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" **لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إلا ثَلاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَم ، وَصَاحِبُ جُرَيْج ، وكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلا عَابِدًا فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا فَأَتَتْهُ أُمُّه ، وهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَت: يَا جُرَيْج ، فَقَال: يَا رَبِّ أُمِّي ، وصَلاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ فَانْصَرَفَت ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ أَتَتْه ، وهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَت:يَا جُرَيْجُ فَقَال:يَا رَبِّ أُمِّي ، وصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ فَانْصَرَفَت ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ أَتَتْه ، وهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَت:يَا جُرَيْج ، فَقَال: أَيْ رَبِّ أُمِّي ، وصَلاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِه ، فَقَالَت: اللَّهُمَّ لا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَات ، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا ، وعِبَادَتَه ، وكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا ، فَقَالَت: إِنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ لَكُم ، قَال: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا ، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِه ،**

---

(١) تفسير الطبري ، ٦ / ٣٥٥ .

فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَت ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْج ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوه ، وهَدَمُوا صَوْمَعَتَه ، وجَعَلُوا يَضْرِبُونَه ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِي ، فوَلَدَتْ مِنْك، فَقَال: أَيْنَ الصَّبِيُّ ؟ فَجَاءُوا بِه ، فَقَال: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ فَصَلَّى ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِه ، وقَالَ: يَا غُلامُ مَنْ أَبُوكَ ؟ قَال: فُلانٌ الرَّاعِي ، قَال: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَه ، ويَتَمَسَّحُونَ بِه ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَب ، قَال: لا أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ فَفَعَلُوا..." [(١)] .

ثانياً: أمثلة على كرامات الأولياء في عهد النبي ﷺ :

أمّا ما حصل في عهد النبي ﷺ لأصحابه ، فقد كان لأصحابه كرامات كثيرة ذكرها أصحاب السير ، والتراجم [(٢)] ، ومن هؤلاء الذين حصلت لهم كرامات:

* **أسيد بن حضير ، وعباد بن بشر رضي الله عنهما:** كانا عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء فلما خرجا أضاءت عصا أحدهما فجعلا يمشيان بضوئها ، فلما تفرقا أضاءت عصا الآخر ، عَنْ أَنَس رضي الله عنه " **أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْر رضي الله عنه ، ورَجُلا آخَرَ مِنْ الأَنْصَارِ تَحَدَّثَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فِي حَاجَةٍ لَهُمَا حَتَّى ذَهَبَ مِنْ اللَّيْلِ سَاعَة ، ولَيْلَةٌ شَدِيدَةُ الظُّلْمَة ، ثُمَّ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْقَلِبَان ، وبِيَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عُصَيَّة ، فَأَضَاءَتْ عَصَا أَحَدِهِمَا لَهُمَا حَتَّى مَشَيَا فِي ضَوْئِهَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَ بِهِمَا الطَّرِيقُ أَضَاءَتْ لِلآخَرِ عَصَاهُ فَمَشَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ضَوْءِ عَصَاهُ حَتَّى بَلَغَ إِلَى أَهْلِهِ**" [(٣)] ، فهذه كرامة بعض صحابة النبي ﷺ ، وأسيد بن حضير رضي الله عنه نفسه هو صاحب كرامة نزول الملائكة: لما كان يقرأ سورة البقرة ، وفرس له مربوطة في زاوية البيت ، ويحيى ولده مضطجع بجانبها ، فجال الفرس جولة حتى خشي على ولده يحيى ، فأمسك عن القراءة ، ثم قرأ فجالت الفرس فرفع رأسه فإذا بشيء كهيئة الظلة فيها مصابيح ، تقبل من السماء فقال أسيد: فهالني فَسَكَت ، فلما أصبحت غدوت على رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: " اقرأ أبا يحيى ، وهكذا ثلاث مرات ، ثم قال ﷺ: **ذَلِكَ الْمَلائِكَةُ دَنَوْا لِصَوْتِك ، ولَوْ قَرَأْتَ حَتَّى تُصْبِحَ لأَصْبَحَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ** " [(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها ، ٨ / ٤ ح (٦٦٧٣) .

(٢) الكلام بالتفصيل عن أمثلة كرامات الصحابة في كتب منها: حليلة الأولياء ، كرامات الأولياء للالكائي .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ، ٣ / ١٣٧ ح (٢٤٢٧) ، وقال الشيخ الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ، ٧ / ٢٥٨ ح (٧٩٦٢) .

* **خبيب بن عدي** ﷺ: لما أسروه بمكة ، فمن كرامات خبيب بن عـــدي ﷺ أن الله ﷻ رزقـــه بهذا الرزق ، وهو موثق اليدين سجين في مكة ، ولا يوجد في مكة ثمرة من هـــذا العنـــب رأت امرأة من المشركين بين يديه قطفاً من عنب ، وما بمكة ثمرة ، فقد ورد في صحيح ابن حبـــان:" وانطلقوا بخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة رضي الله عنهما حتى باعوهما بمكة ، فاشترى خبيبًـــا بنو الحارث بن عامر ، وكان الحارث قتل يوم بدر ، فمكث عندهم أسيرا ، حتـــى إذا اجتمعـــوا على قتله، استعار موسى من إحدى بنات الحارث يستحد به ، فأعارته ، قالت: فغفلت عن صبي لي حتى أتاه ،فأخذه فأضجعه على فخذه ، والموسى في يده ، فلما رأيته ، فزعت فزعاً شـــديدا ، فقال: خشيت أن أقتله؟ ما كنت لأفعل إن شاء الله ، قال: فكانت تقول: ما رأيت أسيرا قط خيـــرا من خبيب ، لقد رأيته يأكل من قطف عنب ، وما بمكة يومئذ ثمرة ، وإنه لموثق فـــي الحديـــد ، وما كان إلا رزقاً رزقه الله إياه " [(١)] .

* **عمر بن الخطاب** ﷺ : من الكرامات المشهورة له ، أن عمرو بن العاص ﷺ لما فتح مصر أتى أهلها إليه حين دخلها ، فقالوا: أيها الأمير إن لنيلنا هذا سُنَّة لا يجري إلا بها ، قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كان اثنتي عشر خلون من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها أي: أعطيناهم المال ، وأرضيناهم ، وجعلنا عليها من الحلي ، والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل ، هذا لكي يفيض النيل ، وإلا لا يفيض ، فقال لهم عمرو ﷺ : إن هذا مما لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما قبله ، فأقاموا (بؤنة وأبين ومسرى) – أَشْهُر كانت عندهم – ، والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيرا ، حتى هموا بالجلاء ، والذهاب من هذه الأرض ، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فكتب عمر جواباً إلى عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول فيه: إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وإن الإسلام يهدم ما قبله ، وإني قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا ، فألقها في النيل ، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو أخذ البطاقة ففتحها ، فإذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد: فإن كنت إنما تجري من قِبَلَكَ فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك ، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك ، قال: فألقى البطاقة ، فلما ألقى البطاقة أصبحوا يوم السبت ، وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، وقطع الله تعالى تلك السنّة عن أهل مصر إلى اليوم ، فلم يعودوا أبداً لإلقاء جارية في النيل " [(٢)] .

---

(١) القصة ذكرها الإمام البيهقي في كتابه دلائل النبوة ، ٣ / ٣٩٨ ، كرامات الأولياء ، ص ١٠٢ .

(٢) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، تأليف: علي بن برهان الدين الحلبي ، دار المعرفة – بيـــروت ، نشر سنة ١٤٠٠ هـــ ، ٣ / ١٤٠ .

* وأيضاً عندما أرسل عمر ﷺ جيشاً بقيادة سيدنا سارية ليقابل الروم ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر ﷺ خطب يوماً بالمدينة فقال: يا سارية بن زنيم الجبل ، من استرعى الذئب فقد ظلم ، قال: فقيل له: تذكر سارية وسارية بالعراق ، فقال الناس لعلي ﷺ : أما سمعت عمر ﷺ يقول: يا سارية ، وهو يخطب على المنبر ، فقال: ويحكم دعوا عمر فإنه ما دخل في شيء إلا خرج منه، فلم يلبث إلا يسيراً حتى قدم سارية رضي الله عنه ، فقال: سمعت صوت عمر ﷺ فصعدت الجبل " (١).

* **خالد بن الوليد** ﷺ : فإن من كراماته أنه لما كان في الحيرة ، أُتِيَ له بسم، فقال: ما هذا ؟ فقالوا: سم ساعة ، تأخذه من هنا وتموت ، قال: باسم الله ، ثم ازدرده ، فقد طلب العدو منه أن يأكل السّم ، وكان قد حاصر حصناً فامتنعوا عليه حتى يشربه ، فشربه ، وفتح الحصن " (٢).

* **حجر بن عدي** ﷺ : فإنه عبر مع جماعة من أصحاب النبي ﷺ نهر دجلة بلا سفينة بعد فتح القادسية حتى أن الفرس لما رأوهم يعبرون النهر من غير سفينة ، قالوا: ديوان ، ديوان ، أي: شياطين شياطين ، وهربوا ، قال: فدخلنا عسكرهم ، فوجدنا من الصفراء ، والبيضاء – يعني الذهب والفضة– وأصبنا أمثال الجبال من الكافور ، وأصبنا بقراً فذبحناها فجعلناها في القدور ، وأخذنا من ذلك الكافور ، ونحن نحسبه أنه ملح ، وطرحناه في اللحم ، فلما أكلنا وجدناه مرا ، فقلنا: ما أمر ملح الأعاجم " (٣) .

* **سفينة مولى النبي** ﷺ (٤) ، لما ركب في البحر – سمي سفينة؛ لأنه كان يحمل الأمتعة في الأسفار– فركب مرةً في البحر فانكسرت ، فركب لوحاً منها فطرحه في أجمة – غابة – فيها أسد، فقال سفينة ﷺ : يا أبا الحارث – وهي كنية الأسد عند العرب – أنا سفينة مولى رسول

---

(١) كرامات أولياء الله ، ص ١٢١ .

(٢) انظر : (كرامات أولياء الله عز وجل، تأليف : هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي، دار طيبة – الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ) ، تحقيق : د. أحمد سعد الحمان) ، ص ١٤٢ ، ازدرده : أي مصه ثم ابتلعه، النهاية في غريب الحديث ، ٤ / ٣٥٣ .

(٣) كرامات الأولياء ، ص ١٥٢ .

(٤) سفينة هو أبو عبد الرحمن ، ويقال : أبو البحتري مولى رسول الله ﷺ ، وكان عبداً لأم سلمة رضي الله عنها فأعتقته شريطة أن يخدم النبي ﷺ ، ويقال اسمه مهران بن فروخ ، (انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة تأليف : عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، تحقيق:عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، طبعة (١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م) ، ٢ / ٤٨١) .

الله ﷺ ، قال: فطأطأ رأسه ، وجعل يدفعني بجنبه ، أو بكتفه حتى وضعني على الطريق ، فلما وضعني على الطريق ، همهم فظننت أنه يودعني " [١] .

* **العلاء الحضرمي** كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين ، وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم فيستجاب له ، ودعا الله بأن يسقوا ، ويتوضئوا لما عدموا الماء ، والسقاء فأجيب ، ودعا الله لما اعترضهم البحر ، ولم يقدروا على المرور بخيولهم ، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم ، ودعا الله أن لا يروا جسمه إذا مات ، فلم يجدوه في اللحد [٢].

ثالثاً: كرامات التابعين رحمهم الله :

* **أويس القرني**[٣] وما كان من كرامته في إجابة دعوته ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ **إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَه:أُوَيْس ، وَلَهُ وَالِدَة ، وَكَانَ بِهِ بَيَاض، فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ** "، فالنبي ﷺ يقول لسيدنا عمر، وسيدنا علي رضي الله عنهما: "**إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَن ، يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ لا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَه ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاض ، فَدَعَا اللَّه ، فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلا مَوْضِعَ الدِّينَار ، أَوْ الدِّرْهَم ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ** " [٤]، فكان عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما ينتظرون موسم الحج ، ويسألون أهل اليمن: أفيكم أويس؟ حتى وجدوه ، فقالوا له: " ادعُ لنا " .

* **الحسن البصري**[٥] : عن رجل من مزينة قال: " كان رجل من الخوارج يغشى مجلس الحسن فيؤذيهم ، فقيل للحسن: يا أبا سعيد ألا تكلم الأمير حتى يصرفه عنا ، قال: فسكت عنهم ، قال: فأقبل ذات يوم ، والحسن جالس مع أصحابه ، فلما رآه ، قال: اللهم قد علمت أذاه لنا فاكفناه بما

---

(١) حلية الأولياء ، ١ /٣٦٩ ، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠١ هـ) ، تحقيق: أحمد عصام الكاتب ، ص ٣١٦ .

(٢) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ٩٣ .

(٣) أُوَيْس بن عَامِر القرَني الزاهد المشهور ، أدرك النبي ﷺ ولم يره ، وسكن الكوفة ، وهو من كبار تابعيها، ومن خيارها ، قال هشام الكلبي: قتل أويس مع علي يوم صفين، (انظر : أسد الغابة ، ١ / ٢٣٠) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أويس القرنى ، ٧ / ١٨٨ح (٦٦٥٤).

(٥) الحسن بن يسار يكنى بأبي سعيد ولد قبل سنتين من نهاية خلافه عمر بن الخطاب ﷺ. ولد في المدينة عام ٢١هـ ، كانت أم الحسن منقطعة لخدمه أم سلمة ، فترسلها في حاجاتها فيبكي الحسن وهو طفل فترضعه أم سلمه لتسكته وبذلك فإنه رضع من أم سلمه ، وتربى في بيت النبوة، وكانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة فيدعون له، ودعا له عمر بن الخطاب ، فقال "اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس"، حفظ الحسن القرآن في العاشرة من عمره. تابعي جليل توفي سنة ١١٠ هـ (انظر : الأعلام للزركلي، ٢ / ١٨٥) .

شئت ، قال: فخر والله الرجل من قامته ، فما حمل إلى أهله إلا ميتاً على سرير ، فكان الحسن إذا ذكره بكى ، وقال: البائس ما كان أغره بالله " (١) .

* **أبو مسلم الخولاني** (٢) : روى الحافظ أبي طاهر السلفي ، عن شرحبيل بن مسلم أن الأسود بن قيس العنسي الكذاب ، لما ادعى النبوة باليمن بعث إلى أبي مسلم الخولاني ، فلما جاءه ، قال: أتشهد أني رسول الله؟! قال: ما أسمع قال: أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال: نعم ، فردد ذلك عليه ، فأمر بنار عظيمة فأججت! فألقى فيها أبا مسلم فلم تضره ، فقيل: انفه عنك ، وإلا أفسد عليك من تبعك؟ فأمره بالرحيل ، فأتى أبو مسلم المدينة ، وقد توفي رسول الله ﷺ ، واستخلف أبو بكر ﷺ ، فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد ، فقام يصلي إلى سارية ، فبصر به عمر بن الخطاب ﷺ ، فقام إليه فقال: من الرجل؟ فقال: من أهل اليمن ، قال: فلعلك الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذلك عبد الله بن ثوب ، قال: نشدتك الله أنت هو؟ قال: اللهم نعم ، فاعتنقه ثم بكى ، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه ، وبين أبي بكر ﷺ ، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم عليه السلام (٣) .

الفرق بين الكرامة عند أهل السنة والجماعة ، وعند غلاة الصوفية :

من خلال ما سبق من ذكر كرامات للأولياء في زمن الصحابة ﷺ ، والتابعين رحمهم الله ، فقد ذكر الشيخ محمد أحمد لَوْح ، كلاماً للتفريق بين أهل السنة والجماعة ، وبين غلاة الصوفية في شأن الكرامة ، فيقول: " ولعل أهم ما يميزهم عن أهل السنة – يقصد الكرامة – أمور أهمها:

أولاً: اعتبار الخوارق معياراً للولاية ، وأن من لا كرامة له لا ولاية له ، قال الشعراني في ترجمة محمد الغمري عن قوله: "وكان سيدي أحمد لا يأذن قط لفقير – لمريد أو صوفي– أن يجلس على سجاده إلا إن ظهرت له كرامة " .

ثانياً: الشغف بالخوارق ، وتفسير كل خارق ، أو أمر غريب بأنه كرامة حتى صارت همهم ، قال ابن الجوزي: " عن إبراهيم الخراساني أنه قال: احتجت يوماً إلى الوضوء ، فإذا أنا

---

(١) كرامات الأولياء ، ص ٢٠٤ .

(٢) أبو مسلم صاحب هذه الكرامة رضي الله عنه ، فاسمه: عبد الله بن ثوب ، ويقال: ابن ثواب ، وهو من أهل اليمن سكن الشام بداريا بالقرية المعروفة بجانب دمشق ، وكان من كبار زهاد التابعين وعبادهم وصالحيهم ، وأهل الكرامات الظاهرات ، والأحوال السنية المتظاهرات وكان قد رحل إلى رسول الله ﷺ ليصحبه ، فتوفي رسول الله ﷺ وهو في الطريق ، فجاء فلقي أبا بكر الصديق ، وعمر وغيرهما من الصحابة ﷺ .

(٣) بستان العارفين ، ص ٢٦ ، كرامات الأولياء ، ص ١٨٢ .

بكوز من جوهر، وسواك من فضة رأسه ألين من الخز ، فاستكت بالسواك ، وتوضأت بالماء ، وتــركــتــهــمــا ، وانصرفــت" ، ثــم عــلــق عليها ابن الجوزي رحمه الله فقال: " في هذه الحكاية من لا يوثق بروايته ، فإن صحت دلت على قلة علم هذا الرجل ، إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز ، ولكن قلَّ علمه فاستعمله ، وإن ظن أنه كرامة ، والله – تعالى – لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعاً " .

ثالثاً: لما جعل الصوفية الكرامة أساس الولاية حرصوا على جمع الكرامات لمن ادعوا لهم الولاية ، وتعدى الأمر إلى الاختلاق والكذب ، ومما نسجوه ما ذكره الشعراني عن أبي بكر البطائحي [(١)] أنــــه " أول من ألبسه أبــــو بكر الصديق رضي الله عنه الخرقة ثوباً ، وطاقية في النوم ، فاستيقظ فوجدهما عليه، وكان يقول: أخذت من ربي عز وجل عهداً أن لا تحرق النار جسداً دخل تربتي ، ويقال: إنها ما دخلها سمك ، ولا لحم قط فأنضجته النار أبداً ".

رابعاً: كرامات الصوفية وخوارقهم كما أنها لا مكان لها عند العقلاء ، فإنها لا كرامة لها عند العلماء بشريعة الله ، وكم في كراماتهم المحكية من معارضات ومخالفات للشريعة المحمدية ، ومن ذلك: أن أحدهم كان يتشوش من قول المؤذن: الله أكبر فيرجمه ، ويقول: عليك يا كلب ، نحن كفرنا يا مسلمون حتى تكبروا علينا؟!

أما ما يذكرونه عن بعض من يذكرون بالخير من الشطحات ، والأحوال المُنْكَرَة ، فــإن الواجب التثبت منه؛ لعدم الثقة في نقلهم ، وما ثبت منه فإن منه ما يكون عوارض تعرض لهــم بسبب بعض أعمالهم ، فإن من خلط في عمله اختلطت خوارقه ، ولهذا أمرنــا أن نقــول كــل صلاة:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] [(٢)] .

---

(١) اسمه أبو بكر بن هــوار البطائحي ، لقبه البطائحي ، الهوار: نسبة إلى طائفة من الأكــراد ، أصــله مــن واسط العراق ، أول من أسس المشيخة بالعراق بعد انقراض مشايخ الرسالة ، وهو القائل من زار قبري أربعين أربعاء أوتي في آخرها براءة من النار ، وقال أخذت من ربي عهداً أن النار لا تحرق جسداً دخل حرمي هــذا، انظر: موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان .

(٢) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، محمد أحمد لَوْح ، ٢ / ٢٩٣ ، ٣١١.

خاتمة البحث

أهم النتائج والتوصيات والمقترحات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الحمد لله في الأولى والآخرة ، ها أنا ذا أصل إلى قطف ثمر ما زرعت ، وأنهي بداية ما وضعت ، وقد طلبت العون من الله ، وأشكره على منّه ، وتوفيقه بالوصول إلى خاتمة الدراسة ، وفي هذه الخاتمة أضع ما توصلت له من نتائج بتوفيق من الله ، بعد دراسة الولاية ، ومنهج أهل السنة والجماعة في الرد على غلاة الصوفية.

وقد توصلت إلى أهم هذه النتائج ، منها :

١. الوَلاية مكتسبةٌ يكتسبها العبد المؤمن ، لها طرق يتحصل عليها العبد بإيمانه ، وتقواه ، تختلف عند أهل السنة والجماعة عما ابتدعه غلاة الصوفية ، ولا يخرج من ولاية الله ﷻ، ولكن تتفاوت رتبته بحسب إيمانه وتقواه ، قال تعالى:﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات:١٣] ، فكلما ازداد العبد طاعة لمولاه كلما زاده المولى قرباً ووالاه ، وكلما قصّر العبد في طاعة مولاه ، و بَعُد عن تقواه فإنه تنقص ولايته عند الله، وعليه فالظالم لنفسه رغم تقصيره ، تناله رحمة الله ومغفرته؛ لوجود الإيمان في حياته .
٢. ولي الله هو كل مؤمن تقي يسير على منهج الأنبياء ، يكرمه الله ﷻ بكرامات في الدنيا، والآخرة .
٣. سبب انحراف غلاة الصوفية عن الصواب في باب الولاية هو الجهل ، والمبالغة في حب الأولياء ، وتعظيمهم ، واستنادهم على قصص ، وخرافات لا أصل لها في الشرع ، أو مبنية على سند ضعيف .
٤. النبوة اصطفاء من الله تعالى ، ومنحة إلهية ، لا تُنال بالمجاهدة ، أما الولاية فهي من الأمور الكسبية التي ينالها المؤمن جزاءَ أعماله الخيّرة ، ورتبة النبوة تفوق رتبه الوَلاية، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة .
٥. إن الله تعالى حفظ أنبياءه من كل معصية صغيرة ، أو كبيرة في التبليغ ، والرسالة بالإجماع ، بخلاف غيرهم من البشر ، فالولي ليس شرطاً أن يكون معصوماً كما ادعى غلاة الصوفية ، فقد يخطئ ، ويصيب .
٦. الموت حق على الأنبياء ، وعلى غيرهم من البشر ، ولكن لهم حياة في القبر ليست لغيرهم من البشر إلا الشهداء ، وأيضاً حياتهم تختلف عن حياة الشهداء ، فهي حياة خاصة لا يعلمها إلا الله ﷻ .

٧. الخضر عليه السلام نبي من الأنبياء كما ثبت عند جمهور السلف ، وثبتت وفاته خلافاً لما يدعيه غلاة الصوفية ، بقولهم من ملاقاته ، وأخذ العلم عنه .

٨. رؤية الله جل جلاله ثابتة للمؤمنين في الجنة ، وفي الدنيا لم يثبت رؤية الله تعالى لأحد من الأنبياء فضلا أن يكون رؤيته ثابتة لأحد من الأولياء .

٩. لم يثبت ملاقاة النبي ﷺ لأحد من البشر بعد وفاته ، وجميع ما ورد كذب ، وافتراء لم ينقل بسند صحيح ، أما رؤيته في المنام فهي رؤيا حق .

١٠. لا يقتصر الذكر على القلب فقط ، فلابد من إعمال الجوارح في الذكر ، وخاصة ذكر اللسان .

١١. الاختلاط مع الناس أفضل من العزلة ، والمسألة على خلاف بين العلماء فإن الاختلاط مع الناس ، والصبر عليهم هو منهج الأنبياء ، والسلف الصالح ، وهو الراجح ، بخلاف ما ذهب إليه غلاة الصوفية من اعتزال الناس ، والخلوة المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة .

١٢. تعظيم الأولياء والصالحين بمعنى حبهم ، والدفاع عنهم ، وطلب الدعاء منهم من أخلاق المسلمين ، أما تعظيمهم بمعنى تقديسهم ، والغلو فيهم ، ورفعهم إلى مقام الأنبياء، ووصفهم أحياناً بصفات لا تكون إلا للأنبياء فهذا لا يقبل في عقيدتنا السليمة .

١٣. لم يرد عن النبي ﷺ ، ولا عن الصحابة رضي الله عنهم لفظ النجباء ، أو النقباء ، أو مما سبق ، مما زعمه غلاة الصوفية ، في مراتب أليائهم ، فالناظر إلى المراتب السابقة هي عبارة عن ألفاظ ، ومصطلحات لم ترد على لسان السلف الصالح ، ولم يأتِ ذكرها في القرآن الكريم ، ولم تصح عن رسول الله ﷺ .

١٤. أفضل الأولياء هم: الأنبياء والرسل ، ثم الصحابة رضي الله عنهم ، ثم من والاهم من العلماء والصالحين ، وقد اتفق سلف الأمة وخلفها على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ، وأنه لا يجوز تفضيل أحد من الأولياء على أحد من الأنبياء .

١٥. التوسل المشروع هو التوسل بالله جل جلاله ، أو بصفة من صفاته ، أو باسم من أسمائه ، أو بعمل صالح يتقرب به العبد من ربه ، أو بطلب الدعاء ممن يتوسم فيهم المؤمن الصلاح، أما التوسل بالأشخاص ، أو بجاه الأنبياء عليهم السلام ، أو الأولياء ، أو الأموات فهذا مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة .

١٦. الإيمان بكرامات الأولياء حق ، وعقيدة ثابتة ، وتقع للأولياء ، ومن عقيدة السلف ، وقد دل عليها الكتاب والسنة ، والآثار المتواترة عن الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين ، ولكن

بخلاف الكرامات التي ادّعاها غلاة الصوفية التي تم الرد عليها من خلال الرسالة ، إما مبالغ فيها، أو لم تثبت بسند صحيح .

أهم التوصيات :

بعد دراسة هذا البحث المتواضع ، أضع هذه التوصيات ، والمقترحات ، التي أسأل الله أن ينفعني، والمسلمين بها :

١. أوصي نفسي ، والمسلمين كافة إلى الإيمان ، والتقوى؛ لأنهما سلاح كل مؤمن يريد الوصول لولاية الله ﷻ ، وسبباً لنصرة الله لعباده ، وتأييده لهم .

٢. أنصح أمتي بالسير على منهج السلف ، والتأسي برسول الله ﷺ في رسم طريق الصواب للناس ، ففيه الخير والصلاح ، وأن ترد أمور العبادة وغيرها إلى كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ، فلا تخطو خطوة واحدة إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة الصحيحة.

٣. أدعو العلماء ، والخطباء ، والوعاظ توجيه عامة الناس ، ونصحهم ، وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة الصحيحة لهم ، ومحاربة البدع ، والخرافات ، والعقائد الفاسدة ، وتأسيس الأجيال على عقيدة أهل السنة والجماعة .

٤. أوصي بعدم التسرع في الحكم على الصوفية بمجرد السماع عنهم إلا بعد سماع قولهم ، ورؤية فعلهم ، وعرضهما على الكتاب والسنة .

أهم المقترحات:

١. أدعو إخواني طلاب الدراسات العليا بدراسات متنوعة في كتب الصوفية ، ومنهجهم ، ونقدها إن لزم الأمر وفق منهج أهل السنة والجماعة ، ومن هذه الدراسات:
   - دراسة منهج ابن عجيبة في التصوف .
   - منهج الإمام الغزالي في الكشف .
   - دراسة التصوف ، وأثره على الأفراد في قطاع غزة (دراسة ميدانية) .

٢. أقترح بتزويد مكتبة الجامعة بالكتب اللازمة لكمال قسم العقيدة والتصوف خاصة ، واستخدام الوسائل الحديثة في دعمها .

تلك هي أهم النتائج ، والتوصيات ، التي ختمت بها بحثي ، ودراستي ، فما كان من صواب فمن الله وحده ، وما كان من خطأ فمن نفسي ، والشيطان ، والله ورسوله بريئان منه .

ملخص البحث

تناول هذا البحث قضية الولاية عند غلاة الصوفية ، ويمكن تلخيص هـذا البحـث فـي النقاط التالية:

١. جمع هذا البحث معتقدات غلاة الصوفية في الولاية ، وتعريفها ، ومكانتها ، وخصائص الأولياء ، وطرق تحصيل الولاية ، ثم قام الباحث بالرد على هذه المعتقدات وفق منهج البحث العلمي مستدلاً على ذلك بما وفقه الله من القرآن والسنة وكلام العلماء .
٢. بيان المنهج السليم في تحصيل الولاية، والسير على منهج أهل السنة والجماعة في ذلك.
٣. للولاية مكانة عظيمة في الإسلام ، وليست هبة من الله؛ بل مكتسبة من الإيمان ، والتقوى ينالها العبد بالمجاهدة ، وطاعة الله ﷻ ، وطاعة نبيه ﷺ .
٤. تعظيم الأولياء بمعنى حبهم ، وإكرامهم دون الغلو فيهم ، والابتعاد عن البدع في أمور العقيدة.
٥. كرامات الأولياء ثابتة بالقرآن والسنة ، وأنها تقع للمؤمن ، وتختلف عن معجزات الأنبياء ، وعن السحر، يعطيها الله تعالى للعبد المؤمن؛ لإيمانه ، وتقواه ، وليست من شروط الولاية .

A summary of research

Dealing with this research the issue of the mandate at the hardliners in Sufism, can be summed up this research in the following points:

١. The collection of this research by extremist beliefs wool in the State, definition, and prestige, the characteristics of the Patriarchs, the methods of the collection of the mandate, and then, a researcher to respond to these beliefs according to the approach of scientific research evidenced by what Allah and jurisprudence of the Koran and Sunna's words scientists.

٢.Statement of the proper approach in the collection of the state, and embark on the approach to the predecessor in that .

٣. With the mandate to greatness in Islam, and not a gift from Allah , but derived from faith and piety through , and obedience to His struggling received by a person, and obedience to Allah Prophetr .

٤. Maximizing the parents love and honor them without exaggeration that they have, and stay away from innovation in matters of faith .

٥. Parents karamat fixed by the Qur'an and Sunnah, and they fall for the believer, and differ from the miracles of the Prophets, and magic, giving it's Allah Abdelmoumen as a result of his faith and piety .

الفهارس العامة

أولاً: قائمة الآيات .

ثانياً: قائمة الأحاديث .

ثالثاً : قائمة مصطلحات التصوف في الرسالة .

رابعاً: قائمة المصادر والمراجع .

خامساً: قائمة المحتويات .

أولاً: قائمة الآيات القرآنية

مسلسل	الآية	السورة	رقمها	الصفحة
١.	﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ... ﴾	الأنعام	١٢٤	٥٠
٢.	﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ... ﴾	الحج	٧٥	٥٦
٣.	﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾	البقرة	٢٥٧	١٣٠،١٢٧،١٤
٤.	﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾	لقمان	٣٤	١٦٧،١٥٦
٥.	﴿ إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	التوبة	١١٦	١٢٧
٦.	﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾	الحج	٣٨	١٣٥
٧.	﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا... ﴾	النحل	١٢٨	١٣٢
٨.	﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾	الكهف	١٠-١٢	١٩٣
٩.	﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾	الأنفال	١٢	١٩٥
١٠.	﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾	العصر	٣	٤١
١١.	﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ ﴾	النساء	١٦٣	٣٧
١٢.	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ ... ﴾	الأعراف	٢٧	١٢٩
١٣.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ﴾	فصلت	٣٠	١٣٣،٣٢،١
١٤.	﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا... ﴾	غافر	٥١	١٤٣،١٣٢
١٥.	﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا ... ﴾	الإنسان	١٠	١٣١
١٦.	﴿ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ... ﴾	الأنفال	٣٤	١٠٧

مسلسل	الآية	السورة	رقمها	الصفحة
١٧.	﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴾	الحجرات	١٣	٢٠٣
١٨.	﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾	آل عمران	١٧٥	١٢٩
١٩.	﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾	المائدة	٥٥	١١٧
٢٠.	﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ... ﴾	الزمر	٣٠	١٧٣،٤٢
٢١.	﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ... ﴾	الأعراف	١٩٦	١٣٤،٤٣،٢٤
٢٢.	﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	الفاتحة	٦	٢٠٢
٢٣.	﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ... ﴾	الأنعام	٧٩	٨٠
٢٤.	﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾	يونس	٦٢-٦٣	١٤٦،١٣١،١٤،١
٢٥.	﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ... ﴾	التوبة	١٣	١٠٢
٢٦.	﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ... ﴾	البلد	٨-١٠	١٨٩
٢٧.	﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾	الزمر	٣٦	١٢٩
٢٨.	﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾	الكهف	٩	١٩٦
٢٩.	﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ... ﴾	البقرة	٢٥٩	١٩٥
٣٠.	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾	الأنعام	٨٩	٤٩
٣١.	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾	الحجرات	٣	٦٧،٦٥
٣٢.	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ... ﴾	الأنعام	٩٠	٤٨
٣٣.	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ ... ﴾	الإسراء	٥٧	١٠٣

مسلسل	الآية	السورة	رقمها	الصفحة
٣٤.	﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ...﴾	فاطر	٣٢	١٥١
٣٥.	﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾	المجادلة	٢٢	٦٥،٦٧
٣٦.	﴿بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾	آل عمران	١٥٠	١٣٥
٣٧.	﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾	هــود	٤٩	٣٧
٣٨.	﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّه﴾	القدر	٤	١٦٥
٣٩.	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ...﴾	المؤمنون	١٥-١٦	١٧٤
٤٠.	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾	فاطر	٣٢	١٥٢،١٥٠
٤١.	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ﴾	الجاثية	١٨	١٠٩
٤٢.	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا...﴾	محمد	١١	١٢٧،١٤
٤٣.	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ ...﴾	الرعد	٢٨	١٠٠
٤٤.	﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾	الأنعام	٨٢	١٣١
٤٥.	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ...﴾	يونس	٦٣	١٠٦
٤٦.	﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا ...﴾	آل عمران	١٦	١٨٢
٤٧.	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾	آل عمران	١٣٤	٢٦
٤٨.	﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾	يوسف	١٠١	١٣٠
٤٩.	﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾	آل عمران	٥٣	١٨٢
٥٠.	﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ يُلْقِي﴾	غافر	١٥	٣٨،٣٥
٥١.	﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾	الحديد	٢١	١٥١
٥٢.	﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾	البقرة	٣٢	١٦٧
٥٣.	﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ ...﴾	الفتح	٢٩	١٦

مسلسل	الآية	السورة	رقمها	الصفحة
٥٤.	﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾	الجن	٢٦	١٧٦،١٦٦
٥٥.	﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ ﴾	الواقعة	١٥-٢٦	١٥١
٥٦.	﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا ﴾	الجمعة	١٠	٦٧
٥٧.	﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي... ﴾	البقرة	١٥٢	١١٤
٥٨.	﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ... ﴾	الواقعة	٨-١٤	١٥٠
٥٩.	﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ ﴾	محمد	١٩	٢٤
٦٠.	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ ﴾	الروم	٣٠	٢٣
٦١.	﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ... ﴾	الواقعة	١٠-١١	١٥١
٦٢.	﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا ﴾	آل عمران	٣٧	١٩٣
٦٣.	﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ ... ﴾	النساء	٨٤	١٢٢
٦٤.	﴿ فوجدا عبداً من عِبَادِنَآ ﴾	الكهف	١٦	١٧٥
٦٥.	﴿ فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ... ﴾	الإنسان	١١	١٣١
٦٦.	﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾	يوسف	٣٣	٤٥
٦٧.	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ﴾	التوبة	٢٤	١١٩
٦٨.	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾	آل عمران	٣١	١٣٤،٩٥
٦٩.	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾	الأعراف	١٨٨	١٦٦،١٤٤
٧٠.	﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾	النمل	٦٥	١٧٢
٧١.	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا ﴾	التوبة	٥١	١٨٧
٧٢.	﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ ﴾	الأنعام	٩١	٧٧
٧٣.	﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ ﴾	المطففين	١٥	١٧١
٧٤.	﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾	الرحمن	٢٦-٢٧	١٧٧

مسلسل	الآية	السورة	رقمها	الصفحة
٧٥.	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ...﴾	المدثر	٣٩-٤٠	١٥٢
٧٦.	﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ﴾	الأنعام	١٠٣	١٧٢،١٦٧
٧٧.	﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ ...﴾	آل عمران	٢٨	١٢٨
٧٨.	﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾	الأنبياء	١٠٣	١٣٤
٧٩.	﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ﴾	الحديد	١٠	١٤٩
٨٠.	﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾	التوبة	١١٧	١٤٨
٨١.	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	التين	٤	١٩٠
٨٢.	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الفتح	١٨	١٤٨
٨٣.	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾	يونس	٢٦	١٧١
٨٤.	﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	يونس	٦٤	١٩٥،١٣٢
٨٥.	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ.﴾	الأحزاب	٤٠	١٦٥
٨٦.	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ...﴾	الفتح	٢٩	١١٨
٨٧.	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾	يوسف	٣	٣٧
٨٨.	﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	الحشر	٢٢-٢٤	٧٧
٨٩.	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾	البقرة	١٨٦	١٩١،١٨٠،٧٦
٩٠.	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم﴾	آل عمران	٨١	٣٧
٩١.	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ...﴾	الأعراف	١٧٢	٢٣
٩٢.	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾	إبراهيم	٧	ب
٩٣.	﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	البقرة	١٦٣	٢١
٩٤.	﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ ...﴾	الأنعام	١٢١	٥٥
٩٥.	﴿وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾	الجاثية	١٩	١٢٨

مسلسل	الآية	السورة	رقمها	الصفحة
٩٦.	﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾	محمد	٣٨	١٣٠
٩٧.	﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا... ﴾	النور	٥٤	١٨٩
٩٨.	﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ ... ﴾	البقرة	١٠٢	٥٥
٩٩.	﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾	الأعراف	١٧٥	٤٥
١٠٠.	﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا ﴾	الأعراف	٢٠٥	٦٥،٦٨
١٠١.	﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾	الحجر	٩٩	٢٤
١٠٢.	﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾	مريم	٤٨	٨٣
١٠٣.	﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ... ﴾	الواقعة	٢٧	١٥٢
١٠٤.	﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾	الواقعة	٩٠	١٥٢
١٠٥.	﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾	طه	١٣	٥٠
١٠٦.	﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾	البقرة	٢٣٥	١٥٦
١٠٧.	﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ ... ﴾	طه	١٣٢	٨٢
١٠٨.	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾	النحل	٤٤	٧٢
١٠٩.	﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾	الأنعام	١٥٣	١٠٩
١١٠.	﴿ وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ﴾	البقرة	٢٥	١٣٣
١١١.	﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾	المائدة	٢	٨١
١١٢.	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾	الأنعام	١١٥	٧٢
١١٣.	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾	القيامة	٢٢-٢٣	١٧١
١١٤.	﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾	الزمر	٣٣	٤٩
١١٥.	﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾	الأحزاب	٣٥	١١٤
١١٦.	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ ﴾	الحشر	٩	١٤٨

مسلسل	الآية	السورة	رقمها	الصفحة
١١٧.	﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾	الأعراف	١٩٧	١٣٥
١١٨.	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ ﴾	العنكبوت	٦٩	١٢٠
١١٩.	﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾	الأعراف	١٥٦	٢٧
١٢٠.	﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ﴾	التوبة	١٠٠	٥٨
١٢١.	﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ... ﴾	الواقعة	١١-١٢	١٤٨،١٥١
١٢٢.	﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾	آل عمران	١٣٣	١٥١
١٢٣.	﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ... ﴾	طه	١٣٠	١٧١
١٢٤.	﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ... ﴾	مريم	١٥	٥٦
١٢٥.	﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾	الكهف	٦٥	١٢٥
١٢٦.	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ... ﴾	الأنعام	٥٩	١٦٦
١٢٧.	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	غافر	٦٠	١٨٤
١٢٨.	﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾	النساء	١٤٠	٨٦
١٢٩.	﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾	طه	١١٤	١٧٠
١٣٠.	﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾	الإسراء	١١١	١٢٧
١٣١.	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	البقرة	١٤٣	٨٨
١٣٢.	﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾	الإسراء	١١٠	٦٨
١٣٣.	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾	آل عمران	١٦٩	٦٢
١٣٤.	﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾	هــود	١١٣	١٢٩
١٣٥.	﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾	التكوير	٢٣	١٧٢
١٣٦.	﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾	النجم	١٣	١٧٢
١٣٧.	﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾	الصافات	٧٥-٧٦	١٣٥

مسلسل	الآية	السورة	رقمها	الصفحة
١٣٨.	﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾	النساء	١٣١	١٠٧
١٣٩.	﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ ... ﴾	القمر	١٧	٧٢
١٤٠.	﴿وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾	الأعراف	١٨٠	١٩،٧٦،١٨١،
١٤١.	﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾	البقرة	١٢٠	١٠٩
١٤٢.	﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾	الشورى	٨	١٢٨
١٤٣.	﴿وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ﴾	التوبة	٧١	٢٧
١٤٤.	﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾	الحشر	٧	١١٥
١٤٥.	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾	سبأ	٢٨	٩٩
١٤٦.	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ﴾	الأنبياء	٢٥	٣٧
١٤٧.	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ...﴾	الحج	٥٢	٤٩
١٤٨.	﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ ﴾	الأنبياء	٣٤	١٧٣،١٧٦
١٤٩.	﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾	الكهف	٨٢	١٧٥ ،١٧٦،١٧٨
١٥٠.	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاّ وحياً﴾	الشورى	٥١	١٧٢،١٧٣
١٥١.	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾	آل عمران	١٤٤	٤٣،٦٠،١٧٤
١٥٢.	﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾	مريم	٦٤	٢٩
١٥٣.	﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ﴾	المطففين	٢٧-٢٨	١٥١
١٥٤.	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ﴾	فصلت	٣٣	٩٢
١٥٥.	﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا ...﴾	النساء	١١٩	١٢٩
١٥٦.	﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾	المائدة	٥٦	١٣٥
١٥٧.	﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ ﴾	الشورى	٤٤	١٢٨
١٥٨.	﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ...﴾	النساء	١٠٠	١٢٢

مسلسل	الآية	السورة	رقمها	الصفحة
١٥٩.	﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ... ﴾	النساء	٦٩	١٤٦
١٦٠.	﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾	الأنبياء	٣٥	١٩٥
١٦١.	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾	الشورى	٢٥	١٥٦
١٦٢.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾	المائدة	٣٥	١٠١
١٦٣.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾	التوبة	١١٩	١٠١
١٦٤.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ﴾	النساء	٥٩	٩٧
١٦٥.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾	التحريم	٦	٨١
١٦٦.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ ﴾	الصف	١٤	١٤٧
١٦٧.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ... ﴾	التوبة	٢٣	١١٧،١٢٨
١٦٨.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ ﴾	المائدة	٥٤	١٣٠،١١٩
١٦٩.	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾	المائدة	٦٧	١٧٢
١٧٠.	﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾	آل عمران	٧٤	٢٨
١٧١.	﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ﴾	المجادلة	١١	١٧٠،١٥٠،٩٦
١٧٢.	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	المائدة	٣	٧٣،٧٢،٨
١٧٣.	﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ... ﴾	الحديد	١٢	١٣٤

ثانياً : قائمة الأحاديث

مسلسل	الأحاديث	الصفحة
١.	إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ	١٩٢
٢.	إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ	٦٧
٣.	إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ نَبِيًّا حَتَّى يُخَيِّرَهُ	٥٧
٤.	إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَة ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً	٢٧
٥.	إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيل	١٣٤
٦.	إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ مِنْ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ	٨٢
٧.	إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ	٧٥
٨.	إِذَا قَالَ الرَّجُل:هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ	٨٩
٩.	إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ	١٨٠
١٠.	إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَة	٨
١١.	إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ	٨٩
١٢.	إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ	١١٢
١٣.	إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَه:أُوَيْس	٢٠٠
١٤.	إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ ﷺ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ	١٧٢
١٥.	إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ	١٥
١٦.	إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاء	١٣١
١٧.	إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ	٣٦
١٨.	إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ	٨٨

مسلسل	الأحاديث	الصفحة
١٩.	إيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِه	١٢٠
٢٠.	أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا	١٧٧
٢١.	" أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام	٥٦
٢٢.	أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ	٦٢
٢٣.	اعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ	١٠٢
٢٤.	اعْبُرْهَا ... أَصَبْتَ بَعْضًا	١٦٩
٢٥.	أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ	١٧٤
٢٦.	أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي (حديث قدسي)	١١٥،١١٦
٢٧.	أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الأَنْبِيَاءِ	٩٩
٢٨.	اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ	٢١
٢٩.	أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إِلا اللَّه	٧٧
٣٠.	أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟	١١٨
٣١.	أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ ؟	٨٤
٣٢.	أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُم	١١٥
٣٣.	اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا	١٠٨
٣٤.	اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا	١٠٨
٣٥.	أَما إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ	٥٨
٣٦.	أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ	١٤٧
٣٧.	أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْه	١٦٧

مسلسل	الأحاديث	الصفحة
٣٨.	انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِه	١٢١
٣٩.	الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ	٦٠
٤٠.	أَنَّ رَجُلا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى	١٦٦
٤١.	انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى	١٨٢
٤٢.	أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّه	٧٣
٤٣.	بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ	٩٣
٤٤.	تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَة	٨٥
٤٥.	تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَار ، وَالدِّرْهَم ، وَالْقَطِيفَة	٩
٤٦.	تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷻ حَتَّى يَمُوتَ	١٧٢
٤٧.	تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ	١٣٣
٤٨.	ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ	١١٧،٩٦
٤٩.	حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنْ النَّاسِ	٨٤
٥٠.	خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ	١٤٨
٥١.	خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم	٧٠
٥٢.	الدِّينُ النَّصِيحَةُ	٩٣
٥٣.	ذَلِكَ الْمَلائِكَةُ دَنَوْا لِصَوْتِك	١٩٧
٥٤.	الذين إذا رؤوا ذكر الله	١٦
٥٥.	رُبَّ أَشْعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ	١٣٦
٥٦.	رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ	١٩٣

مسلسل	الأحاديث	الصفحة
٥٧.	رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ	٨٤
٥٨.	سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله	٨٩
٥٩.	الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا	٨٧
٦٠.	عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاءِ اللاتِي كُنَّ عِنْدِي لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرْنَ	٥٣
٦١.	عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ	٥٧
٦٢.	عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْع والطاعة	٩٨
٦٣.	الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ	٩٩
٦٤.	فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوه	١١٠
٦٥.	فإنَّه جبريل أتاكم يُعلِّمُكم دينَكُمْ	١٦٦
٦٦.	فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ	١٧٦
٦٧.	فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ	٩٣
٦٨.	قَدْ غُفِرَ لَهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ ثَلاثًا	١٨٢
٦٩.	كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ	٢٥،٥٤
٧٠.	كَلا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ	١٦٩
٧١.	كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ	٨١
٧٢.	كلوا و أمسك يده وأبى أن يأكل	٩٤
٧٣.	كَيْفَ تَجِدُكَ؟	١٣١
٧٤.	لا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ	٦١
٧٥.	لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ	١٩٠

مسلسل	الأحاديث	الصفحة
٧٦.	لا تسبوا أصحابي	١٤٨
٧٧.	لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ	٩٧
٧٨.	لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ	٨٢
٧٩.	لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي	٦٠
٨٠.	لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي	٧٧
٨١.	لَمْ يَبْقَ مِنْ النُّبُوَّةِ إلا الْمُبَشِّرَاتُ	١٣٣
٨٢.	لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إلا ثَلاثَةٌ	١٩٦
٨٣.	لَوْ دَخَلْتُمُوهَا مَا خَرَجْتُمْ مِنْهَا أَبَدًا إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ	٩٧
٨٤.	لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْم	٥٦
٨٥.	الْمُؤْمِن ، أَوِ الْمُسْلِمُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاس	٨٤
٨٦.	الْمُؤْمِنُ مُؤْلَف	٨٥
٨٧.	مَا أَصَابَ أَحدًا قَطُّ هَم ، وَلاَ حُزْنٌ	١٦
٨٨.	مَا أَعْدَدْتَ لَهَا	٨٢
٨٩.	مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا	٨٢
٩٠.	مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّة	١٤٤
٩١.	مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَة	٢٣
٩٢.	مَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلاَ رُسُلُهُ	١٨٨
٩٣.	الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ	١٠١،١٠٤
٩٤.	مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى وَهُوَ يُصَلِّي	٦٠

مسلسل	الأحاديث	الصفحة
٩٥.	الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاسَ	٨٤
٩٦.	مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إِلا اللَّهُ	١٦٦،١٤٤
٩٧.	مُقَامُ أَحَدِكُمْ – يَعْنِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ – خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ	٨٥
٩٨.	مَنْ أَتَى عَرَّافًا	١٦٨
٩٩.	من أتى كاهناً ، أو عرافاً	١٦٨
١٠٠.	مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ	٧٠
١٠١.	مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا إِلاَّ كَلْبَ مَاشِيَةٍ	١٨٨
١٠٢.	مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِه ، وَأَقَامَ الصَّلاَة	١٠٠
١٠٣.	مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَال: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ	٦٦
١٠٤.	مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَة	١٧٥
١٠٥.	مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ	٩٨
١٠٦.	مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ (حديث قدسي)	١٣٤،١٣٠،٢٢
١٠٧.	مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ	٥٨
١٠٨.	مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ	٧٥
١٠٩.	منْ لمْ يشكرِ الناسَ لمْ يشكرِ الله	ب
١١٠.	مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟	١٤٩
١١١.	نَعَم ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِس	٩٤
١١٢.	نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ ؟	١٧٢
١١٣.	وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ	٦٠

مسلسل	الأحاديث	الصفحة
١١٤.	وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ	٢٥
١١٥.	يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ	١٢٠
١١٦.	يا أبا ذر أي عرى الإيمان أوثق	١١٧،٩٥
١١٧.	يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا	٩٠
١١٨.	يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم	٦٨
١١٩.	يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ	١٩١،١٨٠،١٠٣
١٢٠.	يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ	١٠٠
١٢١.	يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ	٨٤

ثالثاً: قائمة مصطلحات التصوف في الرسالة

مسلسل	مصطلحات التصوف	الصفحة
١.	الأئمة	١٤٠
٢.	الأبدال	١٤٠
٣.	الأحوال	١٦٥
٤.	الأنس بالله	١١٩
٥.	الأوتاد	١٤٠
٦.	أهل الخمول	٣١
٧.	البسط	٤٤
٨.	البقاء	٣٠
٩.	التجريد	٣١
١٠.	التفريد	١٥٨
١١.	الجدبة	٣٠
١٢.	حزب البحر	٧٤
١٣.	الحقيقة	٣٠
١٤.	الخلوة	٧٩
١٥.	الخواطر	٣٥
١٦.	الذوق	٣٠
١٧.	رابطة المرشد	١٠٠
١٨.	الشريعة	٣٠

مسلسل	مصطلحات التصوف	الصفحة
١٩.	الشهود	٣١
٢٠.	العلوم اللدنية	٢٨
٢١.	العلوم الوهبية	٢٨
٢٢.	الغلو	٢
٢٣.	الغوث (القطب)	١٣٩
٢٤.	الغيبة	١٠١
٢٥.	الفلاسفة المشائين	٥٠
٢٦.	الفناء	٣٠
٢٧.	الفيض	٩٨
٢٨.	القبض	٤٤
٢٩.	الكشف	١٥٧
٣٠.	المجاهدة	٣٩
٣١.	المجذوب	٣٠
٣٢.	المشاهدة	٣٩
٣٣.	المقامات	١٣٩
٣٤.	النجباء	١٤١
٣٥.	النقباء	١٤١
٣٦.	النقشبندية	٦٩
٣٧.	الوجد	٣١

رابعاً: قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

١. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، تأليف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢. **الإصابة في تمييز الصحابة** ، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، دار الجيل – بيروت ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ) .

٣. **الإيمان** ، تأليف: ابن تيمية ، المكتب الإسلامي – بيروت ، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الرابعة (١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م) .

٤. **أدب الدنيا والدين** ، تأليف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان ، طبعة (٢٠٠٣ م) .

٥. **الأدب المفرد** ، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية – بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م) .

٦. **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار** ، تأليف: الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، تحقيق: محمد العمر ، مكتبة دار المنار- الزرقاء – الأردن.

٧. **الاستقامة** ، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود- المدينة المنورة ، الطبعة الأولى (١٤٠٣ هـ).

٨. **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، تأليف:عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، تحقيق:عادل أحمد الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، الطبعة (١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م) .

٩. **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى** ، تأليف: نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري ، تحقيق: محمد الصباغ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، طبعة (١٣٩١ هـ – ١٩٧١م) .

١٠. **أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب** ، تأليف: محمد بن درويش بن محمد الحوت، دار الكتب العلمية .

١١. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، تأليف: الشيخ محمد المختار الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات، طبعة (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) .

١٢. **الاعتصام بحبل الله** ، تأليف: أبو إسحاق الشاطبي ، المكتبة التجارية الكبرى– مصر .
١٣. **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف ، وأصحاب الحديث** ، تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: أحمد عصام الكاتب ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠١ هـ) .
١٤. **الأعلام** ، تأليف : خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت طبعة (١٩٥٦ م).
١٥. **أنوار التنزيل و أسرار التأويل للإمام البيضاوي ،المسمى تفسير البيضاوي** ، دار الفكر – بيروت .
١٦. **أولياء الله بين المفهوم الصوفي والسني**، تأليف : الشيخ عبد الرحمن دمشقية .
١٧. **أولياء الرحمن وأولياء الشيطان** ، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية .
١٨. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** ، تأليف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة،(١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م) .
١٩. **البحر الرائق شرح كنز الدقائق** ، تأليف: زين الدين ابن نجيم الحنفي ، دار المعرفة– بيروت ، طبعة (٩٢٦هـ) .
٢٠. **البحر المحيط** ، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م) .
٢١. **البحر المديد** ، تأليف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ، دار الكتب العلمية للنشر– بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م).
٢٢. **البداية والنهاية** ، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين ، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م) .
٢٣. **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة** ، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة، والسيرة النبوية– المدينة المنورة، الطبعة الأولى(١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) .

٢٤. **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تأليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية للنشر .
٢٥. **تاريخ بغداد** ، تأليف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية – بيروت .
٢٦. **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل** ، تأليف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر – بيروت ، طبعة (١٩٩٥م) .
٢٧. **تبسيط العقائد الإسلامية** ، تأليف: الشيخ حسن أيوب ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى (١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م) .
٢٨. **تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي** ، تأليف: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا ، دار الكتب العلمية – بيروت .
٢٩. **تذكرة الحفاظ** ، تأليف الإمام الذهبي دراسة وتحقيق: زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) .
٣٠. **التذكرة في الوعظ** ، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي ، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م) .
٣١. **التسهيل لعلوم التنزيل** ، تأليف: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أبو القاسم ، تحقيق: محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، طبعة (١٤١٥ هـ) .
٣٢. **التصوف المنشأ و المصادر** ، تأليف: الشيخ إحسان إلهي ظهير ، شبكة الدفاع عن السنة.
٣٣. **تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد** ، تأليف: محمد بن الأمير الصنعاني ، تم تحميله من موقع الإسلام .
٣٤. **التعرف لمذهب أهل التصوف** ، تأليف: محمد الكلاباذي أبو بكر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، طبعة (١٤٠٠ هـ) .
٣٥. **التعريفات** ، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ) .
٣٦. **تفسير القرآن العظيم** ، **المسمى تفسير ابن كثير** ، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ –١٩٩٩م) .

٣٧. **تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، (عرض وتحليل)**، تأليف: محمد أحمد لَوْح ، رسالة ماجستير في العقيدة .
٣٨. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** ، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى ومحمد عبد الكبير البكرى ، مؤسسة القرطبه .
٣٩. **التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة** ، تأليف: الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي ، دار طيبة – الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) .
٤٠. **تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب** ، تأليف: محمد أمين الكردي ، جمعه ابنه نجم الدين ، المكتبة التوفيقية .
٤١. **تهذيب التهذيب** ، تأليف: ابن حجر العسقلاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى (١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م) .
٤٢. **تهذيب اللغة** ، تأليف: الإمام أبو منصور الأزهري محمد بن أحمد الهروي الأزهري ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي– بيروت ، طبعة (٢٠٠١م) .
٤٣. **التوسل أنواعه وأحكامه** ، تأليف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، تنسيق: محمد عيد العباسي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية (١٣٩٧ هـ) .
٤٤. **التوقيف على مهمات التعاريف** ، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق: محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر–بيروت – دمشق ، الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ) .
٤٥. **التيسير بشرح الجامع الصغير** ، تأليف: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض ، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) .
٤٦. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م) .
٤٧. **الثقات** ، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر ، الطبعة الأولى (١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م) .
٤٨. **جامع الأصول في أحاديث الرسول** ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، تحقيق: بشير عيون ، دار الفكر ، الطبعة الأولى (١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م) .

٤٩. **جامع البيان في تأويل القرآن** ، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري ، المشهور بتفسير الطبري ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) .
٥٠. **جامع الرسائل** ، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم ، دار العطاء – الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م) .
٥١. **الجامع الصغير** ، تأليف: الإمام جلال الدين السيوطي .
٥٢. **جامع العلوم والحكم** ، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ) .
٥٣. **الجامع الكبير المسمى سنن الترمذي** ، تأليف: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق: د. بشار عواد معروف ، دار الجيل- بيروت ، الطبعة الثانية (١٩٩٨م) .
٥٤. **الجامع لأحكام القرآن** ، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب- الرياض- المملكة العربية السعودية ، طبعة (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) .
٥٥. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ، وسننه ، وأيامه ، المسمى صحيح البخاري** ، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م) .
٥٦. **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة** ، تأليف: أحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية – بيروت .
٥٧. **جوهرة التوحيد** ، تأليف: الإمام البيجوري ، دار الكتب العلمية – بيروت .
٥٨. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** ، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، المشهور بابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت .
٥٩. **حاشية السندي على صحيح البخاري**، تأليف: محمد بن عبد الهادي السندي، دارالفكر .
٦٠. **حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء** ، تأليف:أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الخامسة (١٤٠٥ هـ) .
٦١. **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر** ، تأليف: عبد الرزاق البيطار .

٦٢. **درء تعارض العقل والنقل** ، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، دار الكنوز الأدبية – الرياض ، طبعة (١٣٩١ هـ) .

٦٣. **درة الأسرار ، وتحفة الأبرار في أقوال ، وأفعال ، وأحوال ، ومقامات ، ونسب ، وكرامات ، وأذكار ، ودعوات الشيخ أبو الحسن الشاذلي** ، جمع: الشيخ محمد بن أبي القاسم الحميري المعروف بابن الصباغ ، حققه وقدم له: السيد حسن منصور شعبان ، دار الحسين الإسلامية .

٦٤. **دلائل النبوة** ، تأليف: الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي .

٦٥. **دليل البحث والتقويم التربوي** ، تأليف: أحمد الخطيب وآخرون ، طبعة ١٩٨٥ م .

٦٦. **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين** ، المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي .

٦٧. **الديباج على شرح مسلم** ، تأليف: جلال الدين السيوطي .

٦٨. **الرحيق المختوم** ، تأليف: صفي الدين المباركفوري ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع– المنصورة – مصر ، الطبعة السابعة عشرة (١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م) .

٦٩. **الرسالة القشيرية** ، تأليف: أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، طبعة (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م) .

٧٠. **الرسل والرسالات** ، تأليف: د عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس للنشر والتوزيع الطبعة السادسة (١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م) .

٧١. **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة** ، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار الكتب العلمية – بيروت ، طبعة (١٣٩٥ هـ –١٩٧٥م) .

٧٢. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٧٣. **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين** ، تأليف: الإمام شرف الدين النووي ، تحقيق: عبد العزيز رباح ، أحمد الدقاق ، راجعه: الشيخ شعيب الأرنؤوط ، دار المأمون للتراث ، الطبعة العشرون (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م) .

٧٤. **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، طبعة (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) .

٧٥. **الزواجر عن اقتراف الكبائر** ، تأليف : للشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي ، دار المعرفة – ببيروت (١٤٠٢هـ–١٩٨٢م) .
٧٦. **زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور** ، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، الإدارة العامة للطبع والترجمة – الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ) .
٧٧. **سبل السلام** ، تأليف: محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الرابعة (١٣٧٩هـ– ١٩٦٠م) .
٧٨. **السلسلة الصحيحة** ، تأليف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف– الرياض .
٧٩. **السلسلة الضعيفة** ،تأليف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف– الرياض.
٨٠. **سنن ابن ماجه** ، تأليف: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ – ١٩٩٨م) .
٨١. **سنن أبي داود بحاشيته عون المعبود** ، تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد ابن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ، دار الكتاب العربي .
٨٢. **سنن الدارمي** ، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدرامي ، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ) .
٨٣. **السنن الكبرى** ، تأليف:أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي ، مجلس دائرة المعارف – حيدر أباد ، الطبعة الأولى (١٣٤٤ هـ) .
٨٤. **سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي** ، تأليف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث ، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الخامسة (١٤٢٠هـ) .
٨٥. **سير أعلام النبلاء** ، تأليف: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة .
٨٦. **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون** ، تأليف: علي بن برهان الدين الحلبي ، دار المعرفة – بيروت ، نشر سنة (١٤٠٠ هـ) .
٨٧. **السيرة النبوية لابن هشام** ، تأليف : أبو محمد عبد الملك بن هشام ، تحقيق : عمر عبد السلام .

٨٨. **شبهات التصوف** ، تأليف: عمر بن عبد العزيز قريشي ، دار الهدى – مصر .

٨٩. **شرح رياض الصالحين** ، تأليف: الشيخ ابن عثيمين .

٩٠. **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك** ، تأليف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ، دار الكتب العلمية – بيروت ، طبعة (١٤١١ هـ) .

٩١. **شرح السنة** ، تأليف: محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي – دمشق– بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) .

٩٢. **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية** ، تأليف: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، وزارة الشئون الإسلامية ، والأوقاف ، والدعوة، والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ) .

٩٣. **شرح العقيدة الطحاوية** ، تحقيق: الإمام الألباني ، المكتب الإسلامي– بيروت الطبعة الثانية (١٤١٤هـ) .

٩٤. **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية** ، تأليف: محمد خليل هراس ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) .

٩٥. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل** ، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار الفكر– بيروت ، طبعة(١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م) .

٩٦. **الصحاح في اللغة** ، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم – لبنان ، طبعة (١٩٨٧ م) .

٩٧. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان** ، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ– ١٩٩٣ م) .

٩٨. **صحيح الترغيب والترهيب** ، تأليف محمد ناصر الألباني ، مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الخامسة .

٩٩. **صحيح وضعيف الجامع الصغير** ، تأليف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي .

١٠٠. **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه** ، تأليف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف– الرياض .

١٠١. **صحيح وضعيف سنن أبي داود** ، تأليف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف- الرياض .
١٠٢. **صحيح وضعيف سنن الترمذي** ، تأليف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف- الرياض .
١٠٣. **صحيح وضعيف سنن النسائي** ، تأليف: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف- الرياض .
١٠٤. **صحيح مسلم** ، تأليف: مسلم بن الحجاج الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار التراث العربي – بيروت .
١٠٥. **صفة الصفوة** ، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، تحقيق: محمود فاخوري- د.محمد رواس قلعه جي ، دار المعرفة- بيروت، الطبعة(١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).
١٠٦. **صوفيات خطاب مفتوح إلى حضرة السماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية** ، تأليف: عبد الرحمن الوكيل.
١٠٧. **الصوفية والوجه الآخر** ، تأليف الدكتور: محمد جميل غازي .
١٠٨. **صيد الخاطر** ، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق: على الطنطاوي ، دار المنارة ، الطبعة الثانية (١٣٩٨ هـ) .
١٠٩. **طبقات الصوفية** ، تأليف: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، طبعة (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) .
١١٠. **الطبقات الكبرى** ، تأليف : أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى (١٩٩٧م – ١٤١٨ هـ) .
١١١. **طريق الهجرتين وباب السعادتين** ، تأليف: ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم – الدمام ، الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م) .
١١٢. **ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم** ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت ،الطبعة الثالثة (١٤١٣هـ –١٩٩٣م) .
١١٣. **عالم الملائكة الأبرار** ، تأليف: د. عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس للنشر والتوزيع الطبعة السادسة (١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م) .

١١٤. **عون المعبود شرح سنن أبي داود** ، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية(١٤١٥) .

١١٥. **الفتاوى الكبرى** ، تأليف: تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا – مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م).

١١٦. **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة – بيروت .

١١٧. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، تأليف: محمد بن علي الشوكاني .

١١٨. **فتح المغيث شرح ألفية الحديث** ، تأليف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية – لبنان ، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ) .

١١٩. **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان** ، تأليف: الإمام ابن تيمية .

١٢٠. **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، تأليف: الحافظ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ، مكتبة الخانجي – القاهرة .

١٢١. **فضائح الصوفية** ، تأليف: للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق .

١٢٢. **فقه السنة** ، تأليف : السيد سابق ، دار الفكر ، طبعة (٢٠٠٢ م) .

١٢٣. **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب ،و السنة** ، تأليف: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف ، الطبعة الخامسة (١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م) .

١٢٤. **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة** ، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م) .

١٢٥. **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، تأليف: عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن نور الدين علي بن زين العابدين الحدادي المناوي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م) .

١٢٦. **في ظلال القرآن** ، تأليف: سيد قطب إبراهيم ، دار الشروق ـ القاهرة .

١٢٧. **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة** ، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي ، مكتبة الفرقان– عجمان ، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)

١٢٨. **القاموس الفقهي لغةً واصطلاحا** ، تأليف: سعدي أبو جيب ، دار الفكر – دمـــشق – سوريا ، الطبعة الثانية (١٤٠٨ هــ – ١٩٨٨ م) .
١٢٩. **القاموس المحيط**، تأليف: الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٥٧هــ).
١٣٠. **قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر** ، تأليف: محمد صديق حسن خان القنوجي ، تحقيق: د.عاصم بن عبد الله القريوتي ،عالم الكتب– بيروت، الطبعة الأولى(١٩٨٤ م).
١٣١. **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد** ، تأليف: محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي ، تحقيق: د.عاصم إبراهيم الكيالي ، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، الطبعة الثانية (١٤٢٦ هــ –٢٠٠٥ م) .
١٣٢. **قطر الولي على حديث الولي المسمى ولاية الله والطريق إليها** ، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق: د. إبراهيم هلال ، مطبعة حسّان – دار الكتب الحديثة.
١٣٣. **كرامات أولياء الله عز وجل** ، تأليف: هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي ، دار طيبة– الرياض ، تحقيق: د. أحمد سعد الحمان ، الطبعة الأولى (١٤١٢ هــ) .
١٣٤. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله ، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي عوض ، مكتبة العبيكان – الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٨ه ، ١٩٩٨م) .
١٣٥. **كشف المشكل من حديث الصحيحين** ، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، تحقيق:علي حسين البواب ، دار الوطن– الرياض ، طبعة (١٤١٨هــ – ١٩٩٧م) .
١٣٦. **الكشف والبيان** ، تأليف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان ، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هــ– ٢٠٠٢ م) .
١٣٧. **اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بــ (التذكرة في الأحاديث المشتهرة)**، تأليف: بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية–بيروت ، الطبعة(١٤٠٦هــ– ١٩٨٦م) .
١٣٨. **لباب التأويل في معاني التنزيل ، المسمى: تفسير الخازن** ، تأليف: علاء الدين علي ابن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، دار الفكر – بيروت– لبنان ، طبعة (١٣٩٩ هــ – ١٩٧٩ م) .

١٣٩. **لسان العرب** ، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر – بيروت للطباعة .

١٤٠. **لطائف الإشارات** ، تأليف: أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري .

١٤١. **لوامع الأنوار البهية ، وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية** ، تأليف: شمس الدين ، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ، الطبعة الثانية (١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م) .

١٤٢. **مجموع الفتاوى** ، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم ، دار الوفاء ، الطبعة الثالثة (١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م) .

١٤٣. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – لبنان ، طبعة (١٤١٣هـ– ١٩٩٣م) .

١٤٤. **مختار الصحاح** ، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق: محمود خاطر ، لبنان ناشرون – بيروت ، الطبعة (١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م) .

١٤٥. **مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية** ، تأليف: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار ابن القيم – الدمام – السعودية ، طبعة (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م) .

١٤٦. **مختصر منهاج القاصدين** ، تأليف: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، دار البيان – مؤسسة علوم القرآن ، طبعة (١٣٩٨هـ – ١٩٧٨ م) .

١٤٧. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثانية (١٣٩٣ هـ– ١٩٧٣ م) .

١٤٨. **مدارك التنزيل ، وحقائق التأويل ، المسمى تفسير النسفي** ، تأليف: عبد الله بن أحمد ابن محمود أبو البركات النسفي ، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار ، دار النفائس– بيروت ، طبعة (٢٠٠٥ م) .

١٤٩. **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** ، تأليف: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري ، إدارة البحوث

العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند ، الطبعة الثالثة (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م) .

١٥٠. **المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص** ، تأليف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م) .

١٥١. **مسلم بشرح النووي أو اسمه المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ) .

١٥٢. **المسند** ، تأليف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق: شعيب الأرنؤط ، مؤسسة الرسالة – بيروت .

١٥٣. **مسند أبي يعلى** ، تأليف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ، تحقيق: حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث – دمشق ، الطبعة الأولى(١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) .

١٥٤. **مشكاة المصابيح** ، تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، المكتب الإسلامي – بيروت، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة (١٤٠٥ هـ– ١٩٨٥ م).

١٥٥. **مصنف ابن أبي شيبة** ، تأليف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تحقيق: محمد عوامة ، الدار السلفية الهندية .

١٥٦. **المعجم الأوسط** ، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض ، دار الحرمين القاهرة ، الطبعة(١٤١٥ هـ).

١٥٧. **معجم البلدان** ، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، دار الفكر– بيروت .

١٥٨. **المعجم الكبير** ، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي،مكتبة العلوم والحكم– الموصل ، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م) .

١٥٩. **معجم مقاييس اللغة** ، تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للنشر ، الطبعة (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) .

١٦٠. **معجم المؤلفين** ، تأليف: عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى– دار إحياء التراث العربي– بيروت .

١٦١. **المعجم الوسيط** ، تأليف مجموعة من العلماء : إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، تحقيق: مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة للنشر .
١٦٢. **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني** ، تأليف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ) .
١٦٣. **مفاتيح الغيب من القرآن الكريم ، المسمى: تفسير الرازي** ، تأليف: محمد بن عمر ابن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م) .
١٦٤. **مفتاح دار السعادة ، ومنشور ولاية العلم ، والإرادة** ، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المشهور بابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت .
١٦٥. **مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي** ، وهو عبارة عن بحث ترقية ، وقم لمجلة الجامعة الإسلامية ، تأليف : د . محمود يوسف الشوبكي ، أستاذ مشارك بقسم العقيدة والمذاهب الفكرية ، كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية – غزة .
١٦٦. **مقالات الإسلاميين ، واختلاف المصلين** ، تأليف: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن ، تحقيق: هلموت ريتر ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
١٦٧. **المنار المنيف في الصحيح والضعيف** ، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، سنة النشر (١٤٠٣ هـ) .
١٦٨. **المنتخب من مسند عبد بن حميد** ، تأليف: عبد بن حميد ، تحقيق: مصطفى بن العدوي ، دار بلنسية – الرياض ، الطبعة الثانية (٢٠٠٢م) .
١٦٩. **منهاج السنة النبوية** ، تأليف:شيخ الإسلام بن تيمية ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة ، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ) .
١٧٠. **الموسوعة الفقهية الكويتية** ، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ، دار السلاسل – الكويت ، الطبعة الثانية (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ) .
١٧١. **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي** ، تأليف: د. رفيق العجم ، مكتب لبنان – ناشرون ، طبعة (١٩٩٩ م) .
١٧٢. **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** ، تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية.

١٧٣. **الموضوعات** ، للعلامة السلفي الإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشي ، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، الطبعة الأولى (١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م) .
١٧٤. **الموطأ** ، تأليف: مالك بن أنس ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان ، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م) .
١٧٥. **النبوات** ، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، المطبعة السلفية – القاهرة .
١٧٦. **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي– محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية– بيروت ، الطبعة (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) .
١٧٧. **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين** ، تأليف: محمد بن عفيفي الخضري ، تحقيق: هيثم هلال ، دار المعرفة بيروت– لبنان ، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م) .
١٧٨. **الوابل الصيب من الكلم الطيب** ، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م) .

مراجع على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)

١٧٩. www.almeshkat.net/books، **مكتبة مشكاة الإسلامية** .
١٨٠. www.islam-qa.com/ar/ref ، **موقع الإسلام سؤال وجواب** ، .
١٨١. www.frqan.com ، **موقع الفرقان** .
١٨٢. http://ar.wikipedia.org/wiki ، **موقع وكيدا** .
١٨٣. www.al-mostafa.com ، **مكتبة المصطفى** .
١٨٤. www.waqfeya.net ، **المكتبة الوقفية** .
١٨٥. http://cb.rayaheen.net ، **منتدى الرياحين** .
١٨٦. http://www.islamweb.net ، **موقع إسلام ويب** .

خامساً : قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
أولاً: بين يدي البحث	
شكر .	أ
إهداء .	ب
مقدمة .	١
أهمية الموضوع وأسباب اختياره .	١
الدراسات السابقة .	٢
منهج البحث .	٢
طريقة البحث .	٢
خطة البحث .	٤
ثانياً: الفصل الأول: التعريف بالولاية ، ومكانتها ، وتحصيلها	
المبحث الأول: تعريف الولاية	
تمهيد	٨
أولاً: التصوف السني	١١
أعلام التصوف السني	١١
ثانياً:التصوف البدعي	١١
أعلام التصوف البدعي	١٢
الولاية لغةً .	١٤
الولاية اصطلاحاً عند أهل السنة والجماعة .	١٥
خلاصة تعريف الولي .	١٨
تعريف الولاية عند غلاة الصوفية .	١٩
• تعريف أبي يزيد والرد عليه .	١٩
• تعريف لسان الدين بن الخطيب والرد عليه .	٢١
• تعريف الخراز والرد عليه .	٢٢

الموضوع	الصفحة
• تعريف الجرجاني نقلاً عن الصوفية والرد عليه .	٢٣
• تعريف القشيري للولي والرد عليه .	٢٤
• تعريف الصيادي الرفاعي والرد عليه .	٢٦
• تعريف الحكيم الترمذي للأولياء والرد عليه .	٢٩
• تعريف ابن عجيبة والرد عليه .	٢٩
المبحث الثاني: الفرق بين النبوة والولاية عند غلاة الصوفية	
المطلب الأول / النبوة والولاية عند غلاة الصوفية .	٣٤
أولاً: مصدر المعرفة والتلقي .	٣٥
ثانياً: مصدر المعرفة هو النبي والرد عليه .	٣٦
• مصدر المعرفة الولي ، وليس الوحي والرد عليه .	٣٨
ثالثاً: مشاركة الخطاب القرآني للنبي مع الولي والرد عليه .	٣٩
رابعاً: الرؤيا المنامية مصدر للوحي والمعرفة الرد على هذه الفرية .	٤٢
خامساً: العصمة للأولياء .	٤٣
• العصمة عند القشيري ، والرد عليه .	٤٣
• العصمة عند ابن عجيبة ، والرد عليه .	٤٤
• العصمة عند السهروردي ، والرد عليه .	٤٦
• العصمة عند عامة شيوخ الصوفية ، والرد عليه .	٤٧
المطلب الثاني / الفرق بين النبوة والولاية عند أهل السنة والجماعة .	٥٠
الصفات التي تميز بها الأنبياء عن أولياء غلاة الصوفية خاصة .	٥١
أولاً: الوحي .	٥١
ثانياً: العصمة .	٥١
• عصمة الأنبياء .	٥٢
• لا عصمة الصحابة .	٥٢
ثالثاً: المعجزة .	٥٤
الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر .	٥٥

الموضوع	الصفحة
• شبهة الغلاة في خرق العادات .	٥٦
رابعاً: حسن الخاتمة .	٥٦
خامساً: أحياء في قبورهم .	٥٩
• حياة غير الأنبياء من الأولياء والصالحين .	٦٢
المبحث الثالث: تحصيل الولاية	
المطلب الأول: تحصيل الولاية عند غلاة الصوفية .	٦٤
أولاً: الذكر ، وله مظاهر:	٦٤
• المظهر الأول: الذكر بالقلب ، والرد عليه .	٦٤
• المظهر الثاني: الذكر الجماعي ، والرد عليه .	٦٩
• المظهر الثالث: الاستناد إلى أذكار لم ترد في الشرع ، وردها .	٧٤
• المظهر الرابع: المبالغة في أجور الذكر ، والرد عليه .	٧٥
• المظهر الخامس: الاقتصار على لفظ الجلالة ، والرد عليه .	٧٦
ثانياً: الخلوة .	٧٨
• أقوالهم في الخلوة .	٧٩
• شروط الخلوة .	٨٠
• أدلتهم في الخلوة ، والرد عليها .	٨١
• القول الأول: القائلون بالعزلة .	٨٣
• القول الثاني: القائلون بالاختلاط بالناس، وترك الخلوة والعزلة	٨٤
• الرد على القائلين بالعزلة .	٨٥
ثالثاً: تعظيم الأولياء والشيوخ ، ومن مظاهر التعظيم .	٩٢
١: عطايا الشيخ للتلاميذ والمريدين ، والرد عليه .	٩٢
٢: حب الشيخ ، وسماع كلامه ، والرد عليه .	٩٥
٣: ميراث النبوة وهو العلم الشرعي ، والرد عليه .	٩٨
٤: رابطة المرشد ، والرد عليها .	١٠٠
المطلب الثاني: تحصيل الولاية عند أهل السنة والجماعة .	١٠٦

المـــوضــــوع	الصفحة
أولاً: الإيمان .	١٠٦
ثانياً: التقوى .	١٠٧
ثالثاً: اتباع أوامر الله ظاهرا وباطنا .	١٠٩
رابعاً: أداء الفرائض .	١١٠
خامساً: الإكثار من النوافل .	١١٢
سادساً: الذكر .	١١٣
سابعاً: الموالاة في الله والمعاداة فيه .	١١٦
ثامناً: الجهاد في سبيل الله .	١١٨
المبحث الرابع: مكانة الولاية	
المطلب الأول : مكانة الولاية عند غلاة الصوفية .	١٢٤
المطلب الثاني : مكانة الولاية عند أهل السنة والجماعة .	١٢٧
أولاً: ولاية الله للمؤمنين ولاية حفظ وعناية.	١٢٧
ثانياً: الولاية سبب للحفاظ من الضلال والخذلان .	١٢٨
ثالثاً: شرف نسبة الولاية لله تعالى .	١٣٠
رابعاً: يخرجهم من الظلمات إلى النور .	١٣٠
خامساً: الطمأنينة .	١٣١
سادساً: البشارة .	١٣٢
• إعلام الولي بأن الله معه في نصره وتأييده .	١٣٢
• إعلام الولي بما أعده الله في الآخرة .	١٣٣
• تبشير الملائكة له عند سكرات الموت .	١٣٣
• الرؤيا الصالحة من البشارات .	١٣٣
• ثناء الناس على المؤمن .	١٣٣
• البشرى بالجنة .	١٣٤
سابعاً: حب الله للولي .	١٣٤
ثامناً: تسديد الله للولي .	١٣٤

الموضوع	الصفحة
تاسعاً: النصر .	١٣٥
عاشراً : استجابة الدعوة :	١٣٦
الفصل الثاني: مراتب الأولياء ، وخصائصهم ، وكراماتهم	
المبحث الأول: مراتب الأولياء	
المطلب الأول / مراتب الأولياء عند غلاة الصوفية ، ومناقشتها .	١٣٨
• مفهوم الغوث (القطب) .	١٣٩
• مفهوم الأئمة .	١٤٠
• مفهوم الأوتاد .	١٤٠
• مفهوم الأبدال .	١٤٠
• مفهوم النجباء .	١٤١
• مفهوم النقباء .	١٤١
• الرد على المراتب السابقة .	١٤١
المطلب الثاني: مراتب الأولياء عند أهل السنة والجماعة .	١٤٦
المرتبة الأولى: الرسل والأنبياء .	١٤٦
المرتبة الثانية: الصديقون .	١٤٧
المرتبة الثالثة: مرتبة العلماء .	١٤٩
المرتبة الرابعة: الصالحون .	١٥٠
• أولاً السابقون .	١٥١
• ثانياً أصحاب اليمين .	١٥٢
• ثالثاً الظالم لنفسه .	١٥٢
المبحث الثاني: خصائص الأولياء	
المطلب الأول / خصائص الأولياء عند غلاة الصوفية.	١٥٥
أولاً: عصمة الأولياء .	١٥٥
ثانياً: نزول الوحي على أولياء الصوفية ، وكلامهم معهم .	١٥٥
ثالثاً: علم الغيب .	١٥٦

الموضوع	الصفحة
رابعاً: الكشف .	١٥٧
خامساً: رؤية الله ومناجاته .	١٥٩
سادساً: الجلوس مع النبي ﷺ .	١٦٠
سابعاً: الجلوس مع الخضر .	١٦١
ثامناً: سقوط التكاليف الشرعية .	١٦١
تاسعاً: الأولياء عندهم أحياء في قبورهم .	١٦٢
عاشراً: التوسل بالأولياء والصالحين و أهل القبور .	١٦٣
المطلب الثاني / الرد على خصائص الأولياء عند غلاة الصوفية .	١٦٥
الرد على العصمة .	١٦٥
الرد على نزول الوحي والملائكة عليهم .	١٦٥
الرد على علم الغيب .	١٦٦
الرد على الكشف الصوفي .	١٦٨
الرد على رؤية الله .	١٧١
• رؤية الله في الآخرة .	١٧١
• رؤية الله في الدنيا .	١٧٢
الرد على رؤية النبي ﷺ و الجلوس معه .	١٧٣
الرد على حياة الخضر عليه السلام .	١٧٥
الرد على سقوط التكاليف الشرعية .	١٧٨
الرد على حياة الأولياء في القبور .	١٧٩
الرد على التوسل بالأولياء والصالحين والأنبياء وأهل القبور .	١٧٩
أنواع التوسل المشروع .	١٨١
المبحث الثالث: كرامات الأولياء	
المطلب الأول / كرامات الأولياء عند غلاة الصوفية ، ومناقشتها .	١٨٦
مكانة الكرامة عند غلاة الصوفية .	١٨٦
أمثلة على كرامات غلاة الصوفية ومناقشتها .	١٨٧

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني / كرامات الأولياء عند أهل السنة والجماعة .	١٩٣
تعريف الكرامة لغة .	١٩٣
تعريف الكرامة عند أهل السنة والجماعة .	١٩٣
حكم الإيمان بالكرامات .	١٩٣
الحكمة من الكرامات .	١٩٤
أمثلة على كرامات الأولياء عند أهل السنة والجماعة .	١٩٦
• كرامات الأولياء في الأمم السابقة .	١٩٦
• كرامات الأولياء في عهد النبي ﷺ .	١٩٧
• كرامات الأولياء في عهد التابعين .	٢٠٠
الفرق بين الكرامة عند أهل السنة والجماعة وعند الصوفية .	٢٠١
خاتمة البحث	
أهم النتائج .	٢٠٣
أهم التوصيات .	٢٠٥
أهم المقترحات .	٢٠٥
ملخص البحث .	٢٠٦
قائمة الآيات القرآنية .	٢٠٩
قائمة الأحاديث النبوية .	٢١٨
قائمة مصطلحات التصوف .	٢٢٥
قائمة المصادر و المراجع .	٢٢٧
قائمة المحتويات .	٢٤٢

تم بحمد الله